ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

العدد 18 تموز 2014

للفتة نظر

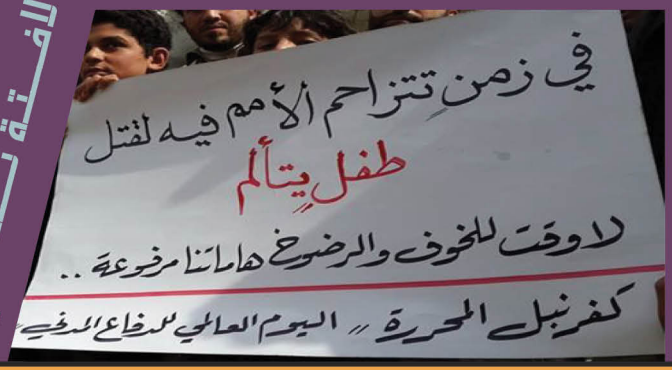

رمضان في دمشق... عمل للفنان أنس سلامة

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

هيئة التحرير

رئيس التحرير : ناجي الجرف

مدير التحرير : بشرى جود

المدير الفني : بحر عبد الرزاق

الإخراج الصحفي : عمر الأمين

فريق التحرير

ثابت اسماعيل

جمال حسون

جنان علي

علي صدر الدين حمودي

غياث عبد العزيز

إن الآراء الواردة في مجلة حنطة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

www.hentah.com
henta.magazine@gmail.com

تقرؤون في هذا العدد

ملف
الفن في الثورة.. بين «صناعة الاستسهال» و«مصلحجية» المحترفين ... عابد ملحم ٣

ع البيدر
إياد القدسي ضيف بيدر حنطة
حوار ناجي الجرف ١٤

حصيدة
هل يمثل الإعلام المعارض الثورة
محمد الحاج ١٧

جرن حنطة
مقارنة بين دساتير الرّبيع العربيّ
محمد الجرف ٢٦

حكايا البيدر
الحراكُ المدنيّ في المناطق الكرديّة في سورية/ج١
شمسة شاهين ٣٢

رحى
بين زبدة الشعب وعيونه .. بندقية حلقة ١ -
د.عبد الفراتي ٣٦

حنطة حلب
قتل الأطفال بالتّوازي مع خمسة عشر مدنياً مباشرةً دون محاكمات في شمال سورية
ترجمة جين آرام ٣٨

خميرة
جوكر الحرية
لقمان ديركي ٤١

حنطة بلدية
أسماء الشهيد الحسنى
غطفان غنوم ٤٦

الشهيد مرهف المضحي (أبو شجاع)

استشهد الاعلامي مرهف المضحي في ٢٨ أيلول ٢٠١٣ إثر تعرضه لقذيفتين أثناء عمله، رصد مرهف التظاهرات السلمية فحمل كاميرته وراح يوثق الأحداث مع انطلاق أول التظاهرات في مدينة دير الزور، وتابع عمله تحت الرصاص والقنابل والقذائف المدفعية متحدياً الآلة العسكرية للنظام، وفاضحاً جرائمه عبر صوره التي التقطها للأحداث والتي انتشرت في مختلف أنحاء العالم

الفن في الثورة.. بين «صناعة الاستسهال» و«مصلحجية» المحترفين

عابد ملحم

مشهد من مسلسل أم عبدو الحلبية

بَعيداً عنْ ضَجيج المَعَارك وأَزيز الرَّصاص، وأَصْوات السُّقوط، بكلّ ما تَحْمله منْ «سُقوط»، وبَعيداً عنْ اسْتوديوهات المَوْت المُعلّب «خِلْسةً وعلانيّةً»، ثمّة اسْتوديوهات تَعْمل بصَمْت تُورقُ نِتاجاتها وهَسيسَها تَوهّجاً، وتَمْضي دونَ أَنْ يَرْشقها عَابرُ سَبيل بكَلمة شُكْر عَاجلة.

الفنّ، سِلاح الإِنْسان الأوّل، عبْر التّاريخ، والعُصُور، وعَرّاب الشُّعوب المُعبّر عنْ حَالهم، وكَذا السُّوريون اليَوْم وأَمَام كمّ «السُّقوط» الهَائل الذي تجلّى ويتَجلّى، يَحْدث أنْ يُورثهم السُّقوط حِيناً مَوْتاً، وأَحايِيناً وِلادة، وِلادةٌ تُورث القَتْل عَاجلاً أمْ آجَلاً.. سُقوطاً.

الفنّ في الثَّوْرة السُّوريّة أَكْثر المَواضيع تَهْميشاً حتّى اليَوْم، طلّقهُ أَصْحابُ الاخْتصاص، وتَعربَشتهُ أَصَابع الهُواة فَصَنعوا مِنْ طَلاقه، اخْتِصاصاً، وبَاتوا اليَوْم المُعبّرون الوَحيدون الصَادقون عَنْ الثَّوْرة، وإِنْ شَابها مَا شَابها مِنْ عَكارة الحَرْب، وتقلّبات السّياسة إلاّ أنّه بَقياً وَفيّاً لأوّل صَرْخة نَادت في البِدْء «واحِدْ واحِدْ واحِدْ الشَّعب السّوري وَاحد». وللبِدْء قُدْسيته الأُولى، فـ «في البِدْء كَانَت الكَلمة، وكَانَت الكَلمة عنْد الله، وكَانَ الكَلمة الله»، ومِنْ سِفْر التَّكْوين، إلى سِفْر المُعَاناة، وسِفْر التَّشتّت والتَّهْجير، وبَقيّة الأَسْفار الأُخرى التي يَعيش السُّوريون أَجْزائها، يَحْدثُ أَنْ يَتَهاوى سِفرُ الفنّ لِيَكون للرَّصاص الصَّوتُ الأَجْلى والأَوْضح.

الفنّ بوصفه معبّراً لا يعدو كونه «علاك»

بِهَذه المُفْردة الأَخيرة يَصف «سَالم» (اسْم مُسْتعار) أَحَد المُشْتغلين بالفنّ مُنْذ بِداية الثَّوْرة السُّورية حَيْث يَرى أَنّ مَنْ يَقُوم بإِنْجاز أَعْمال فَنيّة، إِنّما يَقُوم بِها مِنْ وَحْي الوَاقِع، وحَالة مِنَ التَّنْفيس والتَّفْريغ، إلاّ أَنّها لا تَعْدو كَوْنها مُجرّد أَشْياء جَميلة لا تُغيّر شَيْئاً منَ الوَاقِع.

«سَالم»، وكبَقيّة الفنّانين السُّوريين منْ غَيْر أَصْحاب الاخْتصاص كَرّسوا جُلّ وَقْتهم لإِنْجاز أَعْمال فَنيّة حَظِي مُعْظمها بِمُتابعة شَعْبيّة كَبيرة، إلاّ أَنّها طَالَما كَانَت فَاتحةً لِمُطارداتٍ ومُلَاحَقات منْ قِبَل التَّنْظيمات المُتطرّفة، فَبعْد حُدوث مَا سُميَ لاحِقاً بالمَنَاطق المُحرَّرة، تَخلّص النُّشَطاء مِنْ سَطْوة النِّظَام السُّوريّ لتُلاحِقهم سَطْوة منْ نَوْعٍ آخَر.

ويَرى العَامِلون في هَذا المَجَال أَنّ الوَقْت حَان لإِنْتاج أَعْمال فَنيّة تَكون عَلى المُسْتوى المَطْلوب غيْر مُعْظم التي نَرَاها هُنا وهُناك، ولا تَكَاد تَتَعدّى حُدُود صَفْحات التَّواصل الاجْتماعيّ.

أَصْحاب الاخْتصاص «مَصْلحجية» والهُواة ضَائعون

قَبْل عَامٍ منَ الآنَ، عَكَف بَعْض المُثقفين السُّوريين عَلى إِنْتاج أَعْمال فَنيّة بِمَجْهود شَخْصيّ أَدَواته الكَاميرا، وجِهاز الكُمبيوتر، وحَصَدت تلْك الأَعْمال مُتَابعات كَبيرة دَفَعت بالعَديد منْهم إلى القَفْز قُدماً وتَطْوير تِلْك الحَالة.

حَالَة التّطْوير والبَحْث عَن المَزيد اصْطَدمت بعَائق التَّمْويل والإِنْتاج المُكْلف، فَضْلاً عَن غِيَاب المَوْهبة المُحْترفة، أَوْ الاسْم الفَنّي اللمّاع.

وسَبَق أَنْ رَوى لي الفنّان الشَّاب عبْد الوهّاب مُلا -المُخْتطف حَاليّاً لَدى تَنْظيم الدَّوْلة الإِسْلاميّة في العِرَاق والشَّام- أَنّه تَوَاصل بنَفْسه مَع عَدَدٍ مِنَ الأَسْماء اللَّامِعَة منَ الفنّانين السُّوريين الذين أَعْلنوا مَوْقفاً إِيجَابيّاً منَ الثَّوْرة، وطَلَب منْهم المُسَاعدة في إِنْتاج أَعْمال دراميّة وغِنَائيّة، إلّا أنّ الردّ كَانَ منَ الجَميع هُو الرَّفْض.

وقَالَ المُلّا يَوْمها إنّ أَحَدهم (وهُو فنّان مَسْرحيّ شَهير) طَلَب مَبْلغاً ضَخْماً مِنَ المَال مُقَابل مُشَارَكته في أَحَد اللّوْحات الدراميّة التي كَانَت تُصوَّر في مَدينة حَلب حِينئذٍ.

المُلّا.. ورِفَاقه في الهَمّ في بَقيّة المُحَافظات السُّوريّة يَبْدو أَنَّهم كَانوا ومَا زَالُوا يُوَاجهون المُشْكلة ذَاتها، فَلا تَمْويل لإِنْتاج أَعْمالٍ حَقيقيّة تَقفُ في وَجْه تِلْك التي يُنْتجها النّظَام السُّوريّ عَبْر شَركَات إِنْتاجه، ولَا وُجُوه مَشْهورة، أَوْ مَواهبَ اخْتِرافيّة تُعْطي القَليلَ منْ وَقْتها لتَحْتضن الشَّباب المُتحمِّس.

وبَيْن المَعْمعة وسيَاسة الفَوْضى التي طَالَت كلّ شَيْء، كَانَ للهُواة الضَّيَاع. فانْدَثرت مُعْظم البُذُور الفَنيّة التي كَانَ يُمْكن لَها أَنْ تَكُون مَشْروعاً بحدّ ذَاته. فَعَلى سَبيل المِثَال، تَوقّف إِنْتاج بَرْنامج «عَنْزة ولوْ طَارت» الذي يَعْتمد أُسْلوب الـ «ستاند أب كوميدي» والذي ظَهَر مَع بِداية الثَّوْرة السُّوريّة، وَحَقّق حُضُوراً كَاسِحاً.

وأَيْضاً لَحِقت بِه سِلْسلة «ويكي شام» التي تَعْتمد أُسْلوب «أنيميشن» (الكَرْتون)، وكَان لَها حُضُوراً لافِتاً في تَناول الحَدَث السُّوريّ بطَريقةٍ سياسيّةٍ سَاخِرة.

ولاحِقاً تَوقّفَت سِلْسلة «حرّية وبس» التي كَانَ يُؤدِّيها مُمثّلان هَاويان في المُغْترب.

وهُنَاك الكَثيرُ منَ الأَسْماء التي يُمْكن ذِكْرها وكَانَت حَاضِرة مَع بِدايَة الثَّوْرة واسْتَمرّت أَشْهراً لتَتوقّف لاحِقاً، إمّا بِسَبب عَدَم تَبنّيها منْ جِهَات إِعْلاميّة، أَوْ حَاجَتها المُلحّة للتَمْويل.

التَمويل عَقَبة أَساسيّة تنْصاع للأجْندات «غالباً»

عبْر سَنَواتها الثَّلاث شَهدت الثَّوْرة السُّوريّة عَدَداً لا بَأْس بِه منَ الأَعْمال الفَنيّة المُموّلة بِشَكل سَخيّ، وظَهَر هَذا السَّخَاء جَليّاً في جُودة الصُّورة،

والإخراج الاحترافيّ، والتّعامل الخبير مع المؤثّرات، والتّعاطي مع المُونْتاج، إلاّ أنّهُ كَانَ يُخْفي في جَوْفه ما يُخْفي، فحَيْث مَنْبع المَالَ تَظْهر الأيْدُيولوجيّة وَاضحَة، ويَبْدو تَكْريس قِيمٍ بعَيْنها هُو الأهمّ لِجهة التّمْويل.

ومِنَ هَذا المُنْطلق فَقَد أَطْلقت سِلْسلة حَلَقات مَوّلت مِنْ جِهات عِدّة، تارةً كَانَت تُكرّس القِيَم الإسْلاميّة بِشَكْل فجٍّ ومَمْجوج، وتَارةً تُقدّم قِيَم الحُرّية، والعَدَالة، والدّيمقْراطيّة حَيْث يَكوُن التّمْويل غَالباً غَربيّاً.

الانْصياعُ لِجهة التّمْويل أَمْر مَحْتوم وَاجه، ويُوَاجه العَامِلين في هَذا الحَقْل، ليَتحوّل العَمَل الفَنّي من كَوْنه مُوجِّهاً، لِيَصير مُوجَّهاً.

قَليلةٌ هِي الأَعْمال التي نَجَت مِنْ فَخّ الانْقياد لأَيديولوجيّة التّمْويل، وأَطْلقت العِنَان لأَفْكار صُنّاعِها، إلاّ أنّ ضَريبَة هَذا كَانَت على حِسَاب الجَوْدة والانْتشار.

التّمْويل بِوَصْفه جَانباً رَئيساً في العَمليّة الفَنيّة مَازَال إلى اليَوْم يَتدخّل في أيّ عَملٍ فَنّي يُموّله، وإنْ كَانَ هَذا التّدخُّل غيْرُ مُبَاشر، أوْ بالحَدّ الأَدْنى، فلِكَيْ تُوافق جِهة ما عَلى تَمْويل مَشْروعٍ مَا، يَجب بِدَايةً أنْ يَكُون هَذا المَشْروع لا يَتَضارب وأَجَنْدتها السِّياسيّة، أوْ المَذْهبيّة.

وفي سُورية، أَنْجز شَبابٌ في أَكْثر مِنْ مُحَافظة أَعْمالاً فَنيّة دونَ تَمْويل، بَلْ تَعدّى ذَلك إلى فُنونٍ صَعْبة كالمَسْرح الذي يَحْتاج بطَبيعة الحَال إلى جُهْد إضَافيّ، وتَمْويل ضَخْم يَضْمن الحُصُول عَلى خَشَبة عَرْضٍ، وتَجْهيزات إضَاءة، وصوتٍ، وبَاقي التّقنيّات.

لَعنة رَمضان..تحلُّ على فنون الثّورة

عَبْر ثَلاثة أَعْوام ونيّف، وبعد تَعقّد الوَضْع السِّياسيّ، والعَسْكريّ في سُورية، بَدَأت تَسْري العَدْوى الرَّمَضانية إلى فُنون الثّوْرة، لِتَأْخذ شَكْلاً مَهْرجانيّاً كَذلك الذي كَانَ قَبْل الثّوْرة للدراما السُّوريّة.

ولَعلّ أُولى مَظَاهر تِلْك العَدْوى بَدَأت في رَمَضان المَاضي ٢٠١٣ حيْث أُطْلق عَددٌ مِنَ الأَعْمال لَعلّ أَشْهرها كَان «ثَوْرة ٣ نجوم» الذي أَعدّه وقَدّمه الفَنّان عبْد الوهّاب مُلّا، بِتَمْويلٍ ضَئيلٍ مِنْ شَبَكةٍ إعْلاميّةٍ بالاشْتراك مَع مَحَطّةٍ تلْفزيونيّة، وعُرِض البَرْنامج وَقْتها على ستّ مَحطّات سُوريّة مُعَارضة.

تَزامنُ رَمَضان مَع إطْلاق الأَعْمال الفَنيّة بَاتَ تَعْويذةً سُوريّة، تَعوّد عَلَيْها المُشَاهد العَربيّ لِيتحوّل الشّهْر إلى مِهْرجانٍ فَنّي في كلّ عَام.

«المُلّا» قَدّم في بَرْنامجه السّاخر أَكْثر القَضَايا الحَيَاتيّة في تِلْك الفَتْرة، إلاّ أنّ الرّجُل وَقَع ضَحيّة أَعْماله، ففي الوَقْت الذي كَانَت تُسَيْطر فيه الدّوْلة الإسْلاميّة في العِراق والشّام (داعش) عَلى أَجْزاء وَاسعة مِنْ مَدينة حلب التي يَقْطن فيها «المُلّا» قَدّم الأَخيرُ حَلَقةً نَاقَشت فِكْرة الدّوْلة المَدنيّة والخِلافَة الإسْلاميّة بِطَريقة سَاخرة قَادتْه لاحِقاً ليَكُون مُغيّباً في سُجون التّنْظيم وسْط تَجَاذبات وأَنْباء مُتخبّطة عَنْ تَصْفيته.

وفي هذا العَام ٢٠١٤ قَدّم عَددٌ مِنَ النّاشطين مُسَلسلين أُنْتجا في الدّاخل المُحرَّر وسْط قَصْف غَيْر مَسْبوق تَشْهده مَدينة حَلَب.

المُسَلْسل الأوّل بعُنْوان «مُنع في سوريا» ويَتَناول بِقَالب سَاخر الوَضْع المَيْدانيّ في المَنَاطق المُحرَّرة مُتَناولاً الظُّروف والأَخْطاء التي تَجْري هُناك، مُنْتقداً أَدَاء بَعْض الفَصَائل العَسْكريّة والأَجْسام السِّياسيّة.

وأمّا المُسَلْسل الثّاني فَكَان بعُنْوان «أمْ عَبْدو الحَلَبيّة» مِنْ بُطُولة طفْلة مَوْهوبة، وأَيْضاً قَدّم عبْر لَوْحاته القَصيرة جَانباً مِنَ الحَدَث اليَوْميّ للحَيَاة في المَنَاطق المُحَرّرة.

ويُؤْخذ عَلى العَمليْن غِيابُ النّص بِشَكْل وَاضح، ويَظْهر بِجَلاء مَدى افْتراب الإخْراج والمُونْتاج إلى الشّكْل الاحْترافيّ، رغْم غِياب أَدْنى مُقوّمات الإنْتاج الصّحيح، ونَقْصٍ شَديدٍ في مَعدّات التّصْوير.

المُحترفون.. عنْدما يكون الاسْتسهال عُنواناً !!

قبْل أَشْهرٍ مِنَ الآن أَطْلقت جَريدة زَمَان الوَصْل الالكْترونية عَمَلاً مِنْ إنْتاجها بعُنْوان «رَئيس ونِساء» مِنْ تَأْليف وإخْراج فُؤاد حميرة، وبُطُولة مَجْموعة مِنَ النُّجوم السُّوريينَ وعَدَد من الشّباب الهُواة، وعَلى رَأْسهم «مَيْ سْكاف».

العَمَل الذي كَانَ مِنَ المُفْترض أَنْ يَكُون احْترافيّاً بِكلّ مَا تَعْنيه الكَلمة، أَطلّ بَاهتاً يَحْمل الكَثير مِنْ إشَارات الاسْتفهام حَوْل طَبيعة النّصّ المَكْتوب، والذي كَانَ مِنَ المُفْترض أَنْ يَكُون مُدْهشاً مُقَارنةً باسْم «فُؤاد حميرة» المَعْروف عَنْه قُدْرته المُدْهشة في السّبْك والصّياغَة والحَبْكة.

«رئيس ونساء» وللأَسَف أَصَاب الجَميع بالخُذْلان، وتَبْريرات الكَاتب والمُخْرج لَمْ تَكنْ مُقْنعة، لتَبْرير الارْتباك الحَاصِل في المُسَلسل.

وقَال «حميرة» إنّ الظُّروف التي صُوِر المُسَلْسل فيها كَانَت سَيّئة للغَاية، رغْم أنّه صَرّح بنَفْسه عنْ حَجْم المَبْلغ الذي أُنْتج به العَمَل (٢٥ ألف دولار)، وهُو مَبْلغ ضَخْم إذا مَا قُورِن بَحَجْم الأَعْمال التي تُنْتج في الدّاخل، وتَكَاد تُقَارب «رئيس ونساء» الجُودَة والإخْراج، ولا تُكلّف أَكْثر مِنْ ١٠٠ دولار.

في الجِهَة المُقَابلة أَقَام الفَنّان المَسْرحيّ هُمَام حوت، مُنْتدىً فنيّاً ثَقافياً، بعُنْوان «بيْت العيلة» في تركيا، يُعْقد مَرّة كلّ أُسْبوع يَتَناول فيه قَضَايا سياسيّةٍ وخَدَميّة، ويَسْتضيف فيه عَدَداً مِنَ السِّياسيين والمَسْؤولين والوُزراء.

المُنْتدى الذي يُمَوّل بِشَكْل سَخيّ مِنْ أَكْثر مِنْ جِهة لَعلّ أَبْرزها وحْدة تَنْسيق الدَّعْم ACU والذي كَان مِنَ المُفْترض أَنْ يَكُون فَنيّاً ثَقافيّاً، تَحوّل مَع مُرورِ الوَقْت، وَوَقع في مَطبّ التّكْرار، فَلا تَفَاعل وَاضح، ولا شَكْل فَنّي وَاضِح، وإنّما حِوَارَات مَكْرورة، لا تُغْني ولا تُسْمن مِنْ جُوع، فَضْلاً عنْ أنّ الشّريحة المُسْتَهدفة مِنْ ذَلك المُنْتدى هي فَقَط من القَاطِنين في تركيا.

«رئيس ونساء» ومنْتدى «بيت العيلة» نَمُوذجان حَاضِران عَنْ صِنَاعة الاسْتسهال، وذكْرهما في هَذه المَادةّ هو مِنْ بَاب المِثَال فَقطْ، إذْ يُوجَد عَشَرات الأَعْمال الأُخْرى التي تَتَناول الثّوْرة السُّوريّة بشَكْل أو بآخَر وتَحْترف صِناعةَ الاسْتسهال.

وبالعَوْدة إلى الفَنّانين السُّوريين المُؤيّدين للثّوْرة، سَيْبدو جَليّاً أنّ مُعْظمهم بَقيَ صَامتاً مُنْذ الإعْلان عنْ هَذا التّأْييد، ويُمْكن ذكْر بَعْض هؤُلاء الفَنّانين كفَارس الحُلو، وجَلال الطّويل، ومَازن النّاطور، ويَارا صَبْري، وجَمَال سليمان، ولويز عبْد الكَريم.. الخ

ويَبْقى الفَنّ في الثّوْرة السُّوريّة غَريباً إلى الآن، ربّما بسَبب تَعقُّد الوَضْع السُّوريّ، وربّما بسَبب التّمْويل، وربّما بسَبب غِيابِ المُحْترف، إلاّ أنّ ذَلك لا يَنْفي اجْتهادٍ وَاضحٍ، وإصْرارٍ مازَال يُمْكن أَنْ يُرى للوُصُول إلى المُسْتوى المَطْلوب.

أَكْثر مِنْ ثَلاثة أَعْوام وَقْتٌ طَويلٌ نِسْبيّاً، ويَكْفي لأَنْ تَظْهر مُؤسّسات تَحْتضن المَوَاهب السُّوريّة وتُقدّمهم بأَفْضل شَكْل، دونَما أَجَنْدات ومَالٍ سِيَاسيٍّ.. يَسْتحقّ الشّعْب السُّوريّ، والشّبابُ السُّوريّ مُؤسّسات كَتِلك، ويَسْتحقّ الفنّ السُّوريّ أنْ يُقدَّم بِأَفْضل حال، بِنَفْس القَدَر الذي تُسْتحقّ فيه المَجَالات الأُخْرى جُلّ الاهْتمام.

ومَنْ يَقُول إنّ الفنّ سِلْعة خَاسرة، فَهو حَتْماً يَعيشُ في الوَهْم، فصِناعَةُ السّينما وصِناعة الدّراما، تَدُر المَلايين إذا مَا عُرف كَيْف تُدار.. وتَبْقى صِناعة الفنّ رَابحةً أَكْثر مِنْ صِناعة الاسْتسهال الذي يُطْلق عَليْه بُهْتاناً «فنّاً».

صُنع في الثورة... حين تتحوّل الخطوط إلى يافطات، واليافطات إلى فنّ

عباس علي موسى

لَقَدْ عُرِف مَفْهوم الاِحْتجاج عَبْر عَرْضه بَصريّاً باليَافِطات التي تَنْقلُ إلى العَالَم أَوْجه الاِحْتجاج والاِعْتراض والثّوْرة والأَمَل، فكَانَت الأَكْثر بُروزاً في التّوْثيق البَصَريّ.

ولَقَد كَانَت هَذه أَيْضاً سِمة الثّوْرة في البُلْدان التي مَرّتْ عَلَيْها رِيَاح الرَّبيع أَوْ التّغْيير، وفي سُورية أَيْضاً، كَانَت ثمّة سِمتان مُتقَاطِعَتان وَمُتجَانِستان هُما الصّوْت والصّورة، الصّوْت والكَلمة.

كَانَت الهِتافَات لأَجْل إِيقاظِ الرّوح الثّوْرية النّائمة في دَواخِلنا والتي غَلّفها الصّمْت والخَوْف، فكَانَت الهِتافَات تَكْسرُ الجَليدَ رُوْيْداً رُوْيْداً، وكَانَت اليَافِطات التي تَحْملُ مَعْنى الثّوْرة وأَمَلها. وأَمَام الشّاشات، كَانَ العَالمُ يُتابعُ بِشغفٍ صَوْت الهِتافات التي تُنَادي بالحرّية وإِسْقاط الدّكْتاتوريّة، وكَانت اليَافِطات الحَامِل الأَهمّ لتَكْثيف الهُموم، والعِشْق، والأَمَل بالغَد.

هَكَذا بَدَأ المُتَظاهرون يَرْفعون اليَافِطات وهُم يَخطّون عَلَيْها آمَال الشّعْب في تَطلُّعه إلى الحُرّية، وَبَدأت اليَافِطات تَأْخذ شَيْئاً فشَيْئاً طَابعاً مُتقدّماً مِنْ حَيثُ الرّسَالة التي تُقدّمها للآخَر، فَشَاشات الإِعْلام التي أَعْطتها فِسْحة نُورٍ لِتَخْرج إلى العَالَم أَكْسبتْها أَهميّة، لِذَلك بَدَأ المُتَظاهرون يَهْتمون أَكْثر بِمَضْمون هَذه اليَافِطات، لِتَخْرج إلَيْنا يَافِطات كفرنبل وعَامودا بِمَضامين سَاخِرة لِدَرجة المَهْزلة، وجَادّةٍ حَاملةٍ أَفْكاراً إِنْسانيّة عَاليّة، وقِيماً مَدنيّة تَعْكس المَطَالب المَدنيّة التي نَادَت بِها الثّوْرة.

في قَامشْلي، التي كَانَت مِنْ المُدن التي اِنْخرطت في الثّوْرة في بِدايَاتها، اِهْتم المُتَظاهرون باليَافِطات وبِمَضامينها ذاتُ الرّسَائل السّياسيّة المُوجّهة للرَّأْي العَام العَالميّ، والمُوجّهة للدّاخِل السّوريّ حَوْل مَفَاهيم الوَحْدة الوَطنيّة، والدّعْوة للعَيْش المُشْترك، والتّرْكيز عَلى شِعَارات وحْدة الأَلَم والاِنْتماء.

وكَمَا أَنّ سُورية أَبْرزت أَيْقوناتٍ وَحَالاتٍ مُميّزة أَفْرزتها الثّورة، فإِنّ النّاشط جهاد قامشلو (جهاد مُحيْ الدّين) تَرك بَصْمته في يَافِطاته المُميّزة التي كَانَ يَصْنعها بِيَديْه مِنَ الخَشب الـ (إن دي إف) وَيُلوّنها، ويَحْملها بِيَديْه لِيتَصدّر وَاجِهة المُظَاهرات مُنْذ أَنْ كَانَت المُظَاهرات تَحْملُ ذَاك المَعْنى الكَبير، إلى أَنْ تَشظّت ولَمْ تَحْمل كلّ تِلْك المَعَاني التي خَرَجت بَادئ الأَمْر لأَجْلها.

في أَمَاسي الجُمع تَراه مُنْهمكاً في إِعْداد لافِتاته التي

لافتة من القامشلي

تَحْملُ بَصْمته وَهويّته، وتَراهُ مُنْهمكاً بتَلْوينها بِمُخْتلف الأَلْوان لتُعبّر عَنْ تَطلّعاته وتَطلّعات الشّارع حَوْل مَا يَجْري في سُورية، شَارَك جهاد بِأَكْثر مِنْ ١٧٠ يَافطة مِنْ خَشَب الـ (إن دي إف)، تَحوّل مُؤخّراً إِلى الكَرْتون نَظَراً لكلَفِ الخَشب العَاليّة، عَبّر مِنْ خِلالها عَنْ مَطالِب الثّوْرة، وَوَثّق كَذلكَ أَسْماء الجُمَع، ووَقائع المجازر.

إنّ الثورة أتاحت لأنواع جديدة وجديرة من الفنون وكذلك عملت على صناعة الصحفي المواطن والنشطاء الصحفيين، وجعل الكاميرا أداة تماثل الكاميرا الإحترافية وتصنع الواقع التوثيقي لتداعيات الثورة السورية، فطرح أنماط جديدة للفنون من وجهة نظر ثورية، هي سمة من سماتها ناتجة عنها ومعبرة عنها بالضرورة وفيها بصمة الشارع.

إلاّ أَنّ طُولَ عَهْد الثّوْرة أَكْسبت القَائِمين على اليَافِطات والتّصْوير بالمُوبايلات والكَميرات الفُوتوغرافيّة خِبْرة ومِراساً، لِتَحْمل مَعَانيَ ومَضَامين أَعْمق مِنْ مُجرّد أَفْكارٍ وَشِعاراتٍ مُبَاشرة ومُسّطحة، ومِنْها مَا كَانَ يَقُوم بِه جهاد فَهُو لَمْ يَرْفع مُجرّد أَسْماء الجُمَع بَلْ إنّه لَجَأ إلى إِكْسابها مَعانٍ أُخْرى تَجْعله أَقْرب إلى الفَنّ أَوْ لِنقُل نَوْعاً جَديداً مُبْتكراً، فَالخَشب يَغْدو عِبَارةً تَحْمل مَطَالب الشّارع وإِيمانِه. جهاد حَمَل الكَثيرَ مِنَ الأَلْوان، وَدَهن بِها خَشَبه الذي كَانَ يَصْنعه بِمُعدّات صناعيّةٍ وَيَنْزل بِها إلى الشّارع، لِدَرجةٍ تَحوّلت بِها هَذه اليَافِطات إلى مَعْنىً أَكْبر. فَحِين خَفُتت التّظاهراتُ في مَنْطقة الجَزيرة عُموماً، وقَامشْلي بِخاصّة، كَان لا يَزال يَخْرج مُدجّجاً بيَافِطته، وإِنْ كَانَت وَحِيدة، وفي إِحْدى الجُمع -والتي كَانَت بِاسْم «كُلّنا حِمص.. عَاصمة الثّوْرة.. حِمْص تُناديكم»- خَرَج لِوَحْده وَحَمل اليَافِطة لِوَحْده، لِكِنّه أَوْصل رِسَالته إلى العَالَم.

تَتحوّلُ الخُطوط والأَلْوان إلى صَدىً لِهتافاتِ المُتظَاهرين، وتالياً إلى مَعانٍ سَاميّة وإلى فَنّ جَديدٍ مِنْ صِناعةِ الثّوْرة، مَثَلها كَمَثل الأَفْلام الوَثائقيّة التي تَمّ صِناعتها عَنْ طَريق المُوبايْلات، أَوْ تِلْك الرّسوم والعِباراتِ عَلى الجُدْران التي كُسرَ فِيها حَاجزُ الخَوْف.

«الثّورة هي مَعْنى» هَذا هُو الدّرْس الأَوّل والأَخير إلى العَالم، يَقُولها جهاد، ويَحْملُ مَعَه صَدى يافِطَاتها المُلّونة بِأَلْوان الثّوْرة، وَيَجْتازُ الحُدودَ التّركيّة مَعْ ابْنِه، وابْنته، وزَوْجته بَعْد أَنْ ضَاقَ عَلَيْه المَكَان بِأَحلامه بِإِسْقاط الطّاغية، بَعْد أَنْ لُوحِق بشدّة مِنْ قِبلِ قُوّات الأَمْن بِسَبب يَافِطته الأَخيرة المُتعلّقة بالاِنْتخابات، والتي حَمَلت هَذا الرّسْم «انتخاب العَبيد، عبيد الطّائفة-عبيد الخوف- عبيد الدّنيا-عبيد السّلطة- عبيد المال».

صناعة الفنّ في الثّورة السّورية

بقلم: إنديا ستوكتون-عن موقع الدايلي ستار.
ترجمة غياث عبد العزيز

هذه السّلسلة مِنْ مَجموعة مواد لمقابلات أُجْريت مُؤخّراً مع فنّانين سوريين حَوْل عملهم مُنْذ بداية الثّورة في سورية.

بيروت: شَهدتْ مَواقف الفنّانينَ السّوريين الأشْهرَ المَاضيّة تَغيّراتٍ دراماتيكيّة بدرجاتٍ متفاوتةٍ فيما بَيْنهم. كما شَهدتْ هذه الفَتْرة المُضْطربة ظُهورَ جيل شابٍّ مِنَ الفنّانين في البلاد، والكَثيرونَ مِنْهم لَمْ يَظْهروا قَبْل الرّبيع العربيّ. وقَدْ ظَهَر التّباينُ جليّاً في ردّات فِعْلهم ومَواقِفهم ومُمَارساتِهم المُتنوّعة مِنَ التّغيّرات التي تَعْصفُ بالبِلادْ.

(**أنس الحمصيّ**): المَوْلود في دمشق عام ١٩٨٧ م، وبَعْد مُشاركته بالعديد مِن المَعَارض الجَماعيّة، أقامَ مَعْرضه المُنْفرد الأوّل بعنوان «طُفولة» ثمّ مَعْرض «تَأثير»، في غاليري آرت سيركل في مَنْطقة الحمراء ، وقَدْ عَرض لَوْحاته بشكلٍ أقْرَب للتّجريد.

الحمصيّ كانَ لا يزالُ يَعيشُ في دمشقَ حتّى أقامَ مَعْرضه الأوّل في الحَمْراء، وبَعْد ذلك انْتقل لِيَعيشَ في بَيْروت. وتَبْدو أَعْماله الفنيّة كمُحاولةٍ للعَوْدةِ إلى مَرْحلة الطُفولة -لَيْست طُفولته الشّخصيّة التي يَقول أنّه بالكادِ يَتّذكرها- بَلْ الشّعورُ بالعَفويّة التي تَرْتبط مَع الطفولةِ، كما يَقول.

وعلى الرّغْم مِنْ ابْتعاد أُسْلوبه الفنّي عَن المَوْقف السّياسيّ، يَقولُ الحمصيّ بِأنّ الأَحْداث في سورية أثّرت بِشكْلٍ مُلْفت على أَعْماله.

«الجَميع تأثّر بالأَحْداثِ بِمَن فيهم أنا كفنّان» يَقولُ الحمصيّ، «لا أَحَد يُمْكنه أَنْ يَتَجاهلَ مَشاهد العُنْف والكراهيّة التي تَحْدث، لِذلكَ تَجدُ تِلْك الحالاتِ ظاهرةً في لَوْحاتي، الفنّ هو وسيلةٌ للتّواصل بَيْن الأَفْكار والذّكْريات، لِذلكَ سَتْظهر تِلْك الحَالَة بوعيٍ أَوْ بدون وَعي في أَعْمالنا الفنيّة». و يتابع الحمصيّ: «هُنالكَ الكَثيرُ من الفنّانين السّوريين يَعْملُ حَوْل الأَحْداث بِشكْل مُباشر أكثر، يُمْكنني اسْتخدام المَوْقف في لَوْحاتي، لكِنْ تِلْك لَيْست هي الطّريقةُ المُباشرة، هُناك الكَثير مِنَ الرّموز وعَلَيْك أَنْت أَنْ تَبْحث عَنْها».

وعلى الرّغم مِنْ غُموض اللّوحات، فإنّك تَسْتطيع أَنْ تُميّز أَلْوان الإنْفجارات على الفَوْر، والمَوْجودة في جَميع لَوْحاته بِشكْلٍ عام، وهُناك فَرْق واضحٌ بَيْن بَعْض اللّوحات مِثْل «النّزهة» و«التّفجير».

فـ «النّزهة» هي مَزيجٌ مُخْتلط مِن الخُطوطِ والأَلْوان الزّاهيّة المُحْكمة، والتي تُصوّر أُمّاً تَسْتمتع بنزْهة عائليّة مَع طِفْليها، الجوّ هُنا يَتحدّثُ عَن السّلام. وعلى الرّغْم مِن الضّرباتِ المَحْمومة للفُرْشاة، فإنّ اللّوحة تُصوّر عائلةً مثاليّة.

وعلى نَقيضِ ذلك نَجدُ لَوْحة «التّفْجير»، والتي تُصوّر خُطوطَها العَريضة مَشْهداً كَئيباً مِنْ خلالِ أَرْبع شَخْصيّات كَئيبة تَظْهر في الظّلام الكَثيف مَع خَلْفيّة مِنَ الأَلْوانِ الطُفوليّة التي يَتميّز بِها الحمصيّ. في المُقدّمة تَبْدو إحْدى الشّخْصيّات تُحَاول أَنْ تَسْحبَ نَفْسها على الأَرْض، وشَخْصٌ آخرَ يَظْهر أَعْزلاً مِن السّلاح، والشّكْل بِأَكْمله يَظْهرُ مَقْلوباً كأنّ انْفجاراً قَدْ حَدَث للتّو.

أمّا (رانيا مدرس سيلفا) الفنّانة الشّابة المَوْلودة عام ١٩٨١ في دمشقَ حَيْث لا تَزالُ تَعْمل، والتي أَقامتْ مَعْرضها المُنْفرد الأوّل في غاليري آرت سيركل، فهي -وعلى خِلاف الحمصيّ- تَقولُ بأنّ أَعْمالها لَمْ تَتأثّر قَطْ بالانْتفاضة في سورية: «أَسْتطيع القَوْل أنّني مَحْظوظة بأَنْ أكونَ فنّانةً في هذا الوَضْع لأنّني أَسْتطيع أَنْ أَبْعثَ الأَمَل». وتُتابعُ سيلفا: «لكنّني في نَفْس الوَقْت أَسْتيقظ وأَسْألُ نَفْسي: ما الذي أَقوم بِه؟ هَلْ حقّاً أَسْتطيع فِعلَ شيء؟».

تُركّز لَوْحاتها المُخْتلطةِ على جَمالِ وُجوه النّساء، والجَمْع بَيْنها وبَيْن عَناصر الطّبيعة -غالباً الأزْهارُ والطّيور- وتَقولُ سيلفا أنّها حاوَلت الاسْتمرار في أَعْمالها بسِلْسلةٍ مِنَ الوُجوه الوَهْميّة النّسائيّة مِنْ دونِ أَنْ تَسْمحَ للصّراع السّوري أَنْ يُؤثّرَ على عَمَلها.

«أَكْره السّياسة، ولَيْس لِي أيّة علاقةٍ بِها»، تَقولُ سيلفا: «بالنّسبة لي، ذَلكَ يُشْبه المَرَض وأنا لَسْت مُضطرّةً لأنْ أُغيّر ما أَقوم برِسْمه فَقطْ لأنّهم يَقْتلون ويَرْتكبون الجَرائم، لا أُريدُ أَنْ أُضيفَ الدّماءَ إلى أَعْمالي، ذَلك فَوْق تَصوّري، لا أُريدُ أَنْ أَكونَ فنّانةً ماديّةً، وأَبيعَ نَفْسيَ مِنْ خِلالِ الثّورة».

وتُتابع سيلفا: «الأَحْداث لَمْ تُؤثّر على تَوجّهي وأُسْلوبي، لَقدْ جَعلتْني آخذُ مَنْحىً مُخْتلفاً فقط، لَقدْ بَدأْتُ بالهُروبِ، بَعْضُ النّاسِ يَجب أَنْ يَظلّوا في الكَواليس، وأَعْتقدُ أنّ الثّورةَ السّلميّة هي التي تَسْتطيع أَنْ تُغيّر شَيْئاً ما، أمّا العُنْفُ فلا يولّد سوى العُنْف».

أمّا (**عبدالله العمري**) المَوْلود عام ١٩٨٦، والمُقيم في دِمشقَ حتّى الشّهْر الماضي، قَبْل أَنْ يَضطّر للفرارِ إلى جورجيا، فَيَعْمل الآنَ على فيلمَيْن، فَضْلاً عَنْ سِلْسلةٍ مِنَ اللّوحاتِ التّصويريّة الواقعيّة -ومُعْظمها لأطفالٍ سوريين- تَحْضيراً مِنْه لِمَعْرضه الخاصّ الأوّل «الأَطْفالُ في مُواجهةِ الحَرْب».

إضافةً لِذَلك، يَقومُ العُمريّ بِتَحْميل صُوراً مِنْ عَمَله «الفنّ والحريّة» على مَوْقع التّواصلِ الاجْتماعيّ «فايسبوك» مِنْ خِلالِ صَفْحته الشّخصيّة.

«الفايسبوك مُهمّ جِداً كَوسيلةٍ سَريعةٍ للْوُصولِ إلى النّاسِ في جَميع أَنْحاء العَالَمْ وهُو يُسهّل لَنا

صورة المقال الأساسي

إظْهارَ أَعْمالَنا إلى الجُمْهور»، ويُتابِع الفنّان شَرْحه في مُقابلةٍ على الإيميل الإلكتروني: «أنا أرْسُم الأَطْفال، الأَطْفالَ السّوريين في وَضْعهم الحاليّ، أنا أَرْسُم صِلَتهم بالواقِع السّوريّ، وتأثّرهمْ بِه».

و أَعْماله تَرْتكز على المفارقات: «رَأَيْتُ طِفلاً يَحْمل موزة على أنّها بُنْدقية، ورَأَيْتُ طِفلاً آخرَ بوجْهٍ مُغطّى بالأَلْوان، ألوانٌ طبيعيّةٌ كَمنْ يَلْعب لِعْبة، لكنّه كانَ كَمنْ يَخْرج مِنْ تَحْت أَنْقاض مَنْزله المُتهدّم، ووَجْههُ مُغطّى بالجروح والدّماء. الأَطْفال هُم أَكْثر المُتضرّرين ممّا يَجْري حَوْلهم، وذَلك سيُؤثّر بِشكْلٍ أَساسيٍّ على تَكْوينهم في المُسْتقبل».

كثيرٌ مِنْ صُور العمريّ هِي أَزْياءٌ غامِضة، تَخُوضُ في تَفاصيلِ بَعْض الأَلْعاب الطّفوليّة التي لَها الآن دَلالاتٍ أَكْثرَ سَوْداوية. «النّاجي الوحيد» مَثلاً، هو عَملٌ يُظْهر فَتىً يُحدِّق في قطْعةٍ مِنَ القِماش، ووَجْهه مُغطّىً باللّوْنين الأَحْمر والأَسْود، وكأنّ الكَدَمات، والدّماءَ تُغطيانَه، خاصّة تَحْت أَنْفِه وعلى ذَقْنه.

«عَلْينا جَميعاً أَنْ نُحاولَ عَزْل الأَطْفال قَدْر الإمْكان عَنْ كلّ ما يَحْدث»، يَقولُ العمريّ: «لِتفادي كلّ الأَضْرار التي يُمْكن أَنْ تُصيبَهم في المُسْتقبل، فكلّ شَخْص يَعيشُ في هذا البَلدِ يَتأثّر بِما يَجْري، وأنا لا أُريدُ أَنْ أَكونَ سَلْبيّاً، لِذلكَ أَرْسم لَوْحاتي في مُحاولةٍ لأَنْ أُحدِثَ أَثَراً إيجابيّاً نَحْو التّغيير».

ويَبْدو أنّ الهِجْرةَ القَسْرية قَدْ خَلَقت فَلْسفةً خاصّةً لدى العُمريّ فَيقول: «في بَعْضِ الأَحْيان، نَحْتاجُ أَنْ نَذْهب إلى مَكانٍ بَعيدٍ كَيْ نَسْتطيع فِعْلَ شَيء جيّد لنا، ولبلدنا، وللعالَم كُلّه».

ترسانة الفنّ السّوريّ

وائل زكي زيدان

لَمْ تَكْترث أَنْظمة الحُكْم ومؤسّساتها عَبْر التّاريخ بتَطْوير مِيراثها منْ الطُّقوس، كَمَراسم تَنْصيب المُلوك، والحُكّام، والبُروتوكولات المُخصّصة لاسْتقْبالهم وتَوْديعهم. ولَمْ يَخْطر لَها مُطْلقاً الاسْتعانة بالفُنونِ المُخْتلفة لأنّ الهَدَف الأَساسيّ منْ تِلْك الطّقوس والمَراسم، كَانَ تَكْريس هَيْبة الحكْم وإبْراز سَطْوته أَمَام النّاس. لِذَلك اتصفَت تِلْك النُظُم وطُقوسها عَبْر التّاريخ بالجُمود، والثّبات، والإفْتقار إلى التّجْديد. ولَمْ تَتْنبه الشّعوب (المُنْتج الأساسيّ للفُنون والفُلكلور) إلى الاسْتعانة بِهذا الإرْث كَسِلاح مَحْمول في وَجْه الاسْتبداد، إلاّ في العُصُور الحَديثة معْ نُشوء فكْر المُقاومة السّلْميّة، وهُو بالضَبْط ما قَامَ به الشّعب السّوريّ الأَعْزل لكَسْر الهَيْبة والخَوْف الذي كَدّسه النِظَام، ورَاكَمه منْذُ عُقود.

اشْتغل المُتظاهرون، ومُنْتهى العَفْويّة عَلى أَشْكال الفنّ الأَساسية الثّلاثة: الفنّ التّشْكيليّ، والفنّ الصّوتي، والفنّ الحَرَكيّ. وذَلك بالرّسْم والكِتابة عَلى الجُدْران، وإنْشاء المُجسّمات كَسَاعة حمْص التي تمّ تَجْسيدها في مَناطِق عَديدة، لَيْس فَقطْ تَضامناً مَعْ أَهْل حمْص بَلْ لإظْهار رغْبَة النّاس المُسْتميتة بالحُصول عَلى ساحةٍ ومَيْدانٍ للاعْتصام، الأَمْر الذي كَانتْ تَمْنعه قوّات النِظَام ومِيليشياتِه بالرّصاصِ الحَيّ.

والفنّ الصّوتيّ الذي تَبدّى بِاسْتخدام الطّبول، وابْتكار الإيقاعَات المُتعدّدة بالتّصْفيق، وعَن طَريق الصّوْت واسْتحْضار مُخْتلف الأَغَاني التّراثيّة، حَيْث اللّغة المُشْبعة بالسّخْرية والتّهكّم، والمُركبّة عَلى فنّ الهتاف سَدّدت ضَرباتٍ مُوجعةٍ للغةِ المُخَابراتِ والقَنْص، وأَزَاحت الهِتافات الخَشبيّة البَائسة لشخْص الرّئيس. ولَمْ يَكنْ اجْتِثاث حُنْجرة المُنْشد الثّوريّ ابْراهيم القَاشوش في حَماه إلاّ دَليلاً عَلى انْتصار الفنّ.

في مِضْمار الفنّ الحَرَكيّ شَاهَدنا رَقْصاً جَمَاعياً، وحَلَقات دَبْكة في مُخْتلف المُظَاهرات وشَاهدْنا أَيْضاً تَقْديم المَشَاهد المَسْرحيّة السّاخرة منْ كلّ رَدّة فِعْل قَام بِها النّظَام والمُجْتمع الدّوليّ مَعاً، كَان يُؤدِّيها أُنَاسٌ عاديّون. وفي تَعْليق لضَابط اسْتخْبارات أَمْريكيّ عَلى أَحَد المَشَاهد المَنْشورة على اليوتيوب، والتي تَتَهكّم عَلى زَعْم النّظَام بأنّ هَؤُلاء مُجرّد مُسلّحين وإرْهابيين. قَال الضّابط : «حلّلنا الفيديو وتَفحّصْناه، وعِنْدما اكْتَشفنا أنّ البَنادق التي ظَهَرت بأَيْدي المُمثّلين عِبارة عنْ دُميً وفَاكهة، انْفَجرنا بالضّحك».

نَحْن أَمَام ثَوْرة شَعْبيّة غَيْر مُسلّحة، تَسْتَحضر كلّ مَوْروثها الفَنّي لِتُواجه آلَة القَمْع والإرْهاب. أَيْ الرّد عَلى التّعَابير الهَمَجية بِمُفْردات وتَعَابير فَنيّة، جَرَى فيها ابْتداعُ كَلماتٍ وإيقَاعَات جَديدة، وإهْمال أُخْرى لتَتَوافق مَع اللّحْظة الثّوْرية الزّاهنة. اشْتَركَت بإبْداعه مُخْتلف شَرائح المُجْتمع السّوري منَ العَرْبجي إلى الطّبيب وأُسْتاذ الجامعة، فالمُساهَمة بالإبْداع لَمْ تَعُد هَذه المَرّة حِكْراً عَلى الخَاصّة أَوْ الطّبَقة الوُسْطى. طِوالَ فَتْرة المُظَاهرات، كَانَ يَجْرى بَيْن المَنَاطق تَبَادل المَعْرفة الفَنّية وتَعْميمها باللّحْظة والثّانية عَبْر وَسَائل الإعْلام ووَسَائل التّواصل الإجْتماعيّ. ولَقَد تَنبّه النّظَام إلى الكَمّ الهَائل مِنَ الفيديوهات المُنْتشرة والتي سَتَكون شَاهداً عَلَيْه في المُسْتقبل، لكنّ قِطْعان المُؤيّدين الذين لا يَتَحرّكون ولا يَتَكلمون إلاّ بأَمْر، وبِما تُمْليه عَلَيْهم الإدَارة السّياسيّة، خَذلوه في ابْتداعِ حَالاتٍ فَنيّة تُقَارع الحَالَات التي يَبْتدعها المُتَظاهرون. لذَلك، وفي خُطْوة بَاهتة لِمحْو التّاريخ وَرَدمه، قَامُوا بأَخْذ وسَرقة أَغَاني الثّوار واسْتبدال كَلماتِها بكَلمات أُخْرى تُكرّس العُبوديّة لِشَخْص الرّئيس دونَ أنْ تَبْتدع، أوْ أَنْ يَكون لَها أَيّ خُصوصيّة. كَما فَعَلوا بأُغْنيةٍ للمُنْشد ابراهيم القاشوش. ومنْ شدّة فَقْر الجانِبِ المُؤيّد للاسْتبْداد وارْتباكه، صَار النّظَام مَثَلاً يُكرّر عَلى مَسْمع الجُنود الأَغَاني القَديمة الجَاهزة التي قِيلتْ في الرّئيس، كأُغْنية (حَمَاك الله يا أَسد) للْفنّانة أَصَالة نَصْري التي انْحَازت للثّوْرة منْذُ بِدَايتها. يَنْشر أَغَانيها القَديمَة وَيَقود في نَفْس اللّحظة حَمْلة تَشْهير ضدّها.

مِنْ أَكْثر المَشَاهد الفَنيّة فَرادةً في الثّوْرة السُّورية حِين غَنّى المُصلّون في أَحَد جَوامِع مَدينة دوما أُغْنية سميح شقير الشّهيرة (يا حيف)، لَقدْ انْتَقلت تِلْك الحَادثة مِنْ كَوْنها رداً عَلى اتهامات النّظَام بأَنّ مَا يَحْدث في سُورية هُو رجُوع إلى عُهُود الظّلام والتّعصّب، إلى إظْهار حَقيقةِ التّدين وطَبيعته في بِلادِ الشّام ككُلّ. ذَلك التّديّن الذي تَحوّل عَلى أَيْدي الأُمويين إلى فَلْسفةٍ ومَذَاهب كَلاميّة مُخْتلفة، وانْتَقل بِفَضْلهم إلى بَقيّة أَنْحاء العَالَم.

أَذْكر أَنّ أوّل إشَارة مُقْلقة لِتَجْريد المُتَظاهرين منْ سِلاح الفنّ، والتي لَمْ تَأْتِ منْ جَانب النّظَام، كَانَت عنْدما تَحدّث عبْد الباسط السّاروت مَع قَنَاة (وِصَال) الوهّابيّة في أَوْج أَحْداث حَيّ البَيّاضة. فَفي اتصَالٍ لَهُ، شَكَر السّاروت مُقدّم البَرْنامج، والضّيْف الشّيْخ، والقَنَاة على تَغْطيتها التَظَاهرات السّورية وتَعَاطفها مع الثّوْرة. فَمَا كَان منَ الشّيخ إلاّ أَنْ بَدَأ بتَقْديم نَصَائحه للسّاروت بأَنْ لا يَأْخذوا أَغْراضهم (نِسَائهم) إلى المُظَاهرات، وأَنْ يَمْتنعوا عَنْ تَرْديد الأَغَاني لأَنّها حَرَام، وأَنْ يَكْتفوا بالتّكْبير.

القطط الثائرة .. عشّاق الحياة!

علي حمودي

«مُهْداة إلى أَرْواح الشّهداء: إنْعام يَاغي، مُلْهم رسْتم، عَلي القَطْريب، كَريم عَوَض، أبو حَيْدر، شادي كرديّة، أَنْور الدّعاس، عُمَر الدّعاس، أُسَامة سَلْهب، خَالد القَصير».

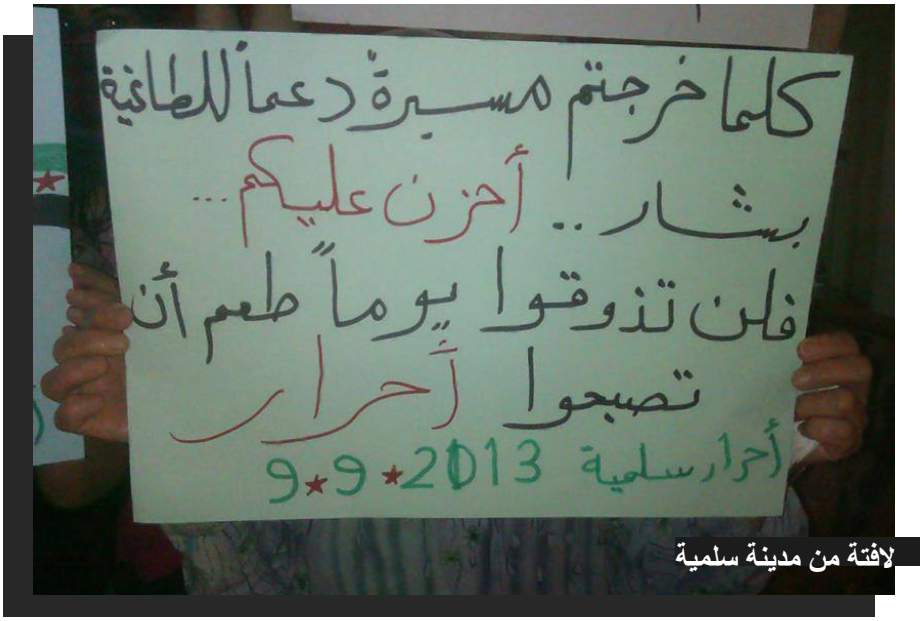

لافتة من مدينة سلمية

تُلاحقهم عُيون الفُضوليين والشَّكّاكين أَيْنما اتجَهوا، يَظْهرون فَجْأةً .. ويَخْتفون فَجْأة، وبِهُدوءٍ مُطْلق .. وثمّ!! حَمْلة مَسْعورةٌ واسْتنفارٌ تَام في كَامِل صُفوف قِطْعان الأَمْن والشّبّيحة لِتقفّي أَثَرهم بيْن طيّات الرِّياح ..

إنّهُم دُعَاة سَلَام، يَكْرهون رَائِحة الدِّمَاء ويُحبُّون لَوْنها، الثَّوْرة الدَّائمة هي أُسْلوب حياة، لا حَيَاة للحُكّام والزّعَماء. يَبْحثون عَن القَائِد الحَقيقيّ لِبلادِهم .. ولا يَكفون!

أَتحدّثُ عَن شَبابٍ اخْتَلفت أَعْمارهم، وثَقَافاتهم ومُعْتقداتهم، واتفَقَت أَحْلامهم. سِلَاحهم بَخّاخاتهم، وأَوْراقهم، وأَقْلامهم، وَلَافِتاتهم، ورَايَاتهم، ومُكبّرات الصَّوْت، وكلّ مَا يَسْتطيعون جَمْعه مِنْ طُوبٍ ودَوَاليب، وبَرَاميل قُمَامة، وحِجارةٍ لِمَقاليعهم المَشْدودة دَوْماً؛ والجاهزة لإطْلاق قَذَائف غَضَب السِّنين الطَّويلة؛ جَاهزةٌ لإطْلاق صِراخ وأَلَم كلّ مَنْ دُفِن بِأَقْبية أَكْثر السُّجون هُولوكُوستيّةً على مَرّ العُصُور في وَجْه أَسَاطيل نَيْرون هَذا الزَّمان..

مَعْركتهم مَعْركة وُجود، ولا تَعْنيهم كلّ اسْتعْراضات القوّة التي تَجْري أَمَامهم، ويَعْتبرون أَنْفسهم مُجرَّد أَرْقامٍ بالنّسْبة لِثَوْرتهم، رَقمٌ كَشهيدٍ أَوْ مُعتقل أَوْ مُهجّر.. فالثَّوْرات أَعْظم مِنْ أَنْ تَكْتفي بِما نُقدمه، لِذَلك يَتَزاحمون للحُصُول عَلى رَقمٍ يُحَاسبون فيه المُتخَاذلين مُسْتقبلاً، ويَعْلم الشّبّيحة أَنّهم يُوَاجِهون عِصابةً لا تَهَاب الحَياة... فيَسْتميتون في الدِّفاع عَنْها.. لِذَلك يُواجِهون مَقَاليعهم بِأَرْتالٍ مِنَ السَّيّارات المُدجّجة بالحِقْد.. أَلِهَذه الدَّرجة يَخَافون ثلّة مِنْ عُشّاق الحَيَاة البُسَطاء؟؟؟ أَيُسبّب العُشْق كلّ هَذا الخَوْف؟؟!!

مَشْهدٌ مِنْ مُظَاهرة :

حرية حرية ... حرية حرية ..

سوريا لينا و ماهي لبيت الأسد

عاشت سوريا و يسقط بشار الأسد ....

كَانوا قَرَابة المئتيْن في حيّ جُورة الحرّيّة في مَدينَة السّلميّة.. أَصْواتهم مَلَأت السَّماء في لَيْلة الميلاد.. خَرَجوا رُغْماً عَن أُنُوف أَهَاليهم الذين تَمَنّوا أَنْ يَقْضوا سَهْرةً سَعيدة مِنْ دُون مَشَاكل .. احْتَفلوا أَنْتم .. أَمَّا نَحْن فَلَدَيْنا وَاجبٌ للتّاريخ!! التَّجْهيزات كلّها عَلى أَتمّ الاسْتعداد، تَوَزّعت الرَّايَات وقُبَّعات سانْتا كلوز.. يَحْضر (الهَتّيفة) قَادةُ التَظَاهرة، ومَعَهم بِضْعة شَبَاب للحِمَاية، الحِجَارة جَاهِزة .. أُغْلق الحَيّ بالطُّوب عَلى المَداخِل.. يَصْنعون بقْعةً مُحرَّرة مِنْ كلّ مَا صَنَعتْه السِّنين العِجاف الأَرْبعين عَلى سُورية، الكَشّافون عَلى امْتداد الشَّوارع المُحيطة. كلّ الطُّرقات مَرْسومةٌ مُسبَقاً، تَوقّعات الإصابات ثَلَاثة، تَوقّعات الإعْتقال خَمْسة أَوْ ستّة لأنّ الوَقْت المُتوقّع أَطْول مِنَ المُعْتاد!! .. حَمَلَةُ المَسَامير، والمَشَاعل، والدَّواليب المُشْبعة بالزّيوت والوُقود عَلى أَبْواب مَنافذ الطُّرق، هَاهُو المُخْبر يَتّصلُ بِقُوّات الأَمْن، دَقَائق مَعْدودة.. تُطْلَق الصَّفارات وتَهْدر المَاكينة الأَمْنيّة، وتَمْلأ أَنْوار الكَشّافات المَكَان ..

(واطلق كلابك.. في الشّوارع..واقفل زنازينك.. علينا...إتقل علينا بالمواجع.. إحنا اتوجعنا واكتفينا.. وابتدينا نسلك طريق مالهش راجع ..والنصر قريب من عنينا النصر أقرب من إدينا)١*

يَتَراجَع خَطّ الدِّفاع الأَوّل للانْضمام إلى الجُمُوع المُتَواضعة بَعْد أَنْ عَطّل حَمَلة المَسَامير تَقدّم قَافلة السَّيّارات. يُجَنّ جُنُونهم، فيَبْدؤون بإطْلاق القَنَابل الصَّوْتيّة والرّصَاص الحَيّ في السَّمَاء... يَبْقى اثْنان مُكلّفان بإشْعال الإطَارات، يَفْشلون في الوُصُول لِغَايَتهم، ويُحَاصرون في زَاويةٍ شِبْه مَكْشوفة، ثمّ هَجْمةٌ عَكْسيةٌ لإنْقاذ المُحَاصرين.. الحِجَارة تَتَساقط عَلى قِطْعان الشَّبّيحة مِنْ كلّ مَكَان، تَتَكسّر سَيَارتان: السَّوْداء والبَيْضاء. أَمْن عَسْكريّ وجَويّ!!

.. أَكلْناها يا شَباب!!.. ويَبْدأ الاشْتباك. تَنْفجر جُمُوع الأَمْن بالغَضَب فيَبْدؤون بالتَّوحّش أَكْثر ويَشْتدّ إطْلاق النَّار مَع احْتمال التَّصْعيد، وتَعمّد إصَابة المُتَظاهرين .. وتَنْقلب مَوازينُ القُوى لِصَالح الأَمْن، ويَتَفرّق المُتَظاهرون بِبِضْعة إصَاباتٍ جِرَاء ضَرْبهم بالهَرَاوات وأَكْعاب البَنَادق، وخَسَارة خَمْسة شَبَاب اعْتُقلوا بالاشْتباكات، وتَعَرّض إحْدى الفَتيات للإصَابة، وسَيّدتيْن مِنَ اللاتي اشْتَبكن بالأَيْدي مَعَ رِجَال الأَمْن لِتَخْليص المُتَظاهرين مِنَ الاعْتقال .. كَانَت (الحجّة) كَمَا تُلقّب، إحْدى المُصابات .. دخيل عينك يامو .. يا جبل ما يهزّك ريح!! والأُخْرى أُصِيبت برَفْسةٍ عَلى رَأْسها، ضَرَبها أَحَد الشَّبيحة بَعْد أَنْ مزّقَت ثِيَابه..

التَّخْطيط للتّظَاهرة يَتمّ خِلَالَ أَيّام الأُسْبوع، البَرْنامج كَالتّالي، تَحْفظه أَفْرع الأَمْن أَكْثر منّا، تَظَاهرة طلابيّة، وتَظَاهرة للنِّساء، وتَظَاهرتيْن طيّارَتيْن عَلى الدّراجات النّاريّة، أَوْ أَكْثر إذا اسْتدعى الأَمْر ذلك، والتَّظاهرة الرَّئيسيّة يَوْم الجُمْعة.. وهَذه التَظاهرات كَانَت تَتم بالتَّزامُن مَع نَشاطاتٍ أُخْرى، كَعَمليّات البَحْث، وتَوْزيع البَيَانات والمَجلّات الثّوريّة، ورَمْي المَنْشورات والقُصَاصات في شَوَارع المَدِينة والمَدَارس والدَّوائر الرَّسْمية، بالإضَافة إلى تَنْظيم حَمَلات الإضْرابات والحِرَاك المَدَنيّ، كَمَا كَانَ يَحْدث يَوْم الأَرْبعاء في السَّلَمية، فَقَد كَانَ الأَرْبعاء مُخصّصاً لِما يُسّمى بِحِراك (الشّارع إلْنا) وهي فِكْرة ظَهَرت بَعْد

ضَرْب حِراك التَّظاهر بتاريخ ٢٠١١/٨/١٥ وحَمْلة الاعْتقالات المَسعورة الشّهيرة في مَدينَة السّلَميّة، والفكْرة تَقوم على التَّواجد في أحد الشَّوارع والسَّيْر بعَشْوائيّة بِشكْلٍ صَامت تَمَاماً، وعَدَم القيَام بأيْ حَرَكة تَدلّ عَلى التَظاهر، ممّا كَانَ يُثير جُنُونهم، فلا يَعْرفون ماذا سَيَفْعلون..

لَمْ يَكُن شبَاب السَّلَميّة عَاجزين عَن الخُروج بأَفْكار جَديدة لإثَارة القَلَق والبَلْبلة، كَانَت رَايَات الثَّوْرة تُرْفع في كلّ مَكَان، في المَشَافي والدَّوائِر الحُكوميّة والشَّوارع الكَبيرة، فَقدْ تَميّزت السَّلَميّة -المَدينة الثَّانية التي التَحَقت بالثَّوْرة بَعْد دَرْعا الوَطَن- بأَنّها أوّل مَدينةٍ تَحْت حُكْم النّظَام رَفَعت الرَّايَات الخَضْراء في كلّ مَدارسها دون اسْتثْناء، فقدْ اسْتَيْقظت المَدينةُ في صَبَاحٍ شِتائيّ عَلى أَصْوات مُكبّرات الصَّوْت في المَدَارس - والتي كانَتْ تُسْتعمَل لتَرْديد شِعَارات الدَّجَل الصَّباحيّة- وهي تَسبُّ وتَشْتم الصَّهاينة الذين بَاعوا الجُولان والقُدْس، وأَنْزلوا عَلَم الوَطَن الكَبير إلى مَا تَحْت الصَّرامي، ونَتيجةً لذَلك انْتقموا أَشدّ انْتقام، حَرَقوا رَايَتنا وداسوها بأَقْدامهم، واعْتُقل طُلابٌ كُثر، وطُرد آخرون، واسْتمرّ التَّشْبيح عَلى قَدَم وسَاق لمدّةٍ طَويلَة، وتَحوَّلت المَدَارس إلى مُعَسْكراتٍ للتَّحْقيق، وقَامَ العَديد منْ مُديري المَدَارس بتَرْكيب كَاميرات للمُرَاقبة.. لتَكُون الصَّدمة بنَفْس اليَوْم بحَمَلات الشَّباب البخَّاخين التي طَالَت كلّ مَكَان، حتّى سَيّارات الشّرْطة... فَقدْ وَصَلت القطَط إلى المَحْكمة، وإلى شِعْبة كَذب البَعْث، والمَشْفى الوَطنيّ الكَبير- والذي تَحوّل في هَذه الأيّام إلى مَرْكز للتّمْثيل بجَثَامين الشّهَداء، وجُثَث القَتْلى (المَشْكوك بعفّتهم وأَصْلهم) عَلى مَرْأى منْ كلّ النّاس.

من حياة الرجل البخاخ:

فسسست .. فسسسسسست ...فسسست ..فسسسسست.. الآن اكْتَملت الكَلمة الأُولى، المَرْء في هَذه الحَالَة لا يُمْكن أَنْ يَرى شَيْئاً، فالظَّلام دَامس، و الشَّوارع مُعْتمة، ولا يَعْمل مِنَ الحَوَاس الخَمْس إلاّ ... السَمَع.

لا تَسَلْ لِمَاذا يَفْعل هذا !! سَيَفْعله، لأَنّه مَفْطور على الثَّورة.

نَحْن جَميعاً نَعْلم أنّ التّعْبير عَنْ الرَّأْي في بَلَدنا هُو عَمَل فدائيّ .. وهُو الآن يَقوم بِعَملٍ فِدائيّ. هَل يُمْكنك تَصوّر عَاقبة مَا يَقُوم به ؟!، إنّه في أَحْسن الأَحْوال سِجْن .. وتَشْريد .

سَأَحْكي لَكُم مِنَ البِداية:

لَمْ يَكُن يَرى، إنّما يَسْمع فَقَط، كَانَت دَقّات قَلْبه واضِحَة جَليّة للسَّامعين، لَمْ تَكُن مُنْتظمة أبَداً، وَسَريعة. أمّا أَنْفاسه فكَانَ صَوْتها بالنِّسْبة لَه كَالأَبْواق، يااااااااااه ما أَقْواها !!!

هَلْ الخَوْف هُو مَنْ يَفْعل بِهِ هَذا؟!

كَانَ يَسْمع كلّ تَفَاصيل الأَصْوات المُحيطة بِه.. كَانَ يَعيش دَقّات مُحرّك الدَّراجة النّاريّة التي يَسْتخدمها في كلّ جِزْء صَوْتيٍّ مِنْها.. ما أَبْشع الضَّجيج في لَحَظات يَلفّ فيها الصّمْت القَاتَل كلّ الشَّوارع.

ها هو يَصِل.. ويَتوقّف ليَلْتقط أَنْفاسه، ويَحْزم أَمْره، ويُقرّر:

- نَعم .. سَأَنزل.

عنْدها أحسّ وكأنّ كلّ أَرْواح الشُّهداء تَمثّلت أَمَامه مُبْتسمة .. فَخُـورة بِعَمَله البَسيط، وأَحسّ أَيْضاً أنّ المَكَان مُحَاط بالأَشْباح..ولَكنْ لا يَهُم، فالمَلَائكة تَطْردهم لِتَحْميه، يَنْزل عَن الدَّراجة .. (الله يحْميك) يَقُول صَديقه سَائِق الدَّراجة.

خُطواته على الأَرْض كالزّلازل.

لا..لا.. مَهْلاً !! سَتَسْتيقظ الغُرْبان لتُخْـبر عَنْك.. مَهْلك..هَدّئ مِنْ رَوْعك، ومِنْ خَطَواتك، .. ولَكنْ ... اللّعْنة!!! صَوْت جَديد يُعكّر سرّية العَمَل، إنّه صَوْت احْتكاك أَكْواعه بخَاصرتيْه.. اللّعْنة!!

افْتَح يَديْك قَليلاً -يَا أَنَا- عنْدَما تَمْشي!!

خُطْوتان..ثَلاثَة..هَا قَدْ وَصَل إلى الجِدار.. الآن خُذْ مِنْ هَذا الزّمن المَديد لَحْظة اسْترخاء ..وصفِّ ذِهْنك..

آ آ آ .... مَا هَذه الحَرَارة التي تَلْسعه في أَوْردته؟!، هَلْ ارْتَفعت حَرَارة دَمِه؟ .. أَحسّ بحرْقة تَلْسع جُدْران أَوْردته وشَرايينه الدَّاخليّة..حرْقة تَزْداد بازْدياد سرْعَة جَرَيان الدَّم عَلى طُول الجَسَد... لا بَأْس..إهْدَأْ!!

ما هَذا الصَّوْت الجديد؟ كَأنّه هرٌّ يَنْبش كيس قُمامة منْ بَعيد؟ نَعَم..إنّه يَسْمع بوُضُوح صَوْت احْتكاك أَسْنانه بالكيس.. يَسْمعه بكَامل الوُضُوح الذي يُمْكن أنْ تَتَخيّلوه، وصَوْت غَرْغرته أَيْضاً.

يَجبْ أَنْ تَنْسى.. اسْحب نَفَساً عَميقاً قَبْل أَنْ تَبْدأ، إنّي أَسْمع صَوْت أَوْراق الشَّجَر تَتَحرك بشدّة، وكأَنّك سَحَبت كلّ الهَوَاء في الشَّارع الضّيق.. رَائِحة الحرّية!!

تَبْتسم لَه أَرْواح الشُّهداء (مجدّداً) .. تِلْك الحَاضِرة مَعنا أَيْنما ذَهبْنا، (يَرجّ) بَخَّاخته ..« يا ربّ العَالمين !!!» ويَبْدأ.

-اخْتَصر .. اخْتَصر قدْرَ المُسْتطاع كلّ ما يَدُور في ذِهْنك، وأَذْهان رِفَاقك.. كَلمتيْن يَكْفي.

-لَيْس لَديّ منِ الوَقْت لِأَكْثر مِنْهما..هيَّا يَا ذَاكرتي .. سَاعِديني.

إنّه يَقْتل، يَحْرق، يُحَاصر، يَعْتقل، يَضْرب... فلْنَبْدأ أيّتها اليَدُ برَسْم (اليَاء.(...

تُطَالعه أَفْكار أُخْرى: سَرقة .. سُجون .. سِياط .. سَحق.. وها هُو حَرْف (السِّين) يَشدّ عَلى ذِراع (الياء).

ثمّ: قَهْر .. قَتْل .. قَمْع .. قُوات.. فَيَتموْضَع (القاف) شَامخاً في مَكَانه.

بَقي حَرْفٌ أَخير لإنْهاء الكَلمة الأُولى:

طَيَران حَرْبيّ .. طَلَقات نَاريّة ..طَقْطَقة العِظَام..

اكْتَملت الكَلمة الأُولى الآن.

اللّوْن الأَحْمر يُضْفي عَلَيْها حَمَاساً رائِعاً، ويُتَمْتم بصَوْت خَافتٍ جُمْلة دُون تَوقّف: «أيّها الوَغْد المُدّعي الفَضيلة، كلّما زُدْت في تَعْذيبي زُدْت في تَرْسيخ مَبادئي أَكْثر» ويَهُـمّ بإكْمال الكَلمَة الثّانية.. دَقَائق قَليلة بَعْد انْتهائهم، وتُهَاجم الكَلمتيْن اليَتيمتيْن كلّ قُوّات الأَمْن المُدجّجة بمُخْتلف أَنْواع الأَسْلحة، دَقَائق قَليلة.. وتُصْبح آثَارهم عَلى الجُدْران بِمَثابة جَرائم ضدّ الإنْسانيّة...

- لا بَأْس.. سَيفْعل الكَثير.. فنَحْن نُوَاجهه بمرآةٍ .. ولَكنْ يَبْدو جَليّاً أنّه لمْ يُعْجب بمَا يَرى.. لذَلك أَرْسل كلّ قُوّاته لتَقْمع كَلمَاتي...فَفَشلت.. وخَابَت بَعْدما انْطَلقتْ تَحْملني رِيَاح الحرّية إلى رفاقيَ المُنْتظرين.

تَوْزيع المهمّات يتمّ حسْب القُدرات البَدنيّة والمَوَاهب التي يَمْتلكونها، فالأَصْوات الجَميلة والقَالِعة للهتاف، الرّسّامون، وأَصْحاب الخُطُوط الجَميلة لتَجْهيز الرّسومات واللافِتات، أَصْحاب اللّيَاقة العَاليّة والقُلوب المُتَماسكة يَعْملون كبَخّاخين أَوْ يَقُومون بمُهمّات تَحْتاج إلى الخفّة والتّسلّق والتّوَازن، مُحْترفو قِيَادة الدَّراجات النّاريّة هُمْ العُنْصر الأَهم والرّكيزة الأَساس في العَمَل، فهُم يُرَافقون البَخّاخين، ومُوزّعي المَنَاشير، والكَشّافين، وفي المُظاهرة هُمْ المَسْؤولون عنْ سَلامة الإعْلاميين، وحَمَلة الكَاميرات، ومُكبّرات الصَّوْت، وما شَابَه، وهُمْ يَحْفظون الطُّرق البَعيدة، ومَخَابئ الثُّوار، وتَقَع على عَاتقهم إيصَالُ المُسَاعدات إلى المَنْكوبين، وأَمّا قَادة الحِرَاك فهُم الشَّباب الأَكْثر شَعْبيّة في الشَّارع، ولا يَسْتطيع ابْن الرَّب حتّى أَنْ يَفْرض نَفْسه كَزَعيمٍ أَوْ رَئيسٍ عَلَيْهم، فَهُم يَعْلمون الفَرْق ما بَيْن القَائِد والزَّعيم، قَادَتهم يَتقدّمونهم بالعَمَل، ولَيْس

لَهُم رَأْي إلاّ بَعْد آرَاء الجَميع، وطَبيعيٌّ جِداً ألاّ يُؤْخذ رَأْي القَائد إذا لَمْ يُعْجبهم، لايَهمّهم منْ هُم في كَواليس السّياسة، ولا يُحبّون حتّى خَوْض الأَحَاديث فيها.. ولَهم مُمثلون ليَتحدّثوا عَنْهم في جَلَسات التَّنْسيق أوْ المُفَاوضات أوْ مَا شَابَه، لأنّهم لا يُطيقون الجَلَسات الرَّسْميّة والنّقاشات التي لا تُحْدث ضَجيجاً وبَلْبلةً في الشَّارع، ويَعْتبرونها(علاك بعلاك).

.. رِضَاهُم هَام جدّاً في سَبيل نَجَاح أيْ مَشْروع عَمَل يُطْرح مِنْ قِبَل أيّ جهةٍ كَانَت، وعَلاقَتهم مَع صَفحات الإعْلام فَاشلةٌ جدّاً وفي حَالَة عِراكٍ دَائم، يُهَاجمون مُمثّليهم ولا يَهمّهم مَا يَقُول إعْلام النّظَام، وحتّى لا يُضيعون وَقْتهم في مُتَابعته، ولا يَهمّهم حَجْم الشَّارب الذي أمَامَهم، ومَنْ صَاحبه. ولَكنّهم مَع ذَلك، لَهُم عَرّابون مِنَ الرِّجَال الكِبَار..

هُمْ مُهجّرون عَنْ بُيوتهم، مُلاحَقون أَمْنياً، لا يَمْلكون فِراشاً يُلقون أَجْسادهم المُتْعبة عَليْه، يَمْلكون حُبَّ الشَّارع فَقَط، لَهُم مُعْجبينهم الكُثُر ومُحبّينهم، وتَوْجيه أَحَدهم دَعْوةً لَهُم ليَقِيهم منْ قَسْوة الشَّارع وخَطَره في مَنْزله، يُعْتبر قِمّة التَّرَف لَهم. وإنْ لَمْ يَجِد، فَسَيقْضي لَيْله في أَحَد المَخابِيء البَعيدةِ أوْ عَلى أَحَد الأَسْطح المَهْجورة، أوْ يَتجمّعون في الزّقَاقات المُعْتمة والهَادئة، ليَبْتعدوا عَنْ عُيون المُرَاقبين، والمُخْبرين، والمُتَسائلين، لِيَبْقوا جَاهزين لأيّ مُهمّة مُفاجِئة، قدْ تَكون خَطرةً جدّاً وفِدائيّة أَحْياناً، وقَد لايُعودوا منْها أَبَداً..

يَحْفظون مَدينَتهم عنْ ظَهْر قَلْب، ويَسْتطيعون الوُصُول إلى أَكْثر ممّا يُريدونَ عبْر شَبَكةٍ طَويلةٍ من الأَسْطحةِ، والزَّواريب، والمَدَاخل، والمَخَارج، يَعْملون في صَمْت وهُدوء، لا يَعْرفون مَاذا تَعْني كَلمة مُسْتحيل، أوْ كَلمة جُنُون، أوْ تَذمّر.. نَتَائج أَعْمالهم كَارثيّة .. وحُضُورهم قوّي في كلّ مَايَدور على امْتداد شوَارِع الوَطَن، وبمُجرّد خُرُوجهم منْ أَرْض المَعْركة يُجنّ جُنون الشَّبيحة، يُحاصَر المَيْدان وتَبْدأ أَعْمال الكَنْس والتَنْظيف وطلاءِ الجُدْران بالزِّفْت..

يَرْسمون خطَطاً جَاهزةً لكلّ شَيْء.. طَريق الدُّخول والانْسحاب.. طُرق الهُروب منَ المَكَان المُتواجِدين فيهِ..يَعْلمون تَماماً متَى يَخْتارون تَوْقيت ضَرْبتهم، فَلا تَظنّ أنّك تَجْلس في الأَمَان والدفْء بلَيْلةٍ شَتويّة مَع منْ رَافَقك منَ المُجْرمين، لِترْفَع نَخْب انْتصَارك وتَعْفيشك لأَحَدهم، فهُنَاك الآن مَنْ يَسْتعدّ لِقَلْب جوّ جَلْستك الجَميلة، وإرْسالك إلى أَبْعد ممّا تَظن.. نَعم، منَ الطَّبيعيّ أنْ تَجدَهم يُشَاغبون عَلى بُعْد عدّة كيلومتراتٍ عَن المَرَاكز الأَمْنية، فَقَطْ لأَجْل إخْراجهم منْ أَوْكارهم و(نزع مَسَاهم) تَحْت الثُّلوج، أوْ الأَمْطار والبَرْد والرِّياح..

مُنَظّموا النَّشاطات والحَملات مَجْهولون بالمُطْلق.. وطَريق الاتْصال والتَّبْليغ عَن المَواعيد والأَخْبار يَقُوم على مَبْدأ الخَلايا والحَلَقات الغَيْر مُتّصلة بِبَعْضها، فَلا تُضيع وَقْتك عَزيزي الشَّبّيح في أَسْئلةٍ لا أَجْوبة لَها.. واسْتِعْراض العَضَلات عَلى مُكَبّلي الأَيْدي.. فَهُم يَعْرفون تَمَاماً كَيْف يَعْملون .. يَحْسبون الخَسَائر قَبْل المَكَاسب .. ومُسْتعدّون لِدَفْع الكَثير وَلَوْ مُقَابل القَليل، شِعَارهم مُوجّهٌ لِكُلّ مَظْلومي الأَرْض .. (يا عشّاق الحَياة!).. ويُلبُّون النِّداء بَأيْ وَقْت، هَلْ تَسْتطيع مُواجهة كلّ مَظْلومي الأَرْض؟؟؟؟ هلْ تَسْتطيع مُواجَهة عُشّاق الحَياة؟؟؟؟؟ هلْ تَسْتطيع أنْ تَفْهم ما هُو الفَرْق ما بَيْن عُشّاق الحَيَاة وعُشّاق الشَّهادَة؟؟ أَنْتم عُشّاق شَهَادة، تَسْتشهدون لأَجْل أنْ يَحْيى الزَّعيم، وأبو الزَّعيم، عَلى أمّ الزَّعيم. أمّا نَحْن عُشّاق الحَيَاة، ولا نَهَابها، فنَمُوت منْ أَجْلها، وأَنْتم تَعْلمون هذا جَيّداً، ولَكنّكُم لا تُدْركونه.

هُم أوّل مَنْ يَخْسر، وأَكْثر مَنْ يَخْسر.. هُمْ الذين يَعْملون لَيْل نَهَار ليَعيش الآخرون بِكَرامة، فيَخْسرون كلّ شَيْء حتّى قُوت يَوْمهم .. لا تَظنّ أنّك سَتكْسر شَوْكتهم.. فَحقْدك يَقْتل بَعْضهم، ولَكنّه يُنْشئ أَجْيالاً تَسيرُ عَلى خُطَاهم .. وتَدْرس فِكْرهم وتُنْشئ مَدَارسهم .. فهُم لا يَمُوتون، ولا يَرْحَلون، بَاقُون حتّى نِهَاية الزَّمان، بَاقُون أَرْواحاً حتّى بِدُون أَجْساد، باقُون لأَجْل كلّ شَيْء، لأَجْل حَمْزة الخَطيب، لأَجْل باسِل شحَادة، وغيّاث مَطر،لأَجْل مَنْ سَجَد عُنْوةً لِصُورة فِرْعون العَصْر.. لأَجْل مَنْ قَال (أنَا إنْسان ومَاني حَيوان) .. لأَجْل ذَلك العَجوز الذي قَال يَوْماً (جابيك جابيك ..عمري ستين سنة، لو بيظل بعد بعمري يوم غير آآجيك) باقُون لأَجْل محمّد أبو العُيون .. لأَجْل درْعا التي صَرَخت منْ برَاد المَوْتى عنْدما كَتَب أبو العُيون بِدَمه «وَضَعوني هُنا حيّاً.. آني عايش همَّع، وراح أَمُوت بعدين.. بسْ بعدني بدّي حريّة.. أَمانة سلمولي على أُمّي..» بَاقون لأَجْل مشْعل تمّو، وأبُو الفُرات وحسين هَرْموش.. هلْ تَذْكرون حسين هَرْموش؟؟ .. بَاقون لأَجْل كلّ صَبايا، وسيّدات سُورية اللاتي صَرَخْن تَحْت أَنْفاس بشّار الأَسَد وهو يَغْتصبهنّ الوَاحدة تلْو الأُخْرى، ويَسْتلذ بآلامهن .. آلام البُطون التي أَنْجبت للعَالَم أَعْظم المُلُوك والمَلكات .. باقُون لِيَبْقَ الوَطَن، وتَبْقى سُورية ..

---

*١:منْ قَصيدة «شيّد قصورك» للشّاعر أحْمد فُؤاد نجْم.

#الزير_بوجريدة

من مظاهرات مدينة سلمية ٢٠١١

فنون النظام السوري

حواس محمود

كَانَ مِنَ المُفْترض أَنْ تكونَ المُعَارضة يَقظة إزاءَ كلّ مُمَارسات النّظام تجَاه ثَورةٍ مُباركةٍ عَظيمةٍ تُريدُ زَلْزلة الأَرْض مِنْ تَحتِ أَقْدام الطّغاةِ الذين يُمهّدون الطَريقَ لأَقْدام الغُزاة؛ كَما ذَهَب إلى ذَلك المُفكّر الفلسْطينيّ أحمد برقاوي.

فَمَع بِدْء الثّورةِ تَسرّبت وَثيقةٌ سريةٌ مِنْ الأَجْهزة الأَمْنيّة مُلخّصها هو تَشْويه الثّوْرة مِنْ دَاخِلها بِدسّ مُنْدسين، وَظيفتُهم القِيامَ بأَعْمالٍ ومُمَارسات تُشوّه صُورة الثّورةِ المُشرقة، والتي انْدَلعت شَرارَتها مِنْ دَرْعا، وتوزّعَت الشّعلةُ إلى بانْياسَ وحِمْص ، وحَطّت رِحالها في القامشْلي، وفي الشّام لهيبَها ونارَها الحَارقة للاسْتبْداد، والظّلْم، والقَمْع، والسّجون، والنّفي، والتّشرد، وحِرْمان الإنْسان مِنْ أَبْسط حُقوقه التي كَفَلتها له كلّ الشّرائع السّماويةِ والوَضْعيةِ، وقَوانينِ الأُمَم المُتحدّة ومَبادِؤُها.

ركّزَ النّظَام في إعْلامه على نَظَرية المُؤامَرة الكَوْنيّة، حَيْث أَنّ الأَدَوات لِهَذه المُؤامَرة هُم سوريّون، وهُمْ عِبارة عَنْ عِصاباتٍ مُسلّحة، هَدَفها حَرْف سُورية عَنْ مَسَارها القَوْميّ المُمَانع الكَبير تجاهَ إسْرائيل وأَمْريكا وغَيْرها مِنَ الدُّول المُعادية لِسُورية.

ووَجَدْنا مِصْداقاً لِذَلك التّخْطيط المُؤامراتيّ، تَمْثيليات مُخْتلة التّوازن الفنّي: فقَدْ تَمّ اتّهامُ البَشْمركة الكُرديّة العِراقيّة بالدّوْس على رِقابِ ثوّار بانْياس وإهانَتِهم، وتَوَالت التّمْثيليّات فمِنْها ما ادّعى أنّها عِصاباتٌ مُسلّحة تُخرّب في دَرْعا، سُرْعان ما اكْتُشف بأَنّ المَكَان هو بِمُحافظةٍ أُخْرى، وأَنّ العَمَليّة تَمْثيلٌ بتَمْثيل.

ومِنْ بَعْدها حَادثةُ زَيْنب التي تَمّ تَقْطيعُ أَشْلاء جُثّتها، وادّعاء النّظَام أَنّها لَيْست زَيْنب المَقْصودة فهِي حَيّة تُرْزق، وكَأَنّ التي قُتِلت كَانَ قَتْلها مُبرّر، ولَيْس عَمَلاً إجْراميّاً.

ومُروراً بِمَجْزرة الحُولة والتريمْسة، وادّعاء النّظَام أَنّه مِنْ غَيْر المُمْكن مَنْطقيّاً أَنْ تُرْتكب والمُراقبين قَريبين مِنَ المَكَان، وتَمَاماً كَما الحَال مَعَ الكيماويّ، بأَنّه مِنْ غَيْر المُمْكن للنّظَام أَنْ يَرْتكب جَريمةَ الكيماويّ واللّجْنة مَوْجودةٌ في دِمشقَ، كَمَا كَانَ النّظَامُ يَقْتل مِنَ الشّرطة في اللّاذقيّة والادّعاء بأَنّ الأَمْن لا يُمْكن قَتْلهم مِنْ قِبَل النّظَام، وكَما كَانَ يدّعي أَنّ العِصاباتَ المُسلّحةَ كَانتْ تَقْتل المُتظاهرين، وعِنْد السّؤال عَنْ مَصْلحتهم في ذَلك، كَانَ الجَوابُ لِخَلْق البَلْبلة والفَوْضى، وقَدْ حَاوَل النّظامُ وَضْع الأَسْلحة عَلى جُثَث المُتظاهرينَ لِيُبيّن أَنّ هَؤلاء مُسلّحون، وعِصاباتٍ ولَيْسوا مُتَظاهرين، لَكنّ عَدسَة تَصْوير كَشَفت التّزْوير، ونُشِرَتْ الصُّور لِتُبيّن أَنّ الوَثيقةَ السّريةَ تُنفّذ بِدقةٍ لِخَلْق صُورةٍ تَشْويهيةٍ للثّوْرة أَمَام الرّأْي العَام العَالميّ.

وتَماماً كَما حَاولَ النّظَام التّظَاهر بِمَظْهر البَريء المُسالِم تجَاه جَريمة قَتْل المُنَاضل الكُرْديّ الوَطنيّ مِشعل التمو في القَامِشْلي ٢٠١١/١٠/٧ عِنْدما اتّهمَت عِصاباتٍ مُسلّحة مَجْهولة بِقَتله، عِلْماً أَنّ النّظَام هُو الذي ارْتكَب عَمليّة الاغْتيال، ولَمْ تَكْتفِ أَجْهزة الإعْلام بِذلك وحِسْب، إنّما اعْتبرتْه شَهيداً عَلى مَبْدأ «يَقْتل القَتيل ويَمْشي بجْنازتو».

كَما أَنّ مَسْرحية وَزير الخَارجيّة السّوري وليد المعلّم ومُؤْتمره العَلَنيّ للصّحافة ونَشْره للفيديو وفَضيحةَ هَذا الفيديو، الذي كَانَ يُحَاول اتهَام المُعَارضة بالإرْهاب لازَالَت حاضِرةً في أَذْهاننا كَذلك، إذْ تَبيّن أَنّ الأَشْخاص الذين ظَهَروا في الفيديو هُمْ لُبْنانيّون، الأَمْرُ الذي أَدّى إلى اتهام المعلم بِعَرْض مَقاطِع قَديمة، وَصَفوها بالمَغْلوطة أَظْهَرتْهم على أَنّهم جَماعات إرْهابيّة مُسلّحة في سورية تُهَاجم الجيْش، واعْتَبر أَحَد الذين ظَهَرت صُورتهم في الشّريط في تَصْريح لِقناة العَربيّة، أَنّ هَذه الصُّور تَمّ الْتقاطها في طرابلس أَثْناء المَعَارك التي جَرتْ في بابِ التّبانة، وجَبَل محسن عَام ٢٠٠٨، واتهَمَ- في تَصْريحه لِوَسائل الإعْلام- النّظَام السّوريّ بِبَثّ صُورهم على أَنّهم «مُسلّحون يَقْتلون قُوّات الجَيْش السّوريّ في مُدُن جِسْر الشّغُور، وحمْص، ودَرْعا»، حينَ أَفْلسَ في قَمْع المُسلّحين بِبلدِه. ونَفَى أَحَد الذين ظَهَروا في شَريطِ الفيديو أَنْ تكونَ لَه أَيّ عَلاقةٍ بِأَحْداث سُورية، كَمَا أَنّ تِلْفزيون «إم تي في» اللّبْنانيّ قَدْ ذَكَر أَنّ مَقْطعاً آخر ظَهَر في شَريط الفيديو الذي عُرِض خِلال المُؤْتمر الصّحفيّ هُو لِحادثةٍ شَهيرة جَرَت في لُبْنان عام ٢٠١٠. وذَكَر المَوْقع الإلِكْترونيّ للْقَناة أَنّ بَعْض اللّقَطات الواردةِ في الشّريط عَلى أَنّه لِقَتْلى مِنَ المُفْترض أَنّهم قَضوْا عَلى أَيْدي مَجْموعاتٍ إرْهابيّة سُورية؛ تَعُود لجَريمةٍ وَقَعتْ في بَلْدة «كترمايا» اللّبْنانيّة حينَ أَقْدم الأَهَالي عَلى قَتْل مَصْريّ اتهِمَ بِقتْل عَائلةٍ في البَلْدة.

ومِنَ المَسْرحيّات الهَزليّة المُضْحكة المُبْكية ما جَرَى مُؤخّراً في لُبْنان، عِنْدما تَمّ إجْبار النّاسِ وتَخْويفهم للاشْتراك في انْتخاب رَأْس النّظام المُجْرم بَشّار الأَسَد، ومَا أَثَاره مِنْ لَغْط عِنْدما قَامَ النّظَام بِتبْيان أَنّ النّاسَ مُتحمّسة للاشْتراك في هَذه الانْتخابات، فالحَقيقةُ أَنّ الأَحْزاب المُوالية للنّظَام السّوريّ قَامَت بِتَسْجيل أَسْماء العَديدِ مِنَ النّازحين السّوريين في سجلّات خاصّة لِتَسْليمها للسّفارةِ السّورية وَتَخْويفهم مِنْ أَنّهم قَدْ يَتعرّضونَ للْعِقاب، وقَدْ يُمْنعون مِنَ العُبورِ إلى سُورية، بَيْنما كَانَ الإعْلام شَاطِراً وفَهْلوياً بِتبْيان حَالة أَنّ الرّئيسَ يَتمتّع بشَعْبيّة كاسِحةٍ للاشْتراك بالانْتخابات، وهَذا مَا تَبدّى مِنْ حَركاتِ وتَصرّفات مُراسلي القَنَوات الرّسميّة للنّظَام السّوريّ والقَنَوات المُؤيّدة لَه.

والحَقيقة، ونَظَراً لدَهاءِ النّظَام وقِدْرته على عَمليّات الخِداعِ والتّزْوير، واللفّ والدّوران، فإنّ البَعيدَ عَنْ سُورية مِنَ المُمْكن أَنْ تَنْطلي لعْبَة الخِداعِ عَلَيه، إنْ لَمْ يَمْتلك قُدراتٍ فِكْريّةٍ وعِلْميّة وحتّى حَدْسيّة قَوية لِكَشْف أَلاعيبِه وأَضَاليله، وَمِنْ هُنا يُمْكن لَنا أَنْ نُعَاتب المُعَارضة، ومَنْ يُمثّلها، عَلى التّقْصير في المَجالِ الإعْلاميّ لأَنّ مَنْ يَقفُ في وَجْهها هونظامٌ اسْتبْداديّ قاسٍ، وشَرِسٌ يُجيدُ فَنّ الحِيل، والنّصْب، والتّزْوير، والتّشْويه، والتّشْويش مَا عَجزت عَنْه كلّ الأَنْظمة العَربيّة الأُخْرى مِنْ صدّام، إلى مُبَارك، إلى القَذّافي.

بثينة شعبان

الثّورة السّورية: مساحاتٌ فنيّةٌ خضراء على امتداد وطنٍ ينزف أحمراً

مصطفي عبدي

ليْسَت الثّورة السّورية ثورة قتلٍ وتعذيبٍ واعتقالات وبراميل تَمْطر المدنيين، بل هي ثورةُ أغصان الزيتون، بدأت بعنوان السّلام ودعوات الحرّية.

إنْ أمعنّا النّظر، نجدُ في يد كلّ شهيدٍ حرفاً، وتحْت كلّ شهيدةٍ لوناً، وفي فمه-ها قصيدةٌ، وألْفُ نَغْمةٍ وأُغْنية.

نعم، إنْ كانت الدّماء تُغطّي خارطةَ سورية بيوْميّات القمع والدّمار، إلاّ أنّه يُوجَد خَلْف كلّ جدارٍ شعبٌ حرّ أَوْجد لِنفْسه مساحةً إنسانيّةً بعيداً عَن المشاهد المأساويّة التي تَسْكنُنا يوميّاً. ومَهما علا صوتُ الرّصاصِ وأزيزُ المعركة، يُمْكننا أَنْ نثورَ بالفنّ، وأنْ نَصل أَعْمق في نَقْل مُعاناة النّاس وأزماتهم، فكانت صفحاتُ الانترنت التي حملت معها ثورةً مختلفة تُحاكي الواقع ومجرياته، والكثير مِنْها اتّخذ الفنَّ ثورةً وعنواناً مِنْ خلال الكاريكاتور، أوْ المَسْرح، أوْ الأغنية، أوْ المقاطعِ المصوّرةِ، أوْ تَوْثيق لافتات المُدن الثّائرة.

فالثّورة السّورية فجّرت كلَّ أنْواع الفنون، فلمْ يَعُد هناك فنّانٌ أوْ فنٌّ في مكانه. فتحوّل التّشكيليون إلى مُتابعة اليَوْميات والرّسم عَنْها، وكان لكلّ مِنَ المسرحيين والموسيقيين والأدباءِ مُساهماتِه.

وسائِل إبداعيّة في ترجمة «الثّورة»:

كثيرةٌ هي الصّفحات التي تَحْتضن الفَنّ، وكثيرةٌ هي التي تخصّصت في عنوانٍ واحدٍ بمهرجانات على الأرضِ كـ «شوارعنا ملوّنة» و«بالفنّ نَثور»؛ ومَنْ منّا لَمْ يُتابع «فرقة أبطال موسكو الأقوياء»؟، وكَمْ مرّة ردّدْنا أُغنيّة «يا حيف» لسميح شقير، وكرّرْنا صَيْحات «القاشوش» الذي أَصْبح العدّو الأوّل للنّظام، حالَه كحال أغْلَب فنّانيّ ومُبْدعيّ الثّورة الذين تحوّلوا إلى أهدافٍ قاسيّةٍ له؟ إذْ أنّ النّظامَ كانَ يَهابَهم ويهاب الإعلاميين أكْثر مِنْ أيّة قوّة أُخرى.

فالأغاني المُخصّصة تكاثرت، وتنوّعت بمعانٍ مُقْتبسة مِنْ روح الثّورة وبساطتها، وواكبت الأعمال الفنيّة تطوّرات الشّارع لتكون صدىً له، وصوتاً قوياً لآلامِ النّاس. وتصاعدت تدريجيّاً كردة فعلٍ على تزايد عمليات الإرهاب. فقدْ كسرت الثّورةُ حاجزَ الخَوْفِ عنْد النّاس، فارتفعت معها وتيرةُ العملِ الفنّيّ.

لافتات الثّورة عناوين فنيّة بارزة:

يَقولُ الفنّانُ التّشكيليّ بشّار العيسى: «أرى أنّ لافتات بلدة كفرنبّل أدّت دوراً لَمْ تُؤدّه الصّحافة أيّامَ الثّورة الفرنسيّة ولا الحروبَ الكونيّة في نوعيتها وسخونتها، وَدفعت كفرنبل، وعامودا، وبنّش، والحراك، وريف دمشق إلى إنْتاجِ مدْرسةٍ عَصْريةٍ سوريّةٍ خاصّة بالكاريكاتير». فقدْ ذاع صيتُ كفرنبل على أنّها أَكْثر البَلدات ظُرفاً وذكاءً في الشّعارات المرفوعة كلّ يومِ جمعة.

ووفقَ الفنّان العيسى فإنّ هذا الدّور الذي أدته كفرنبل وأخواتها تجاوز كلّ إبداعات الفنّانين التقليديين.

فنانّو«الثورة» وفنانّو «النظام»:

لَمْ يقف الفنّانون السّوريون جانباً، فالكثير مِنْهم اليَوْم يُعاني الاعتقالَ، أَوْ التّضييقَ والتّهديدَ، أَوْ حملات التّشهير، عدا عَنْ أُولئك الذين اضطروا إلى «النّزوح» خوفاً مِنْ بطش السّلطات، وآخرون لجؤوا إلى حِضْنه لَيْس فقط بتَبرير أَفْعاله، بَلْ وتَرْويج خطابه كذلك. كما حدث مع الزّيارة الأخيرة لجورج وسّوف إلى قصر الرّئيس بُعيْد انتخابه، والصّورة المُهينة التي نشرها على صفحته في إهانةٍ إلى أرواحِ الآلاف مِنَ الشّهداء الذين سقطوا على مَذْهب الحرّية.

مَهْما كان، فَقدْ كان للفنّ دوره في الثّورة لكنّه لَمْ يَسْتطع أَنْ يكون بمستوى المأساة التي ألمّت بالنّاس، ولبس الأبيض- مؤخّراً على الأقلّ- مِنْ خلال لافتات كفرنبّل التي رُفِعت بَيْضاء كدلالةٍ عَنْ عَجْزهم عَلى تَجْسيد مدى ما وصلتْه الثّورة، وسورية التي تحوّلت بفعل تواطؤِ العالم إلى تَصْفية حسابات بَيْن أقْطابه.

الفنان السوري سميح شقير

HAWA SMART

هوا سمارت

دمشق. حمص. حماه 103.2

حلب. ادلب. اللاذقية. دير الزور 99.6

من الساعة

6 صباحاً - 12 مساءً

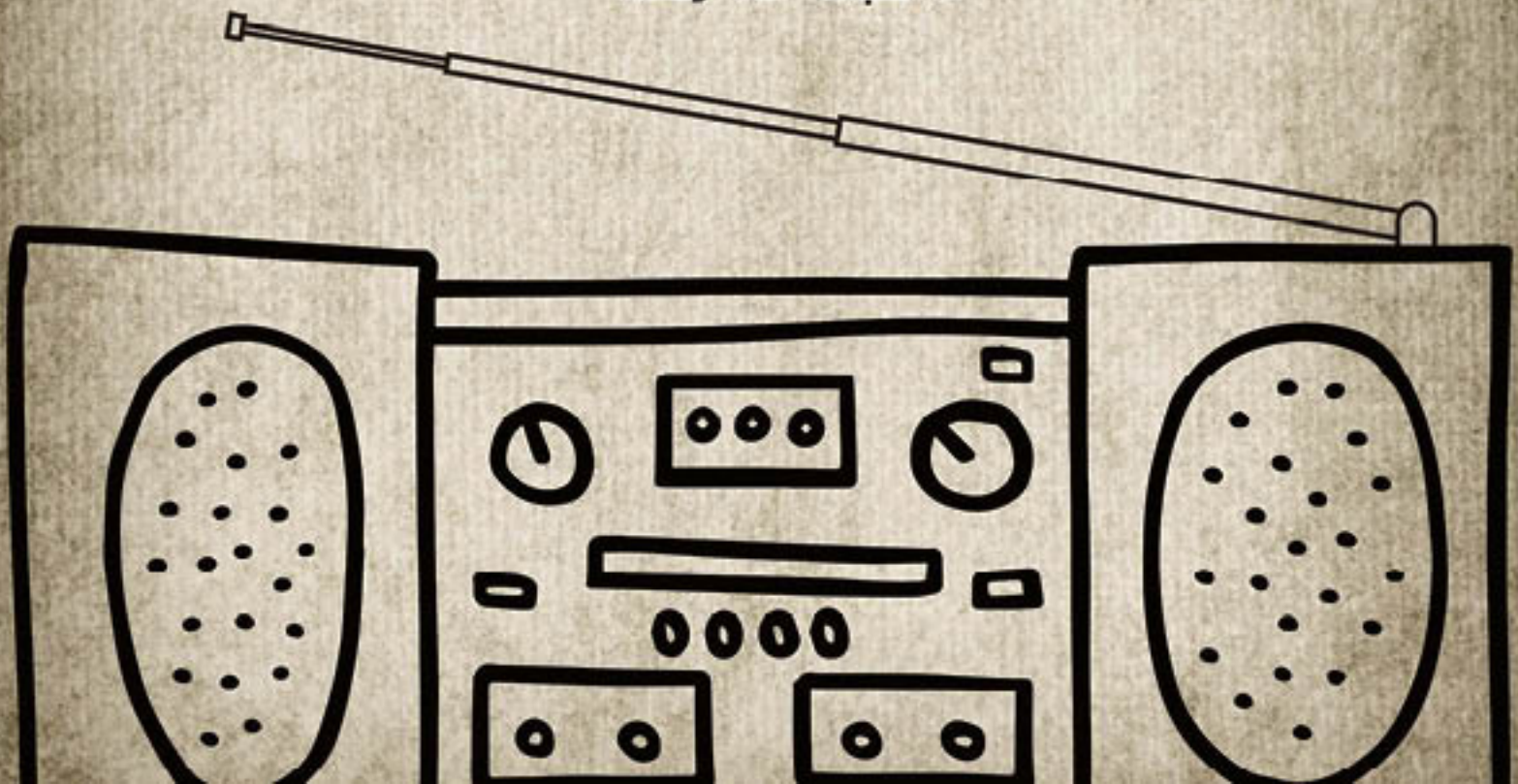

إياد القدسي نائب رئيس الحكومة المؤقتة على بيدر حنطة

حوار ناجي الجرف

-هناك حوالي ٣٠٠٠ موظف داخل سوريّة يتبعون لوزارات ومؤسّسات الحكومة المؤقّتة.

-تمّ إعادة النظر بالعلاقة بين وحدة التّنسيق والدّعم وبين الحكومة، وأصبحت وحدة التّنسيق تحت الإشراف المباشر للحكومة.

-بالتأكيد حصلت بعض التجاوزات، ولكننا نعمل على كشفها، ومن ثمّ معاقبة الموظف غير الكفؤ الذي حصل على وظيفته بطريقة لا قانونيّة بفصله من عمله.

-سورية هي أفضل دول المنطقة، والإنسان السّوري هو الأكثر كفاءةً وقدرةً، لا يسْتحق الذّل الذي وصلنا إليه.

-أتمنّى من الشعب السوري أن يتفهم أنّ هنالك أشخاص يحبّون وطنهم ولا شيء بين الله والوطن، وبجملة أكثر وضوحاً: االله.. سورية.. وبس.

١-تشكّلت الحكومة المؤقّتة في ظلّ واقعٍ مأساويّ؛ وأنتم مُطالبون بحمل عصا الإنقاذ السّحرية بإمكانات شبه معدومة؛ لماذا تأخر تشكيل هذه الحكومة؟

تشكّلت الحكومة السورية المؤقتة بتاريخ ١١-١١-٢٠١٣، نحن نتكلّم عن حكومة نشأت من لا شيء تقريباً، لم يكن هناك دعمٌ دوليّ لها، إذ أنّ الحكومة وُلدت في ظلّ استحقاق جنيف ٢، لذا اعتقد المجتمع الدوليّ -بما فيه مجموعة أصدقاء سورية- أنّ تشكيل الحكومة سوف يؤثّر على الهدف الأساسيّ من مفاوضات جنيف ٢، وهو تأسيس حكومة انتقاليّة. هذه الأجواء ولّدت تحفظاً كبيراً على الحكومة السّورية المؤقّتة، فلم نتلقَ بدايةً أيّ دعم ماليّ، واعتمدنا في الشّهرين الأوّلين على إمكاناتنا الذّاتية فقط. إنّ أحد أهمّ أهداف الائتلاف الوطنيّ لقوى الثّورة والمعارضة السّوريّة، تَشْكيل حكومة تُحقّق مطالب الثّورة داخل سورية، وتخدم الشّعب السّوري، وعلى رأسها إعانة السّوريين الموجودين داخل وخارج سورية. صحيح أنّنا تشكّلنا من الائتلاف الوطنيّ، ذلك أنّ الائتلاف هو الممثّل السّياسيّ للشّعب السّوري باعتراف أكثر من ١٣٠ دولة، وصحيح أنّنا نعْتبر الائتلاف بمثابة الهيئة السّياسيّة والتّشريعية للمعارضة السّورية، وبالتالي فإنّ حكومتنا هي الذّراع التنفيذي له. ولكنّ ولاءنا هو للشّعب السّوري كاملاً.

٢-هل تعدون حكومتكم حكومة المعارضة السّورية، أم حكومة كلّ الشّعب السّوري؟

كما قُلتُ سابقاً، إنّ مؤسّسات الائتلاف وعلاقتها بالحكومة هو الإطار الذي يُحدّد وظيفة الحكومة المؤقّتة، والتي تبدأ مهامها بتخفيف آلام الشّعب السّوري عن طريق خلق بُنى تحتيّة تُسهل الخدمات التّعليميّة والصحيّة، وتوفير مياه صالحة للشّرب. إضافةً لتوفير دعم للشرطة والدّفاع المدنيين، وهو ما نُسميه نحن بالخدمات المدنيّة. دون نسيان الشّق العسكريّ طبعاً. نحن بدأنا ببرامج داخل سورية، إذْ أنّ هدفنا يتمثّل في العمل في الداخل، لكنّ هنالك معوقات أخّرت إنشاء مقرات لنا في الداخل. حالياً لدينا بعض المديريات المتواجدة في المناطق المُحرّرة، وهناك حوالي ٣٠٠٠ موظف داخل سوريّة يتبعون لوزارات ومؤسّسات الحكومة المؤقّتة.

٣-كان قد صدر قرار من رئاسة مجلس الوزراء يقضي بالتّوظيف التّلقائي لأي سوريّ يتمّ طرده من وظيفته بسبب انتمائه للثّورة. هل تمّ تنفيذ هذا القرار؟

هذه أولويتنا في التّوظيف، لكن يعْترضنا عائقان، عائق الاعتماد الماديّ؛ وهو ما لم يتوفّر بشكل كافٍ لاستيعاب الجميع؛ إضافةً إلى التحدّي الأمنيّ الموجود داخل سورية.

٤-كانت وحدة التّنسيق والدّعم هي من يقوم بعمل الحكومة؛ وبعد تشكيل الحكومة، صدر قرار من الائتلاف الوطنيّ لقوى الثّورة بضمّ وحدة التنسيق والدّعم إلى الحكومة المؤقّتة؛ ما هي العلاقة الآن بين وحدة التّنسيق وبين الحكومة المؤقّتة، وما هي التدابير المُتخذة لتلافي هدر الأموال الآتية من مصادر متعددة؟

كان يجب أن تولد الحكومة مع بداية الثّورة، وتأخر تشكيلها هو ما أثّر سلباً على دعم شعبنا في الدّاخل، ولكنّه أيضاً أوجد ضرورة موضوعيّة لتأسيس هيئة الدّعم والتّنسيق كجمعيّة غير ربحيّة، مهمتها تقديم الخدمات للشعب السّوري.. حالياً، تمّ إعادة النظر بالعلاقة بين وحدة التّنسيق والدّعم وبين الحكومة، وأصبحت وحدة التّنسيق تحت الإشراف المباشر للحكومة، ولكن من الناحية القانونيّة، ما زالت وحدة الدّعم والتّنسيق مُستقلّة عن الحكومة لأنّها مُسجّلة كجمعيّة غيْر ربحيّة.

٥-ماهي الآليات التي تعتمدونها لضمان شفافية عمل الحكومة المؤقتة حتى لا تكون نسخة عن حكومات الاستبداد، هل هناك أليات مراقبة ذاتيّة من الحكومة نفْسها؟ هل هناك آليات مراقبة الائتلاف الوطنيّ لقوى الثّورة كونه يُمثّل الغطاء السياسي للحكومة؟

نعم، لقد أسسنا هيئة للتفتيش والرقابة الماليّة والإداريّة تابعة لرئاسة الحكومة، مهمتها متابعة الوزارات والمديريات والتأكد من خلو عملها من الفساد والمحسوبيات. وهناك تعاون كبير بيننا

وبين الائتلاف الوطنيّ على هذا الصّعيد، فقد قدّمنا تقارير أوليّة بعمل الحكومة إلى الهيئة العامة للائتلاف وذلك في أوّل اجتماع حضرته الحكومة. كما قدمنا تقريرنا الربعيّ عن الربع الأوّل من السنة، تحدثنا فيه بشفافيّة كاملة عن الإنجازات التي قامت بها الحكومة، بما فيها التّقرير الماليّ، والتّقرير العسكريّ، والتّقرير المتعلّق بالشقّ المدنيّ من نشاطنا. وكانت تلك هي المرّة الأولى التي يصْدر فيها هكذا تقرير بهذه المهنيّة عن هيئة سوريّة معارضة. حالياً، نحضّر لتقديم التّقرير الربعيّ الثّاني عن العام ٢٠١٤.

٦-كيف يمكن ضبط العلاقة بين الحكومة السورية المؤقتة ومنظمات المجتمع المدني الكثيرة جداً و المتواجدة على الأرض؟

نحن نسْعى من خلال المجالس المحلية والمديريات التّابعة لنا؛ لتأمين مستلزمات الشّعب السّوريّ الموجود في المناطق المُحرّرة. بالنسبة لجمعيات ومنظمات المجتمع المدنيّ، فنحن نعمل على التنسيق معها ليكون توزيع الدّعم الآتي من الدول المانحة عن طريق الحكومة لا عن طريق هذه الجمعيات فقط.

٧-تم الإعلان منذ فترة عن الصندوق الائتماني للتنمية لإعادة إعمار سورية، ماهي استراتيجية هذا الصندوق وما هو دور الحكومة مع هذا الصندوق؟

هذا الصندوق مهمٌّ جداً لأنّه يوفّر الدّعم الدوليّ وهو ما سيقدّم الوسيلة المناسبة لتنفيذ مشاريع تنمويّة وإغاثيّة وطبيّة وتعليميّة داخل سورية دون اللجوء إلى الأمم المتحدة أوْ المنظّمات الغير حكوميّة. يضمّ هذا الصّندوق حوالي ٨٥ مليون يورو مقدّمة من دول عديدة مثل ألمانيا، والإمارات العربيّة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكيّة، والكويت، والدّول الاسكندنافيّة، وكندا.

٨-أعلنت وزارة التعليم عن مصادقة الحكومة التّركية على الشهادات الصّادرة عن الحكومة السّورية المؤقّتة، وذلك نتيجة لمطالب تقدمتم بها مشكورين، ولكنّ تبقى هناك أمور قانونيّة كثيرة تهمّ السّوريين الذين في الخارج، على سبيل المثال: تجديد وإصدار جوازات السّفر، المواضيع المتعلّقة بالشّؤون المدنيّة كالزواج والطلاق وتسجيل المواليد..الخ، ما هي الخطوات القادمة التي تنوون السّير بها لتثبيت الوضع القانونيّ للمواطن السّوري المتواجد في الخارج والذي يوصف بأنّه ريشة في مهب الرّيح؟

بدايةً قمنا بتجميع المعلومات والبيانات عن السوريين المتواجدين في الخارج عن طريق الوزارات المختصّة، وهي وزارات العدل، ووزارة الثّقافة وشؤون الأسرة، ووزارة الإدارة المحلية والإغاثة وشؤون اللاجئين. ونسعى الآن لاستكمال الخطوات القانونيّة اللازمة لتسهيل المعاملات الإدارية والقانونيّة لسوريّي المهجر. بعد خطوة وزارة التّعليم بالنسبة للشهادات الثّانوية – وهي خطوة مهمّة جداً كما ذكرت، إذْ أنّها تُتيح للطلبة السّوريين استكمال تعليمهم الجامعيّ في الجامعات التّركية والدّوليّة المختلفة- سنسعى للحصول على اعترافات ثنائية بين الحكومة المؤقّتة وحكومات الدول الصّديقة للشّعب السّوري. طبعاً، هذه الاعترافات لن تكون اعترافات قانونيّة. لأنّه لا يجوز قانوناً أن تقوم حكومتان بخدمة شعب واحد. وعلى المجتمع الدولي أن يعلن بأن حكومة النظام هي حكومة فاشلة وفق معايير القانون الدولي؛ ولا تقدم الخدمات الأساسية لكل السوريين؛ عندها يتم تثبيت الحكومة المؤقّتة كبديل حقيقيّ عن حكومة النظام القائم في سورية الآن، وبعد إسقاط النّظام، نستطيع إعطاء الشّرعيّة القانونيّة والسّياسيّة للحكومة السّورية المؤقّتة؛ وهذه الشّرعيّة ستأتي من خلال التفاف الشّعب السّوري بالداخل حول حكومته المؤقّتة وأخذ الحاضنة الشّعبيّة، وهذا هو الأهمّ. ومَن ثمّ الحصول على الشّرعية الدّولية.

إياد القدسي نائب رئيس الحكومة المؤقتة

٩-تُعاني أغلب المؤسّسات التي نتجت عن المعارضة، كالائتلاف الوطنيّ، والحكومة المؤقّتة، ووحدة الدّعم والتّنسيق؛ من تجاذبات سياسيّة ناتجة عن آلية التوافق والمحاصصة بين الكتل السّياسية المكونة لها. ما هو دوركم في تحييد الحكومة المؤقّتة عن هذه التجاذبات بوصفها ذراعاً تنفيذية؟

لن أتكلم عن المرحلة التي رافقت تشكيل الحكومة المؤقّتة، فأنا لم أكن جزءاً من الحكومة وقتها. أستطيع أن أحدثك عن المرحلة الحاليّة. فنحن حالياً بصدد إعادة هيكلة كاملة للأمانة العامّة للحكومة، وذلك بوضع نظام داخلي للأمانة العامّة، وتكليف هيئة الرقابة الإدارية والماليّة بمتابعة أعمال الحكومة ومراقبتها. ولنتحدث عن التوظيف كمثال: يوجد لدينا مكتب مركزي للتوظيف يَسْتقبل السير الذّاتيّة المُرسلة من المواطنين والوزارات والهيئات المعنيّة، كما توجد لجنة لمتابعة هذه السير والنظر في كل طلب مقدّم للحكومة، طبعاً لا أُخفيك أنّ هناك ضغوطات كبيرة تُمارس من الخارج، ولكننا نحاول قدر الإمكان أن تكون بأضعف حالاتها عسى أن تَخْتفي نهائياً. سنقوم بتكليف هيئة الرقابة الإدارية والماليّة بإعادة النّظر بكافة طلبات التّوظيف التي حصلت في الحكومة، وباعتباري

نائباً لرئيس الحكومة، فسنبدأ بموظفي الأمانة العامة، للتأكد من أنّ التّوظيف تمّ وفقاً للنّظام الدّاخلي، وبناءً على السّياسة العامّة للحكومة. بالتأكيد حصلت بعض التجاوزات، ولكننا نعمل على كشفها، ومن ثمّ معاقبة الموظف غير الكفؤ الذي حصل على وظيفته بطريقة لا قانونيّة بفصله من عمله. نحن الآن نمرّ بمرحلة دقيقة تتطلّب وجود معايير ومقاييس واضحة للتوظيف نعمل على صياغتها للوصول إلى النتائج السليمة. تقوم سياسة الحكومة على عدم الإقصاء، وكذلك على عدم الاستقطاب والخضوع للتجاذبات الخارجيّة الموجودة بين كتل الائتلاف الوطنيّ، وقوى المعارضة الأُخرى. لذا نبذل كل الجهود لتكون الحكومة شفّافة، وبنفس الوقت حكومة الشّعب السّوري من أقصى الجنوب إلى أقصى الشّمال، وذلك لكسب ثقة الشّعب السّوري والعالم كلّه بنا.

١٠-ما هو موقفك الشخصي من المفاوضات السياسيّة مع النّظام والتي بدأت في جنيف، ومن التسويات التي تحصل اليوم مع النظام في بعض المناطق؟

أشكرك على هذا السّؤال المهم جداً. أنا كسوريّ أتألم كما يتألم أي سوري يرى القتل، والتّدمير، والتّهجير في بلده، لو كان هناك حلّ عادل يُحافظ على ثوابت الثّورة في الحرّية والكرامة والعدالة، بدون مشاركتنا مع مجرمين تلطّخت أيديهم بالدّماء، وبدون تسوية على حساب دم الشّهداء فمن الممكن، لكنني أعتبر أنّ الأمر هذا سابقٌ لأوانه. أنت سألتني عن موقفي الشّخصي، وأنا أريد أن أرى سورية مُحرّرة من كلّ القيود، سورية لكلّ السّوريين كما أرادتها ثورة الحرّية والكرامة والعدالة. سورية هي أفضل دول المنطقة، والإنسان السّوري هو الأكثر كفاءةً وقدرةً، لا يسْتحق الذّل الذي وصلنا إليه، وهذا ما تَشْهد له فترة ما قبل الـ ٥٨، حيث كانت سورية من أكثر الدّول المتقدمة على حوض المتوسط. لذا، ولأجل الإنسان السّوري فلا يجب أن نقبل بأية مساومات على حساب الثورة، ولا بأية مشاريع تتضمن المساومة على دم الشهداء، ولا يجب العمل مع نظام فاسد. الأولوية هي لتحقيق أهداف الثّورة وإعادة بناء سورية. لدي إيمانٌ قويّ بالشّعب السّوري، وأنا متفائل بأنّنا سنتمكن من إعادة إعمار سورية، سورية الغد، رغماً من كلّ هذا الدّمار.

١١-هل هناك من كلمة أخيرة تودّ قولها؟

نحن مع مشروع وطني، لا يتعلق لا بالديمقراطيين، ولا بالإسلاميين، ولا بالإخوان ولا بأي كتلٍ أُخرى، أنا إنسانٌ سوريٌّ أريد الخير لبلدي، ومستعد للعمل مع أي كتلة بشرط ألاّ تكون على حساب الوطن. ولا شك بأنّ شعبنا قد وصل لمرحلة اكتئاب ويأس بسبب الوضع الحاصل في سورية، وهذا ما يضعنا في موقف حرج. ولكن، وفي نفس الوقت، فإنّنا نستمد قوتنا من الإيمان بربّ العالمين وبقدرتنا كسوريين، وأتمنّى من الشعب السوري أن يتفهم أنّ هنالك أشخاص يحبّون وطنهم ولا شيء بين الله والوطن، و بجملة أكثر وضوحاً: االله.. سورية.. وبس.

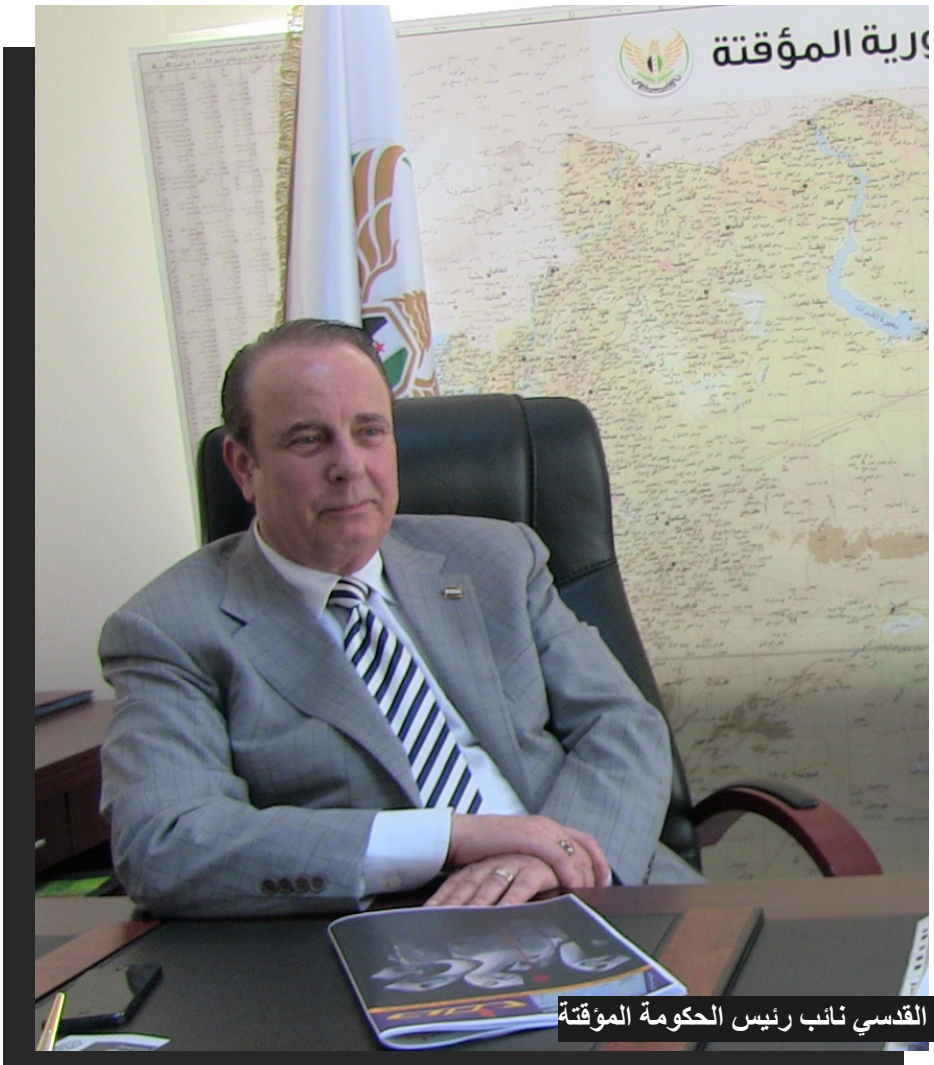

إياد القدسي نائب رئيس الحكومة المؤقتة

الأستاذ إياد القدسي نائب رئيس الوزراء في الحكومة المؤقتة من مواليد دمشق – سورية، ٣٠ سنة خبرة في مجال تكنولوجيا المعلومات وادارة المشاريع والإدارات العليا على نطاق واسع يشمل الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي والشرق الأوسط. من المؤسسين الرئيسين ومشارك فعال في الائتلاف الديمقراطي السوري لدعم الثورة السورية التي تمثل جزءاً من المعارضة الوطنية لإسقاط نظام بشار الأسد، كما ساهم في تحضير وتأسيس اتحاد الديمقراطيين السوريين الذي عقد مؤتمره التأسيسي في اسطنبول ايلول ٢٠١٣.

هل يمثل الإعلام المعارض الثورة؟

محمد الحاج

مؤتمر صحفي للمعارضة السورية في جنيف٢

«الإعْلام المُعارِض لَمْ يَصل حتّى الآن إلى إمْكانيّة وَصْفه بالإعْلام». هَكذا وَصفَته النّاشطة (ريم) كمُسْتمعة للإعْلام المُعارِض. أمّا الإعْلاميّ (جلال) فقَال: «لا أَعْتقد أنّه بإمْكاننا أنْ نُطْلق عَلى الإعْلام المُعارِض مُسمّى الإعْلام بالمَعْنى المِهنيّ واللّغويّ، لِمَاذا -وهُنا أتكلّم بِشكْل مُحدّد عَنْ الائْتلاف المُعَارض- لَمْ تُعْطَ الفرْصة لإعْلاميينا بالظّهُور أَمَام إعْلام الدّول الكُبْرى، فَهلْ بِسببِ عَدَم الثّقة في إعْلاميي الثّوْرة؟ أَمْ بِسَبب اعْتقادِه بِأنّه مِنَ اللّزوم أَنْ يَسْتغلّ وُجود الوكَالات الإعْلاميّة الكُبْرى ليُؤثّر بالرّأْي العَالميّ؟».

طَرحتُ عِدّة أَسْئلة عَلى (جلال) النّاشطِ الإعْلاميّ، والذي يَعْمل بإحْدى الوَسَائل الإعْلاميّة المُعَارضة، وكَان رَأْيه إلى دَرجةٍ مُعيّنة وَاقعيّاً: «لا أَعْتقدُ أَنّه بإمْكانِنا أَنْ نُطْلق على الإعْلام المُعَارض (مُسمّى إعْلام)، بالمَعْنى المِهنيّ واللّغويّ وذَلك بِسببِ ضِعْف القُدراتِ الإعْلاميّة الثّوريةِ، والبُعْد عَنِ المِهنيّة المَعْهودة مِنْ قِبَل الوَسائلِ الإعْلاميّة». ويُتابع جلال: «برَأْيي،وبِشكْل عَام، فإنّ الإعْلامَ المُعارِض لَمْ يَكُن بِمُسْتوى مُنافسَة إعْلام النّظَام في مُؤْتمر جنيف، ولَكنّه اسْتَطاع أَنْ يُثْبت نَفْسه في السّجالِ السّياسيّ الّذي كَانَ يَدُور في جنيف، وذَلك مِنْ خِلالِ مَا قَام بِه إعْلاميو المُعارَضة مِنْ فَضْح وتَزْييف وَفْد النّظَام بطَريقةٍ أَقْرب للمهنيّة مِنْ إعْلاميي وَفدَه المُرافِق».

وعِنْد سُؤالي عَن مَكانِ الإعْلام المُعارِض الآن مِنَ المُعَادلة الثّوريّة؟، أجَابَ: «يُمْكِنُنا القَوْل أَنّ هُنالِك بَعْض النُّويّات إذا صَحّ التّعْبير لِمُؤسّسات إعْلاميّة سَتَرْفع مِنْ قِيمة الإعْلام البَديل لِيَكون إعلاماً مُعارِضاً. الآن، نَحْن في مُؤسّسات (أَنْشطة) إعْلاميّة مَبْنيّة عَلى جُهود ناشطينَ يُدافِعون عَنْ قَضيّتهم التي يُؤْمنون بِها،ولكنّهم يَبْتعدون كلّ البُعْد عَن المِهنيّة الإعْلاميّة، أوْ الاحْتراف. أمّا عَنْ مَسْؤوليّة إعْلامنا، فَلا بُدّ لِحَامل القَضيّة أَنْ يَكُون مَسْؤولاً عَنْ كلّ ما يَتصرّف بِه أوْ يَقُوله، ولَكنّ عَلَيْنا أَنْ نَكونَ عَلى أتمّ الوَعْيِ بِأنّ نُشطَاء المُعَارضة لَديْهم مِن المَشَاكل مَا لَدى كلّ فَرْد سُوريّ يَحْيا دَاخِل أَوْ خَارج سُورية، وعَليْه نَسْتطيع أَنْ نَقُول بِأنّ كُلّ شَخْصٍ مَسْؤول عَنْ دَوْره في هَذه المَرْحلة الدّقيقة».

أمّا النّاشط ياسر -والذي يَعْمل في إذاعةٍ سُوريّةٍ مُعارِضة- فقَدْ حَاوَل بِشكْلٍ أوْ بِآخَر أَنْ يُفسّر سَببية عدْم اتبَاع الإعْلام المُعارِض صَحافَة الحَرْب أوْ السّلْم، بأنّ بَعْض الوَسَائل تَقُوم بِتأْجيج الصّراع ممّا يَزيدُ الأَزْمة تَفاقُماً، والبَعْض الآخَر يَنْهج مَنْهج صَحافةِ السّلْم القَائِمة عَلى طَرْح أَوْلويّات الإنْسان بِطريقةٍ لائِقةٍ، وَقَوْلبة الأَخْبار بِطَريقةٍ تَدْعو إلى السّلْم. وفي العُموم، فإنّ عَدَد الوَسائلِ التي تَنْتهج هَذه الطّرق قَليلَة - لَيْس في الإعْلام المُعارِض فَقطْ، بَلْ أَغْلبُ الوَكَالات العَالميّة أَيْضاً- إنّما يَنْأى كلّ طَرف للدّفاع عمّا يُمثّله كإعْلام مُوجّه كَوجود إذاعةٍ خاصّةٍ بِحزْبٍ مُعيّنٍ تَبثّ أَفْكاره. الإعْلام المُعَارض – وأنا أتكلّم بِشكْل حِياديّ هُنا- لَديْه إيجابيّات كَثيرة إذا مَا قِسْنا ذَلك بِإمْكانيّاته المَاديّة، أوْ الظّروف التي يَعْمل بها. ولكنّه في الوَقْت ذَاته ضَعيفٌ إذا مَا قُورن مَعْ إعْلام النّظَام لِما يَلْعبه مِنْ دَوْر في تَغْييب الرّأْي العَام العَالميّ والعَربيّ، وقِسْم مِنَ الرّأْي العَام السّوريّ عَنْ الجَرائِم الفَظيعة التي يَرْتكبها بِحقّ المَدَنيين، وغَيْرِهم».

وعِنْد سُؤالي لجلال عَنْ سَبب كَثَافة الدّوْرات التي يَخْضع لَها النّاشط الإعْلاميّ، والتي في آخِر المَطاف لَمْ نَرَ ذَلك الفَرْق الوَاضِح بِنَشاطه، كَانت إجابته : «صَديقي أَنْت إعْلاميّ، وتَعْلم جَيّداً عَن الدّوْرات التي نَخْضع لَها. فهُنَاك فَرْقٌ كَبير بَيْن أَنْ تَأْتي بِمَوْهوب وتُخْضعه لِدَوْرة، وبَيْن أَنْ تُخْضع أَيّ شَخْص للدّوْرة ذاتِها، وهَذِه هِي نُقْطة اللّب في حَديثنا. فالإعْلام أَصْبح مُتاحاً للجَميع، ومَجَالاً للتّجْريب المُبَالغ فيه. وبَيْن عُموم الثّوار هُنالك إمّا «مُسلّحين» أوْ «نُشطاء إعْلاميين» حتّى لَوْ لَمْ يَكُن لَديْهم أَيّ أَساس، أوْ بُرْعم مَوْهبة للتّطْوير، وعَليْه يُمْكننا القَوْل بِأنّ الإعْلام المُعارِض لا يَمْتلك الخُبرات المَطْلوبة، والأَمْر الأَسْوأ أَنّه لا يَسْعى لاكْتسابها، وخُصُوصاً أَنّ القَائِمين عَليْه أَشْخاصٌ لا يَفْقهون شَيْئاً في الإعْلام قَبْل انْدلاع الثّوْرة.

ولِكَي أَكونَ شَاملاً أَكْثر، اسْتَمعتُ لِرأْي إحْدى المُتابعات للإعْلام المُعَارض، فالنّاشطة (ريم) قَارَنت بَيْن إعْلام النّظَام وإعْلام المُعارِضة: «إعْلام النّظَام، وبرَأْيي، وبِشكْل حِياديّ، أَرى أَنّه سِلاحٌ مِنْ أَسْلحته، إنْ لَمْ يَكُن الأَقْوى والأَشدّ فَتْكاً، فَلا يَسْتطيع أَيّ شَخْص أَنْ يُنْكر بِأَنّه لَعِب بِشكْل أوْ بآخر دوراً في تَسْيير المُخطّطات العَسْكريّة المِيدانيّة والعَالميّة مِنْ خِلالِ وَضْع خُطط يُشْرف عَليْها خُبراء في التّلاعب بالْعُقول. في النّهاية أَعْتقد أَنّ إعْلام النّظَام نَاجح فِيما يَفْعله، ولَكنّه بالطّبْع غَيْر مِهنيّ أوْ حِياديّ وكلّنا يَعْلم ذلك. ولَكنّ الإعْلام المُعَارض لَمْ يَصل حتّى الآن إلى إمْكانيّة وَصْفه بالإعْلام فالتّهْويل، والتّحيّز، وعَدَم المِصْداقيّة والمَسْؤوليّة بِنَقل الخَبر، جَميعها أَسّاسيّات ضَروريّة لِيَرْتقي النّشاطُ إلى مُسْتوى الإعْلام، وهَذا الشّيْء يَعْلمه الجميع حتّى الغَيْر إعْلاميين».

أَسْتطيع القَوْل أَخيراً، بِأَنّ المُشْكلة لا تَكْمن بِقلّة الدّعْم المادّي للنّاشطين، أوْ بِسببِ عَدَم تَوفّر الوَضْع السّياسيّ والأَمْنيّ للنّاشط، المُشْكلة هي في النّاشِط ذَاته. طَبْعاً أنا هُنا لا أَلومُ النّاشط، عَلى العَكْس، فأَنا أَكنّ الاحْترامَ الشّديد له ولِعَمله، وَلكنْ إصْرار بَعْض النّاشطين وتَعنّتهم بِرأْيهم، وعَدَم الاسْتفادة والاعْتراف بِإعْلام النّظَام، سَوْف يُؤدّي بِنا إلى نَتيجةٍ أَسْوأ مِن الآن.

الحوار العربي الكردي ومعوقاته

ضِمْن إطارِ مَشْروع الحِوار العَربيّ الكرديّ الذي يَتبنّاه مَرْكز عمران للدّراسات الاسْتراتيجيّة، وبُغْية تَفْعيل دَوْر اللّقاءات المُتعاقبة مَع الفعاليّات المُخْتلفة، فَقدْ قامَ المَرْكز بِعقد لقاءٍ مَع عددٍ مِن الكُتّاب والبَاحثين العربَ والكُرد، بِهدف زيادةِ التّبادل الثّقافيّ والتّعرفِ على سُبلِ رَدْم الثّغرات التي أَحْدثتها الحقْبةُ التّاريخيّة المُنْصرمة، وتَوْحيد الجهودِ الرّامية لِتَقْريب وجهات النّظر في المَسْألة الكُرْدية في سورية.

بَدأ اللّقاء بِبعض الموادِ الفَنّية التي أَعْقبتها مُحاضرةٌ للكاتب محمّد برّو بِعنوان (الحِوار العربيّ الكُرديّ ومَعُوقاته)، رَكّز فيها على المَحاور الأوّليّة التي تُغني الحِوارَ العربيّ الكُرديّ كَنموذجٍ للحِوار بَيْن جَميع المُكوّنات في سورية المُسْتقبل بِغرض الدّفع بثقافةِ التّعايشِ الإيجابيّ إلى حُدودها المَرْجوة.

بَعْد أَنْ عَملت الأَنْظمة القَمْعيّة المُتعاقبة عَبْر عُقودٍ طويلةٍ على ضَرْب هذِه الثّقافة والاسْتعاضةِ عَنْها بِثقافة إِقْصائيّة قَسْرية تُلْغي الآخر ولا تَعْترف بِحقوقه، بَلْ وتَعْمل على حِصارِه في أَرْضه والاعْتداء على مُمْتلكاته ومُحاولة مَسْح ثَقافته أَوْ طَمْسها. والظُّلم الذي وَقع على الكُرْد إنّما أتى مِن نِظامٍ فاسدٍ ظالمٍ مارسَ ظلْمه على الشّعْب السّوري أَجْمع ولَكن بِمُسْتويات مُتفاوتة، وهو يَعْمد إلى إبْراز التّفاوت في نَشْر عسفِه وظلمِه لِتَعْزيز الشّقاق بَيْن مُكوّنات هَذا الوَطن الذي يَجْمعنا :سورية.

تَنّوعت بَعْد ذَلك مُداخلات الحُضور وإسْهاماتهم لِتَشمل ما يلي:

- الحَاضنةُ الثّقافيّة هي رَكيزةُ الحِوار، وهي التي سَتُشكّل الضّغْط على المَحاور السّياسيّة.
- الاعْتراف السّياسيّ بالكُرد وبالقضيّة الكُرديّة يُسْهم في حلّ أَغْلب المُشْكلة السّياسيّة، وحالةُ الاعْتراف يَجب أَنْ تكون مُقْترنة بحالةِ الرّضا والقُبول (اعْتراف عَن قُبولٍ ورِضا).
- التّمْييز بَيْن الكُرد والعربِ كانَ مِن جانِب النّظام، ولا تُوجد حالات تَمْييز مِن قِبل عامّة السّوريين، فهُناك حالاتُ تَواصلٍ وحِوار مَحليّة في مَناطق التّعايشِ العربيّ الكُرديّ عَنْ طَريق الفعاليّات المَحليّة، لِذا يَجب على الحِوار أَنْ يَنْعكس على السّلوك والوَاقع.

من اللقاء العربي الكردي

وقَدْ خَرَج اللّقاء بِعدّة تَوْصيات لِتَفْعيل مَشْروع الحِوار العربيّ الكُرديّ ودَفْعه للأمامِ لِتَحْقيق أَهْدافه السّاميّة، ومِنْ هَذه التّوصيات:

- الاسْتمْرار في عَقْد وَرْشات الحِوار والنّدوات التّعريفيّة والمُؤْتمرات الفَصْليّة.
- إقامةُ مَعارض فنيّة يَشْترك فيها فنّانون عَربٌ وكُرْد.
- إصْدار كِتاب فَصْليّ مُشْترك.
- اسْتثمار دَوْر المُجْتمع المَدنيّ في الحِوار.

واخْتُتم اللّقاء بقَصيدة مِنْ أَشْعار «المُلاّ عَبْد الوهّاب الكرميّ» أَهْداها لِقَلْعة حلب التي احْتَضنتْ العَربَ والكُردَ وسِواهم، وكانَتْ لَهُم دِرْعاً وسُوراً يَحْميهم مِن أَعْدائهم على الدّوام، في دَعْوةٍ إلى أَنْ تَتمسّك كلّ مُكوّنات الشّعب السّوريّ بِوَطنها الدّافئ، وبأَسْواره المَنيعة في وَجْه الأَعْداء.

من اللقاء العربي الكردي

تكتيك الأنفاق في حلب... حرب تدور رحاها تحت الأرض

مكتب حلب-عماد حسّو

خاص حنطة- حلب ساحة السبع بحرات

لَطالما كانَتْ الأَنْفاق تَكْتيكاً عَسْكرياً، تَلْجأ لَه الأَطْراف المُتَنازعة بِهدف التّفوق على الأَرْض وتَحْقيق الإنْتصار، وذَلك تِبْعاً للظّروف العَسْكريّة التي تَفْرضها المَعْركة. فالأَنْفاق مَوْجودة في التّاريخ بِدْءاً مِن العُصور الوُسْطى حَيْث كانَتْ تُسْتخدم كمَمرّات سرّية يَتُمّ مِنْ خِلالها حِمايةُ القِلاعِ والحُصون، وتَزْويدها بالمُؤَن. وكَذلك في العَصْر الحَديث، حَيْث اسْتَخدم الفيتناميّون الأَنْفاق كَمراكز تُمكنّهم مِنْ شَنّ غاراتٍ على قُوّات الولايات المتّحدة الأمْريكيّة، ومَن ثَمّ الاخْتباء فيها.

وكَذلك في سورية، فَقَد وَجد الثّوار أَنْفسهم أَمام واقعٍ سيّء حَيْث التّفوق العَسْكريّ على الأَرْض للنّظام السّوريّ بالإضافةِ إلى سَيْطرته على سَماء البلاد. مُقارنة لا يَجْدر ذِكْرها بَيْن ما يَمْتلكه النّظام مِن تَرسانةٍ عَسْكرية، وبَيْن الأَسْلحة الخَفيفة والمُتوسّطة لَدى الثّوار. كلّ ذَلك جَعل مِن تَكْتيك الأَنْفاق خياراً لا بُدّ مِنْه، فَكانَت في حمص سنة ٢٠١٢، وتَمّ تَفْجير أوّل مَبْنى، وهُو مَشْفى القُصير الوطنيّ والذي اسْتُخدم كَثَكنةٍ عَسْكريّة آنذاك،وقَدْ تَمّ التّفْجير مِنْ خِلال نَفقٍ حَفره الثّوار وقَاموا بِزَرْع المُتفجّرات أَسْفل المَبْنى.

وهَكذا أَصْبحت الأَنْفاق التّكتيكَ العَسْكريّ الأَبْرز الذي لَجأ لَه الثّوار في سورية بِشكلٍ عَام، وفي حلب بشكلٍ خاص. فَقد شَهدت مَدينةُ حلب خِلال الأَشْهر المَاضيّة العَديد مِن عمليّات التّفْجير لِمباني يَتَمرْكز فيها النّظام، وذَلك مِنْ خِلال حَفْر أَنْفاق مِن المَناطق التي يُسيطرون عَلَيْها إلى مَناطقِ النّظام، وزَرْع كميّات كبيرة مِن المَواد المُتفجّرة ومِنْ ثَمّ نَسْفها، (مَبْنى فُنْدق الكارلتون، ومَبْنى القَصْر العَدْليّ، ومَباني في ثَكنة هنانو، ومباني في فرْع المُداهمة في الميدان، وغُرفة صِناعة حلب في السّبْع بَحرات)، وكلّها مَراكز تجمّع لِقوّات النّظام وشبّيحَته، نَجَح الثّوارُ مِنْ تَدْميرها ونَسْفها مِنْ خِلال الأَنْفاق التي حَفروها إلى نُقاطٍ تَقَع تَحْت تِلْك المَباني أَوْ بالقُرْب مِنْها. وبالتّالي فَقد كبّدوا قوّات النّظام خَسائرَ كبيرةٍ في صفُوف شبّيحته ومُقاتليه،إضافةً إلى إجْبارهم على التّراجع نَحْو الخَلْف في جَبَهات القِتال.

(أبو عَرب الأَنْصاريّ) هو أَحد مُقاتليّ الجَيْش الحُرّ القَائمين على حَفْر النّفق الذي اسْتهدفَ قُوّات النّظام في غرفةِ صِناعة حلب في حيّ السّبع بَحَرات. يُحدّثنا أبو عَرب عَن العَمليّة قائلاً: «يَتطلّب حَفْر النّفق الكَثير مِنَ الجهْد والتّعب لَقَد عَملنا لِخَمْسة أَشْهر تَقريباً في حَفْر النّفق لِلْوصولِ إلى النّقْطة المَطْلوبة. ساعات طَويلة مِن العمَل الدّؤوبِ حَيْث قُمْنا بِحفْر مَسافة تُقارب الـ ٥٠٠ متراً بعُمْق ثلاثةِ أَمْتار تَحْت الأَرْض. كانَ عَملُنا سرّياً، حَيْث بَدَأنا مِنْ أَحَد المُسْتودعات في حيّ بابِ النّصْر. لَمْ يُغادِر مَكانُ الحَفْر أيٌّ منّا، وذَلك ضَماناً للسرّية التّامة، وحَيْث الإلْتزام الدّائم بالعمَل. أَدواتنا البَسيطة التي اسْتَخدمناها كانَتْ (الكريك، والفَأْس، والمِعْول)، ولَمْ نَسْتعمل الكمبريسة إلاّ في بِدايةِ حَفْر النّفق، وذَلك لِضمان عَدَم اكْتشافِه مِنْ قِبل قُوّات النّظام»، ويُتابع أبو عرب: «صُعوبة التّنفس، والجُهْد الكَبير هو أَبْرز الصّعوبات التي واجَهتْنا، خُصوصاً وأنّ عَددنا كانَ مَحْدوداً، فكُنّا نَتَبادلُ ساعات العَمل للوصولِ إلى النّقطة المُسْتهدفة والتي كانَتْ بِمثابة النّصْر بالنّسْبة لنا، بَعْدها قُمْنا بِوَضع الموادِ المُتفجّرة (تي إن تي، سيفور، بارود، أصابع الدّيناميت) في ثَلاث نُقطٍ لإغْلاق النّفق بِأَكياسٍ مِن التّراب، ووَضْع الخَرسانة المُسلّحة في بدايةِ النّفق لِكَي نُبْعد الخَطَر عنْ مناطِقنا، وأَخيراً التّفْجير لِأَكْثر مِنْ ٢٠٠ طنّ، فكانَت النّتيجةُ إنْفجارٌ ضَخْم في غُرفة صناعةِ حلب، وسُقوط أَكْثر مِن ٨٥ بَيْن قَتيلٍ وجَريح، وتَراجُع قوّات النّظام للْمباني الخَلْفيّة في حيّ السّبْع بَحرات».

لَقدْ أَصْبحت الأَنْفاق كابوساً يُهّدد مُقاتلي النّظام وشبّيحته، يُحدثّنا النّاشط في مَناطقِ النّظام (محمد الحلبي) عَنْ ذَلك قائلاً: «حَالةٌ مِنَ الهَلَع والذُّعْر الكبيرَيْن تُصيب قوّات النّظام، فالخَوْف الدّائم مِن التّفْجيرات التي تُلْهب الأَرْض وتَنْسف مَبانيَ يَتَمرْكزون فيها جَعَلهم يَعيشونَ في حَالةٍ مِنَ الإرْتباك والقَلَق، فالهستيريا الحادّة هي ما يَعيشُونه عِنْد سَماعِهم بِتَفْجيرٍ قَتَل زُملائهم في الإجْرام. لذَلك لَجَأ النّظام في الآونةِ الأَخيرة إلى حفرِ خَنادقَ على عمْق خمْسةِ أمتارٍ حَوْل أَغْلب المَباني التي يَتمرْكز فيها، والتي تُعْتبر على خُطوط التّماس مَعَ جَبَهات الثّوار بِهَدف اكْتشاف أيّ نَفقٍ جَديد، وبالتّالي إفْشال عَمليّة التّفجير. كَما تَوَاردت الأَنْباء عَن لُجوء النّظام في بَعْض المَناطق لذات التكتيك حَيْث قامَ بِحَفْر الأَنْفاق بُغْية التّسلل إلى مَناطق الثّوار، وهذا ما ذَكره بَعْض مُقاتلي الجيْش الحرّ في جَبْهة «سُلَيْمان الحَلبيّ» حَيْث سمِعوا أصواتَ حَفْر مِنْ تَحْت الأَرْض هُناك».

حَرْب ما تَحْت الأَرْض (الأَنْفاق) هي التي حقّقتْ نوعاً مِن التّوازن العَسْكريّ على الأَرْض، ومَنَحت الثّوارَ قوّةً كبيرةً في امْتلاكِ زِمام المُبادرة والسّيطرة على مناطقَ جديدةٍ، فأَصْبحت اسْتراتيجتهم الأُولى في الوَقْت الحاليّ تَفجير أَكْبر عَددٍ مُمْكن مِن مَباني النّظام مِنْ خِلال الأَنْفاق. وفي ذَلك يُحدثّنا القائد المَيْدانيّ في الجَبْهة الإسْلاميّة، وفي جَيْش الإسْلام (أبو موسى) قائدُ قطّاع أقيول في جَبْهة حلب

قائلاً: «إنّ تَمَركز قنّاصي النّظام في مَبانٍ مُرْتفعة ومُحصّنة، ورَصْدهم مَسافاتٍ طويلةً على خُطوط التّماس بَيْن الثّوار وقوّات النّظام، بالإضافة إلى امْتلاكِ جَيْش النّظام للطيَران الحَرْبيّ الذي يَقُوم بالتّغطيّة لِقواتِه على الأَرْض جَعَل مِنْ خَيار الإنْتفال إلى ماتَحْت الأَرْض اسْتراتيجيّة يَتْبعها كلّ الثّوار على جَميع الجَبَهات».

إنّ الأَنْفاق كَتكتيك عَسْكريّ ضَروريّ في الوَقْت الحَالي، فهُو يُحقّق الغَرَض المَطْلوب بِما يَمْتلكه مِن عُنْصر المُفاجأة لِقوّات النّظام والقوّة التّفْجيريّة الضّخمة لمبانيه، فَقدْ حَققّت تَقدّماً واسِعاً على كَثيرٍ مِن الجَبهات، وكبّدت النّظام الكَثيرَ مِن الخَسائر البَشريّة والاسْتراتيجيّة على مُسْتوى مَقرّات تَمَركزِ قوّاته، فدائِماً ما يَتَرافقُ الإنْفجار باقْتحامٍ يَشنّه الثّوار، إلاّ أنّها لا تُعْتبرُ حلاً دائِماً، وذَلك بِسببِ الجُهْد والزّمن الكَبيريْن في عمليّات حَفْرها، وهي سِلاحٌ سَيَسْتعمله الثّوار حتّى حُصولهم على مُضادات الطّيران والأَسْلحة الثّقيلة مِن صواريخ بَعيدة المَدى، والتي سَيكونُ لَديْها القُدْرة على تَدْمير مَباني النّظام وإسْقاط طائِراته، وبالتّالي جَعْل المَعْركة مُتوازنة على الأَرْض.

إذاً، هي حَربٌ تَدورُ رِحاها تَحْت الأَرْض، يُحاولُ الثّوارُ مِنْ خِلالها المُضي في ثَوْرتهم التي بَدؤوها بِشكلٍ سِلْميّ، إلاّ أَنّ دَمويةَ النّظام وآلَتِه العَسْكريّة جَعلتْهم يَحْملون السّلاحَ دفاعاً عَنْ أَرْضهم وعِرْضهم، وهاهُم اليَوْم يَتْبعون كلّ التّكْتيكات العَسْكريّة عَلى الأَرْض نَتيجةً لِضعْف تَسْليحهم، وتَفوّق النّظام مِنْ حَيْث العِتاد. إلاّ أنّ إيمانَهُم بالنّصْر وبقَضيّتِهم جَعَلهم يَبْتكرونَ الكَثيرَ مِن الطّرقِ والأَدَوات التي تُساهم في الوصولِ إلى حرّيتهم المَنْشودة، ووَطنِهم القَائِم على العَدْل والمُساواة.

عدسة كلمن أبو حوى

الرياضة السورية.. بين معتقلي النظام و«مأسسة» المعارضة

عابد ملحم

قد يكون الخوضُ اليوم في أجواء كأس العالم والرياضة عموماً ضرباً من ضروب اللامبالاة وعدم ملائمة الموضوع لمستوى ما وصل إليه الوضع السوري الدامي، أو هكذا يعتقد البعض؛ سوى أنّ البعضَ الآخر قد يرى الموضوع من جانب مختلف، فالرياضة السورية أيضاً لها نصيبها الدامي من طواحين الموت التي لا تتوقف في الوطن، رغم الإيمان أن «قائداً خالداً» قال لأتباعه يوماً إنه يرى فيها «حياة» فاتخذوا الموت والاعتقال والترهيب نهجاً، فساؤوا سبيلا.

الرياضة السورية، أحد أكثر ضحايا النظام السوري عبر عقود طويلة، نالت ما نالت وحضنت ما حضنت «خبريات» الفساد المالي والأخلاقي، وتعتبر أكثر القطاعات فساداً، لارتباطها الوثيق بأجهزة الأمن والجيش.

الرياضيون السوريون أكثر المهمّشين والمنسيّين، فأمس أطلق سراح الفارس عدنان قصّار الذي قضى ٢١ عاماً في سجون النظام السوري، بتهمة ملفّقة بعد أن رفع رصيد المنتخب السوري في دورة ألعاب البحر الأبيض المتوسط وكان قبله «باسل الأسد» قد ارتكب ما ارتكب من أخطاء.

«مأسسة» الرياضة الثورية.. والتمويل حجرُ العثرة

مع بدء الثورة السوري، كان لابدّ من مأسسة الرياضة السورية بشكل جديد، إلا أن الفوضى التي تعيش فيها البلاد أضفت ضباباً على نشاط العاملين والقائمين على الرياضة.

قبل أكثر من عام ونصف تقريباً شكّل ما سمي «الاتحاد الرياضي الحر» في محافظة حلب، ليندمج لاحقاً مع اتحاد مماثل في المنقطة الشرقية وينبثق عن هذا الاندماج ما عرف بـ «الهيئة العامة للرياضة والشباب».

«حنطة» التقت الناطق الرسمي للهيئة «عروة قنواتي» الذي قال إن «الهيئة شاركت عبر رياضييها في عدة بطولات منها بطولة العالم للشباب للكاراتيه في «كوسوفو» وحصدت أربع ذهبيات وفضيّة عبر لاعبيها «مهنّد ومحمّد العلي».

ويضيف قنواتي: «تقيم الهيئة جولات عدة على المخيمات السورية، وتتوجّه الآن نحو الطفولة، ورغم أنه يصعب تفعيل الرياضة المدرسية بشكل كامل بسبب الحرب».

ويستطرد: «قبل فترة كان هناك مشروع لدعم مدراس التعليم الأساسي، إلا أن القصف بالبراميل لم يترك أي مدرسة، هذا من جهة ومن جهة أخرى عنف تنظيم الدولة الإسلامية وتضييقها ونزوح الناس بشكل عام جعل الأمر شبه مستحيل».

وعن تمويل الهيئة يقول «قنواتي» إن الهيئة «تموّل من تبرعات بعض الأعضاء العاملين الذين يعملون بشكل تطوعي دون راتب»، مؤكّداً أنه «حصلنا على وعود من قبل وزارة الثقافة والشباب في الحكومة المؤقتة أنه سيتم تفريغ أعضاء المكتب التنفيذي الـ ١١ على أمل أن تتلقّى الهيئة الدعم اللائق في المستقبل من قبل الحكومة».

وعن جديد مشاركات الهيئة يقول «قنواتي» إن الهيئة ستشارك قريباً في بعثة المنتخب السوري للكاراتيه في قبرص، والتي ستكون من ٢٥ وحتى ٢٧ من الشهر الجاري.

رياضيون في الاعتقال.. هل الفيفا متواطئة ؟

شهدت الثورة السورية حضوراً قوياً للرياضيين السوريين ومنهم من لمع نجمه فأصبحت أسماؤهم لامعة كحارس المرمى الشهير «عبد الباسط ساروت»، إلا أن تغييبهم كان قوياً أيضاً، وما يزال العشرات منهم حتى اللحظة في المعتقلات.

الكابتن أيمن قاشيط لاعب نادي الشرطة والحرية والمنتخب السوري الأولمبي، المقيم الآن في السويد ويحضّر لنيل الماجستير في الرياضة، يقول في حوار خاص مع «حنطة» إن «هناك عشرات الشهداء والمعتقلين من الرياضيين في سجون النظام، ويمكن القول إن أول شهيد في الثورة كان من الرياضيين وهو محمود الجوابرة لاعب نادي الشعلة».

«قاشيط» أكّد أن «هناك العديد منهم سواء كانوا شهداء تحت التعذيب، أو من المغيّبين، أو المعتقلين بدون تهم».

وعن دور الهيئة العامة للرياضة والشباب يقول «قاشيط» إن «التشكيل لم يقدم في البداية شيئاً واضحاً، إنما فيما بعد وبعد تحول الاتحاد الرياضي الحر لشكل الهيئة، فأعتبرها ممتازة نسبة للإمكانيات البسيطة التي تدير بها عملها، حيث جمعت الاتحادين في حلب والمنطقة الشرقية، وأتوقع أن تصبح وزارة في القريب العاجل.

ويقول «قاشيط» إنه يتواصل الآن مع الاتحاد الرياضي في السويد لتشكيل ملفات خاصة بالرياضيين المعتقلين تحت سنّ ١٩ عاماً.

وأشار «قاشيط» إلى أن الاتحاد الدولي لكرة القدم «الفيفا» كان عاقب سابقاً فريق برشلونة لاحتكاره لاعبين تحت سنّ ١٩ عاماً، لافتاً إلى أن «النظام السوري يعتقل رياضيين تحت الـ ١٦ عاماً موثّقين بالأسماء، وسنقوم بعرضها عليهم، وإن لم تتخذ «الفيفا» أي إجراء فهذا يعني أنها متواطئة مع النظام السوري.

وزارة التربية والتعليم... عمل كبير في زمن قصير

عمر أبو خليل

ثَلاثَة أَشْهر فَقَط هُو عُمْر وزَارة التَّرْبية والتَّعْليم في الحُكُومة السُّوريّة المُؤقّتة، اسْتَطاعَت خِلَالها قَطْع العَديد منَ الخُطُوات باتْجاه ضَبْط وتَنْظيم العمَليَّة التَّرْبوية في الدَّاخل المُحَرّر، ودُول اللُّجوء في الجِّوارِ السُّوريّ، ووَضْعها في نَسَقٍ مُؤَسّساتيّ بِهَدف تَوْفير فُرَص التَّعْليم للتَّلاميذ والطُّلاب السُّوريين مِمَنْ حَرَمهم نِظَام الطَّاغيَة مِنْه.

مشاريع دعْم التّعليم

تُشيرُ إِحْصائيّات اليُونسيف إلى وُجُود ثَلاثَة مَلايين ونِصْف المَلْيون طِفْل سُوريّ يَحْتاجون التَّعْليم، ولا تَسْتطيع الوَزَارة بِميزانِيّتها الحَاليّة تَوْفيرَه لِهَذا العَدَد الكَبير مِنْهم، وقَدْ اسْتَطاعت بالتَّعاون مَع مُؤسّسات المُعارضة، ومُنظّمات المُجْتمع المَدَنيّ تَوْفير التَّعْليم لِمَلْيونيْن منَ التَّلاميذ.

يُؤكّد الأُسْتاذ الدّكْتور محيي الدين بنانة وَزير التَّرْبية والتَّعْليم «أَنّ جُهُود دَوْلة وَاحِدة لا يُمْكن أَنْ تُلبّيَ حَاجَة التَّعْليم لِهَذا العَدَد الكَبير، وأَنّ الأَمْر يَحْتاج لِمُسَاهَمة عِدّة دُوَل. وقَدْ جَزّأت الوَزَارة مَشَاريع دَعْم التَّعْليم، بحَيْث يَقْتصر الدَّعْم عَلى مَدينَة أَوْ مَنْطقةٍ مُحَدّدة، أَوْ دَعْم جَانب مُعيَّن مثْل تَرْميم المَدَارس أَوْ طِبَاعة الكُتُب، لعَرْضها عَلى الدُّولِ الرَّاغبة بتَقْديم الدَّعْم» حَسْب مَا صَرّح به في مُؤْتمر صَحَفيّ عُقِد مُنْذ أَيّام.

كَمَا أَعدّتْ الوَزَارة مَشْروعاً لِدَعْم تَعْليم مَلْيون طِفْل، واسْتَطاعت حتّى اليَوْم الحُصُول عَلى مُوافَقَة عدّة مُنظّمات لدَعْم المَشْروع، الذي سَيَرى النُّور قَريباً مَع اكْتِمال مُسْتلزماته ومُتطلّبَات دَعْمه.

وتَعْمل الوَزَارة عَلى عَقْد مُؤْتمرٍ دَوْليٍّ لأَصْدقاء الشَّعْب السُّوريّ لِدَعْم التَّعْليم «لا نُريده للسِّيَاسة أَوْ العَسْكَرة، نُريدُ مُخَاطبة ضَميرِ العَالَم، لتَعْليم وإِنْقاذ مَلايينَ الأَطْفال منَ التَّشرّد والضَيَاع» حَسْب قَوْل الوَزير.

وكَانَتْ الوَزَارة، ورَغْم ضِعْف إِمْكَانَاتها، قَدّمت دَعْماً مَاليّاً لدَعْم المَدَارس المُتعَثّرة، ومِنْحةٍ مَاليّةٍ للمُدرّسينَ المُتطوعينَ، والمَفْصولينَ منْ سِلْك التَّعْليم لِمَواقِفهم الثَّوْريّة المُعَارضة للنّظَام.

وعلى الأَرْض أُجْريت امْتحَانَات الثَّانويّة العَامّة بفَرْعيْها العِلْميّ والأَدَبيّ في الدَّاخل المُحَرّر ودُوَل الجِوار، أَشَادَ بِمُسْتواها وبِمُطَابَقتها للمَعَايير الدّوْليّة المُعْتمدة، دُوَلٌ ومُنظّمات تَرْبويّة عَديدَة، حَيْث سَاهَم تَرْبويون غَرْبيون مُسْتقلون في مُرَاقَبة الامْتحانات، ورَفَعوا تَقَارير عَنْها إلى الوَزَارة وإلى حُكُومات بُلْدانهم، الأَمْر الذي يُسْهم في الحُصُول عَلى الاعْتراف بالشَّهادات السُّوريّة الحُرّة.

ويَنْصبّ جُهْد وزَارة التَّرْبية والتَّعْليم اليَوْم على تَصْحيح الأَوْراق الامْتحانيّة في المُجمّع المَرْكزيّ في مَدينةِ غَازي عِنْتاب التُّركيّة، ويُشْرف على التَّصْحيح لِجْنة عُلْيا مُخْتصّة، يُشَارك فيها مُدرّسون مِنَ الدَّاخل السُّوريّ المُحَرّر، ودُوَل الجِوَار.

وكَانَت الوزَارة قَدْ أَشْرفت بِشكْل مُبَاشر عَلى الامْتحانات مِنْ خِلال مُديريّات التَّربيّة التي تَتْبع لَها، كَمَا قَام الاخْتصاصيّون في الوزَارة بتَفَقّد المَرَاكز الامْتحانيّة، حَيْث زَار الدّكْتور بنانة الدّاخل السُّوريّ، وتَفَقّد سَيْر العَمَليّة الامْتحانيّة في رِيفَيْ حَلَب وإِدْلب، كَمَا زَار أَغْلب المَرَاكز الامْتحانيّة في المُخَيّمات والمُدُن التّركيّة.

وقَامَ الاخْتصاصيّون والمَسْؤولون في الوزَارَة بِجَوْلات عَلى المَرَاكز الامْتحانيّة تركيا ولبْنان والأُرْدن، وتَفَقّدَ الأُسْتاذ عبْد السّلام الفريج مُدير المَشَاريع، والدّكتور محمّد رَشيد مُدير البَعَثات في الوَزَارة سَيْر الامْتحانات في ريف مُحَافظة حَمَاة، وقَدْ لاقَتْ هَذه الجَوْلات اسْتحسان الطُّلاب وذَويهم، حَيْث شَعَروا بوُقُوف مُؤسّسة رَسْميّة ثَوريّة إلى جَانبهم للمَرّة الأُولى مُنْذ انْطلاقَة الثَّوْرة.

الاعْتراف بالثّانويّة

لِقَاءات عَديدَة جَرَت بَيْن مَسْؤولي وزَارَة التَّرْبية والتَّعْليم في الحُكُومة السُّوريّة المُؤقّتة، ومَسْؤولي وزَارَة التَّعْليم الوَطنيّ التّركيّة، تَوَجّها لِقاءٌ مُطَوّل بيْن الوَزيريْن الدّكْتور محي الدين بنانة والدّكْتور نابي أفجي، أَثْمر اعْترافاً تُرْكيّاً بالشَّهادة الثَّانويّة السُّوريّة.

امتحانات الشهادة الثانوية ٢٠١٤

نَصّ قَرَار الاعْتراف عَلى اعْتبار الشَّهادَة الثَّانويّة التي سَتَمْنحها الوزَارَة هَذا العَام، وشَهَادة الهَيْئة الوَطنيّة العُلْيا للتَّرْبية والتَّعْليم العَالي الصَّادرة العَامَ المَاضي، إِضَافةً للشَّهَادَة الصَّادرة عَنْ وزَارَة التَّرْبية اللِّيبيّة شَهَادات مَقْبولة في تُرْكيا.

يَسْتفيد منْ هَذا القَرَار آلافُ الطُّلاب السُّوريين، الذينَ طَالَما حَلموا بالحُصُول عَلى فُرْصة التَّعْليم الجَامعيّ، والتَّسْجيل في الجَامعات التّرْكيّة.

وتَحدَّث الدكتور بنانة في المُؤْتمر الصَّحَفيّ عَنْ وَعْدٍ فَرَنْسيّ بالاعْتراف بالشَّهادة السُّوريّة، وهَذا ما يَفْتح البَاب وَاسعاً أَمَام اعْترافٍ أُوروبيّ يَشْمل الدُّول والمُنظّمات التَّرْبويّة المُوقّعة على اتْفاقيَة بولونيا للتّعْليم.

وفي التّعليم العالي

تَعْتزم الوزَارة افْتِتاح جَامعةٍ سُوريةٍ في الدَّاخل السُّوريّ المُحرَّر قَريباً مِنَ الحُدُود التُّرْكيّة حَيْث المَنَاطق الأَكْثر أَمَاناً، لاسْتيعابِ حَاملي الشَّهَادات الثَّانويّة، ومَنْح الطُّلابَ الجَامعيين المُنْقطعين عَن الدِّرَاسة فُرْصةَ مُتَابعة تَحْصيلهم الجَامعيّ.

وهُنَاك دِرَاسة لافْتتاح جَامعةٍ ثَانيةٍ عَلى الأَرَاضي التُّرْكيّة، وأَكّد الدّكْتور بنانة أنّ الوزَارَة تَسْعى لتَأْمين التَّمْويل اللّازم لافْتتاح الجَامعتيْن قَريباً.

وفي هَذا الشَّأْن، قَدّمتْ المَمْلكة العَربيّة السّعُودية مِنْحة دِرَاسيّة في الجَامعات السَّعُودية لثَلاثَة آلاف طَالب سوريّ مُقيم في المَمْلكة.

كَمَا تُجْري الوزَارَة اتْصالاتٍ مُتَواصلةٍ مَعَ عَديد الدُّول، مِنْ أَجْل تَوْفير مَقَاعد دراسيّةٍ لطُّلاب المَاجِسْتير والدّكْتوراه ممَنْ قَرّروا مُغَادرة جَامعَات نِظَام الطَّاغية، وتَسْعى لإِيجادِ مِنَحٍ بَحْثيّة للأَكَاديميين السُّوريين المُنْشقين عَنْ النّظَام، لمُتَابعة أَبْحاثهم العِلْميّة، وَيَتجاوز عَدَدهم خُمْسمائة أَكَاديميّ.

الحرب الأهلية في بلاد الشام

مروان عبد الهادي

انْتفاضَة «أَهْل السّنة»، أوْ انْتفاضة «العَشائر» كَما يُسمُّونَها، ضدّ نِظَام المَالكي «الشِّيعي» في العِرَاق، يَفْتح البَوَّابة الوَاسِعة لِحَرب طَائفيّة دَمَوية مَكْشوفة، بَيْن «السّنة» و«الشِّيعة»، لَيْس في العِرَاق وَحْده، إنّما في كُلّ بِلادِ الشَّام (العِراق، سُورية، لُبْنان)، والتي تَتَشابه في تَنوُّع مُكوّناتها المُجْتمعيّة، والإثْنية، والدِّينيّة، والقَوْميّة.

والبَحْث في الأَسْباب المُبَاشرة، أوْ القَريبة، تُعِيدنا إلى مَرْحلة صَدّام حسين الذي أَقَام نِظَاماً اسْتبْداديّاً، أوْ «دَوْلةً أَمْنيةً» بتَعْبير طيب تيزيني، شَبيهَةً بالنِّظَام الأَمْنيّ الذي أَسّسه الطَّاغيّة الأَب في سُورية. والإثْنان «خِريجو نفْس الايدْيولوجيا البَعْثيّة»، وعَمِلوا بِنَفْس المَبْدأ لتَثْبيت نِظَامهم الأَمْنيّ، وهُو الاعْتماد على الطَّائفة لاخْتيار وانْتقاءِ عَنَاصر المَافْيات المُسَيْطرة، وخاصّة في الجَيْش والأَمْن. ممّا أَصْبغ عَلى النِّظام كَكُلّ الصِّفة الطَّائفيّة: نِظَام طَاغية العِراق «السُّني»، ونِظَام طَاغية الشَّام «العَلَوي». وهَذا أَحَد الأَسْباب للخِلافِ التَّاريخيّ بيْن الإثْنين، واصْطفاف طَاغية الشَّام إلى جَانب إيرَان في حَرْب السَّنَوات الثَّمانية بيْن إيرَان والعِراق (١٩٨٠-١٩٨٨)، والتي سَاهَمتْ إلى حَدٍّ كَبيرٍ في تَعْميق الرُّوح الطَّائفيّة في العِرَاق، ومَا تُفْرزه مِنَ النّقْمة، والثَّأْر وانْعدام التَّسَامح، وُصولاً إلى اسْتحالة العَيْش المُشْترك.

ومَع سُقُوط الدِّكْتاتور، وَجَد الشَّعْب العِراقي نَفْسه- وكَذلك الشَّعْب السُّوريّ مُنْذ انْتقال الثَّوْرة نَحْو الكِفَاح المُسلّح، وأَيْضاً لُبْنان مُنْذ الاسْتقلال- لا يَنْتمي إلى هُويّة مُوَحّدة، أوْ لِوطنٍ واحِد. إنّمَا كَانَ الوَلَاء للمَذْهب والمَرْجعيّة الدِّينيّة، أوْ للعَشيرةِ والقَبيلةِ، أوْ حتّى للمَنْطقة، هُو السَّائد والأَكْثر فَعَاليّة. ولذَلك مِنَ الطَّبيعيّ أَنْ يَكُون البَديل عَن النِّظَام الدِّكْتاتوريّ الطَّائفيّ، نِظَاماً مِنْ نَفْس البُنْية، لَكن مَع اسْتبْدال الطَّائفة (السُّنة)، بطَائفة أُخْرى (الشِّيعة)، والتي كَانَت مُسْتعدة للانْقضاض على السُّلْطة، والثَّأر «لمَظْلوميتها» على يَدِ النِّظَام السَّابق.

هَذه السُّلْطة الجَديدة اعْتَمدت في تَأْسيسها، على مَبْدأ المُحَاصصة الطَّائفيّة. بدَعْمٍ إيرَاني للسَّيْطرة على العِرَاق، والتَّوافُق مَع أَمْريكا التي عَمِلت عَلى هَنْدسة السُّلْطة الطَّائفيّة الجَديدة في العِرَاق.ومَعَ تَسلّم «المالكي» السُّلْطة في (٢٠٠٦)، ثمّ اغْتصابه للسُّلْطة لِولايةٍ ثَانيةٍ بَعْد أَنْ أَزَاح جَانباً أياد عَلّاوي، رُغْم حُصُول قَائمة العَلّاوي عَلى الأَغْلبيّة في البَرْلمان، وتَأْسيسه لجَيْش ضمّ أَغْلبيّة المِيليشيات الشِّيعيّة، وجِهَاز مُخَابراتٍ طَائفيّ مَدْفوعاً بالثَّأْر والانْتقام مِنَ النِّظَام السَّابق، وتَعْميم هَذا الانْتقام لِيَشْمل طائفة السُّنة ككُل. سَواءٌ بالقَتْل أوْ التَّهْجير، والتَّطْهير الدّينيّ والعِرْقيّ، أوْ الاعْتقال الذي شَمِل مِئات الآلاف مِنَ الرِّجال والنِّساء والأَطْفال. وسَاعَد عَلى ذَلك غيابُ المُجْتمع المَدَنيّ ومُنظّماته، ومَوْت السِّياسة. حَيْث تمّ تَصْفية الأَحْزاب الوَطنيّة المُعَارضة بكلّ تَنوّعاتها على يَدِ الدكْتاتور السَّابق. ولَمْ تَظْهر على السَّاحة الجَديدةِ أَحْزابٌ حَديثَةٌ شَعبيّةٌ تُعبِّر عَنْ الإرَادة الوَطنيّة العَامّة للْعِراقيين. وإنْ وُجِدت فَهي نُخْبوية غَيْر فَاعِلة، لأنّها غيْر مُنْتشرة بيْن الشَّعْب.

وهَذه «الانْتفاضة»، هي مُحصّلةٌ طبيعيّةٌ للصِّراع الطَّائفيّ الذي انْفجر بَعْد الاحْتلال الأَمْريكيّ للعِراق، وإسْقاط ديكْتاتوريّة صدّام، الذي أدّى في النِّهَاية إلى اسْتحالة اسْتمرار العَيْش المُشْترك تَحْت مِظلّةٍ وَاحدَة.

لكنّ انْفجار الصِّراع الطَّائفيّ بِهَذا الشَّكْل الوَاضِح، والتَّصْريح الوَاضح والمَكْشوف بأَنّ المُتصارعين همْ أَتْباع «يَزيد» مِنْ جِهة، وأَتْباع «الحُسين» مِنْ جِهةٍ ثَانية، الذي لَمْ يَجفّ دَمَه بَعْد، ومَازَال يُغذّي رُوح الثَّأْر والانْتقام، والحَقْد الأَعْمى، يُعيدنا إلى الوَرَاءِ لأَكْثر مِنْ ألفٍ وأَرْبعمائة عَام. إلى مَعَارك الجَمل، وصِفّين، وكَرْبلاء (٦٨٠م-١٠ محرّم٦١ للهجرة). ومَازالت راية «ثَارات الحُسيْن» تُلاحقنا، وقَميصُ عُثْمان يَبْحث عنْ قَاتله!!. وهُنا نَجدُ السَّبَب العَميق لاسْتمرار هَذا الصِّراع المُميتِ والمُدَّمر.

والحَقيقة، فإنّ هَذا النُّكُوص لَيْس مُسْتوردا مِنَ الخَارِج، أَوْغَريباً عنّا. إنّهُ تَاريخُنا الذي يُلَاحقنا ولَمْ نَكُن قَادرين حتّى الآن على الانْفلات منْه. مازَال يُحَاصرنا ويَعْمي عُيوننا وقُلوبنا. ويُدّمر حَاضِرنا، ومُسْتقبلنا. وهُنا نَحْن بِحَاجة للبَحْث العَميق للإجَابة عَلى السُّؤال الهَام: لِمَاذا مَازال المَاضي مُسْتمر في حِصَارنا، ويَلْتهم حَاضِرنا»؟

لاشكَّ بأَنّه «لوْ» عَمِلت النُّخَب السِّياسيّة بعْد سُقوط صدّام عَلى بِنَاء دَوْلةٍ مَدَنيّةٍ ديمقْراطيّةٍ حَقيقيّةٍ، لمَا وَصَل الصِّرَاعُ إلى حَدّ الانْفجار المُسلّح المَفْتوح كَما نَرَاه الآن، لكنّ التَّاريخَ لا يَقْبل كَلمة التَّمنّي «لوْ». «لوْ» حَصَل كَذا، فالنَتيجَة سَتَكون كَذا. والسُّؤَال الأَهمّ هُو تَفْسير عَدَم قِيام هَذه الدَّوْلة المَنْشودة التي تُعبّر عنْ الإرَادَة العَامّة للجَميع؟

والكُلّ-أيْ «النُّخَب السِّياسيّة»- يَتَهم الكلّ، بالارْتباط بالخَارِج. واعْتبار هَذا الخَارِج هُو المَسْؤول الأوّل. أَمْريكا هي السَّبَب الرّئيس لأَنّها دَمّرت جَيْش صدّام وأَجْهزته الأَمْنية الطّائفيّة، ودَعْم السّعوديّة للسُّنة هُو الذي دَفَع بالشَّعْب للانْتفَاضة. وبالمُقَابل اسْتقْواء النِّظَام الطّائفيّ الشِّيعيّ بإيرَان. وهَذا صَحيح وطبيعيّ، نَتيجة النِّظَامِ السِّياسيّ الطَّائفيّ، سُلْطة ومُعَارضة.كَمَا هُو الحَالُ في لُبْنان مُنْذ عُقود.حَيْث تُؤكّد التَّجْربة اللُّبْنانية أَنّ الطَّائفيّة لا تُؤَسّس للدّيمقْراطيّة والحرّية. وديمُقْراطيّة الطَّوائف لَمْ تُجنّب لُبْنان الحَرْب الأَهْليّة، وهي مُرَشّحةٌ دائِماً لِعَوْدة هَذه الحَرْب منْ جَديد.

والكُلّ يَتَحدّث باسْم الوَطَن، والدِّيمقْراطيّة. لكنْ لكلّ فِئة وَطَنها الخَاصّ الذي تُحَاول أنْ تَرْسمه وُفْق ايدْيولوجيتها المَذْهبيّة المُغْلقة، ولا تَقْبل بالآخَر كَإنْسان، أوْ كَمُواطن، إنّما كَرعيّةٍ عَليْها تَقْديم الطَّاعَة. وإلاّ فالرّعيةُ كَافِرة، وإرْهابيّة مُرْتَبطة بالخَارِج، يَجبُ القَضَاء عَليْها، وُفْق مَبْدأ طَاغية الشَّام الجَديد «إمّا أَنا، أوْ أَحْرق البَلَد».

الكُلّ يَتحدّثُ باسْم العَقْل، والكُلّ يُحَارب العَقْل مُنْذ أنْ رَفَع رَايته المُعْتزلة قبْل ألْف وأَرْبعمائة عَام. الكُلّ يُخْفي حَقْده التَّاريخيّ وَرَاء الدَّعْوات الزَّائفة للسَّلام، والتَّعايش المُشْترك. لأنّ «الكلّ يُحَارب الكلّ»، وُفْق مَبْدأ هُوبز الشَّهير «الإنْسان ذِئْب للإنْسان الآخر»، بِهَدف السَّيْطرة على السُّلْطة وإخْضاع الآخر. والذِّئْبة نَرَاها بأَعْيننا في المَرْحلة الرَّاهنة. عِنْدما يَغيبُ العَقْل، والوَاجب الأَخْلاقيّ، ويَسُود المَكْر، والخِدَاع، والفَظَاعة في قَتْل وتَدْمير الآخَر.

وَرُغْم أنَّ الكُلّ يَبْحث عَنْ حَلٍّ سياسيّ، لِوَقْف العُنْف والقَتْل المُتَبادل. لَكنّ لا حَلّ سِلْمي في المَرْحلة الرَّاهنة. إذْ يَبْدو أنّ الكُلّ لَمْ يَرْتوِ مِنْ دِمَاء الآخَر، ورُبّمَا يَمْتدّ هَذا النَّزيف لِسَنَواتٍ طَويلةٍ، ويَشْمل بِلاد الشَّام بالكَامِل،سُورية المُشْتعلة مُنْذ ثَلاث سَنَوات، ولُبْنان الجَاهز دَوْماً للحَرْب الأَهْليّة،حَيْث سَيُعاد تَشْكيل المَنْطقة مِنْ جَديد،وفْق سايكس-بيكو عَربيٍّ جَديد لَمْ تَتّضح مَلَامحه بَعْد.

كشف المستور .. عبر المناسبات الفيسبوكية

مرهف دويدري

قَبْل أَنْ تُنْهي الثَّورة السُّوريّة عَامَها الثَّالث عَلى التَّوالي، ظَهَر جَليّاً تَمَلْمل فِئَات كَثيرةٍ مِنَ الشَّعْب السُّوريّ، الذي بَدَأ الثَّورة بحَمَاسٍ شَديدٍ لإِسْقاط الدِّيكْتاتور، عَلى اعْتبار أنَّ عَوَاصف الرَّبيع العَربيّ هَبّت غَرْباً مُتّجهة إلى الشَّرْق المُسْتبدّ، فَكَانت المُشَاركة التي اعْتَبرها البَعْض شَعْبية فِطْرية، لأَنّ الإِنْسان وُلِد مَفْطوراً على فِكْرة الحرّية، اسْتناداً لقَوْل الخَليفة عُمر بن الخَطّاب (مَتَى اسْتَعْبدتْم النّاس وقَدْ وَلَدتهم أُمّهاتِهم أَحْراراً)، وآخَر اعْتَبرها ثَوْرةً ذَات بُعْد فِكْريّ، خَاصّة وأنّ أَهمّ أَدَواتها هي السِّلْمية، ومَا أَنْ دَخَل السِّلاحُ إلى مَيْدان الثَّورة السُّوريّة حتّى صَمَت الجَميع، أوْ لِنَقُل مُعْظم مَنْ يُنَادون بالحُرّية، عَلى اعْتبار أنّ المَعْركة ذَهَبت باتْجاه الطَّائفيّة، وبِذَلك وَضَعت قُيوداً عَلى الكَلَام والحُرّيات مرّة أُخْرى لا تَقلّ اسْتبداديّة عنْ تلْك التي اعْتَاد النّظَام عَلى مُمَارستها!

فَفي غُمْرة السِّجَالات واخْتلافَات الرّأْي حَوْل شَرْعيّة قِتَال دَاعِش، والذي تَمَحْور حَوْل عَدَم مَشْروعيّة هَذه الحَرْب ضدّ التَّكْفيريين، وكَانَ الشُّعورُ بالأَمَان إلى حدٍّ مَا في قَوْل كَلمة الحَقّ قَدْ بَدَأ يَتسلّل إلى قُلُوبُ النّاس بِشَكْل عَام، فَبَدأ جُمْهور الفيسْبوك المُتّهمينَ مِنْ قِبَل المُقَاتلين بالتَّنْظير، وبأَنّ كَلَامهم فَارغ لا مَعْنى لَه؛ بَدَؤوا بإِنْتاج أَفْكارٍ جَديدة لدَعْم مَفْهوم الحُرّية والتَّعْبير عن الرّأْي بدُونِ رَقيبٍ أوْ حَسيب، فظَهَرت مُنَاسبات «events» عَلى مَوْقع التَّواصُل الاِجْتماعيّ «فيسْبوك» لِتَتْرك مَجَالاً منَ الحرّية الكَاملة لمُسْتخدمي الفيسبوك بالكَلَام المُبَاح، وكَشْف المَسْتور عمّا حَدَث منْ أَخْطاء كَبيرةٍ في الثَّورة السُّوريّة، وطَبْعاً جُمْهور الفيسبوك لَمْ يَنسَ جَرَائم النّظَام والحَديث عَنْها ضِمْن مَنْشورات المُنَاسبة!

ممذا لا شَكَّ فيه أَنّ تَحوّل هَذه المُنَاسبات إلى حَالات منَ السُّخْرية الشَّديدة منَ المُعَارضة السِّياسيّة، وبَعْض الكَتَائب المُقَاتلة عَلى الأَرْض، إنّما تَدّل بِشَكْل أوْ بآخر عَلى ضَجر هَؤُلاء السُّوريين ممّا يحْدث في جَسَد الثَّورة بشَكْل عَام، وربّما قَدْ تَحوّل في أَحْيانٍ أُخْرى إلى مَنْشورات فَضَائحيّة، تَصل إلى حدِّ التَّخْوين!

الحَقيقة، أنّنا نَسْتطيع أنْ نَصِل إلى مَا يُشْبه اسْتطلاعاً للرّأْي العَام، والمِزَاج الجَمْعيّ للمُواطِن السُّوريّ عبْر هَذه المُنَاسبات، عَلى اعْتبار أنّه في بَعْض المُنَاسبات تَكُون الدَّعْوة مُوَجهة إلى ما يُقَارب الـ ٥٠٠٠ مُشَارك، فَيصِلُ العَدَد إلى ٧٣٠٠ كَمَا حَدَث في مُنَاسبة (وَجهْ نصيحة لثّوار أوكرانيا و فنزويلا) -على سَبيلِ المِثَال لا الحَصْر- هَذه الزِيادة في الأَعْداد تُعْطي مُؤشِّراً مُهمّاً عنْ أنّ هُنَاك إِقْبال عَلى إِبْداء الرَّأْي، حتّى بدُون دَعْوة، وربّمَا تَكُون هَذه المُنَاسبة هي الوَحيدة في اسْتطْلاعات الرَّأْي – بِغضِّ النَّظر عنْ المَنْهجيّة – والتي تَصلُ فيها نِسْبة مَنْ أَعْطوا رَأْيهم إلى مَا يُقارب ١٢٥ ٪ ،و هي نِسْبة تَكَاد تَكُون مُسْتحيلة في اسْتطْلاعَات الرَّأْي الخَاصّ بالمَرَاكز البَحْثيّة وقِيَاس الرَّأْي!

على كِثْرة هَذه المُنَاسبات إلاّ أنّ هُنَالك عَدَد قَليلٍ منْ هَذه المُنَاسبات صَادف إِقْبَالاً عَلى قَدْر منَ الأَهميّة، وتَحْضرني هُنا ثَلاثُ مُنَاسبات رُبّمَا تُعْطي فِكْرةً لا بَأْس بِها عَنْ الرَّأْي العَام.

لنَبْدأ بالمُنَاسبة الأُولى (وَجِّه نَصيحة لثُوَّار أوكْرانيا و فَنزويلا)، والتي ظَهَرت بَعْد الأَحْداث التي تَفجّرت في شِبْه جَزيرة القِرْم شَرْق أوكرانيا؛ على اعْتِبار أنَّ الدَّاعِم الأَكْبر للنِّظَام السُّوريّ همْ الرُّوس، والأُوكْران هُم أَعْداء الرُّوس. وعَلى مَبْدأ (عدو عدوك صديقك) أُسِّست هَذه المُنَاسبة، وبَدَأت المَنْشورات تَتَحدّث عنْ أَخْطاء الثَّورة السُّوريّة بكُلّ مَا فيها منْ إِشْكالاتٍ أَخْلاقيّةٍ، وتَكْتيكيّة عَلى الأَرْض، أوْ الإِخْفاقات السِّياسيّة عَلى مُسْتوى المَجْلس الوَطنيّ، أوْ الائْتلاف السُّوريّ، ولكنْ بتَسْميات أُوكْرانيّة بَحْتة.

أمّا المُنَاسبَة الأُخْرى التي لا تَقلّ سُخْرية عَنْ الأُولى، فهي مُنَاسبة حَمَلت عُنْوان (إي ندمان على..) لإِيرَاد أَفْكار ثَوْريّة كَثيرة نَدِم عَلَيْها فَاعِلُوها، ولوْ عَاد بِهُم الزّمن لربّما غَيّروا أَفْكارهم ولَمْ يُقْدموا عَلى هَذه الأَفْعال، كَتَأْييد المَجْلس الوَطنيّ، أوْ أنّ «الاِئْتلاف السُّوريّ يُمْثلني»، غَيْر أَنّ التَفَاؤل أَحْياناً يَجِد حَيّزاً لَه في حِسَابات بَعْض الفيسبوكيين، على اعْتبار أنّه لَيْس كلّ ما حَصَل سَيىء، إذْ أنّ هُنَالك مُنَاسبة خَاصّة بالتَّمنّي، وتَحْمل عُنْوان (بس تخلص الأزمة..)، وهُنَا تَظْهر مَسَاحة الأَمَل المَوْجودة في قُلوب الفيسبوكيين الذين يُتَابعون كلّ الأَخْبار بَيْن مُصدِّقٍ وغَيْر مُصدِّق. هُنا في هَذه المُنَاسبة نَعْرف تَمَاماً مَا هُو الشَّيْء الذي يُفكّر فيه السُّوريّ، ويَتمنَّى للمُسْتَقبل حتّى لَوْ لَمْ تَنْتهِ الأَزْمة، أوْ هيَ الثَّورة ..

والحَقيقة أنَّ لا فَرْق بَيْن مُنَاسبة ومُنَاسبة إلاّ في حَجْم الحرّية للمُوَاطن الذي عَاشَ، ويَعيش، الاِسْتبداد بِكلّ أَصْنافه..

صفحة نصائح سورية للثورة الأوكرانية

السّوريون «سيمورغ» الحرّية المغدور

أحمد الشمام

«السيمورغ» كلمة فارسيّة تَعْني الثّلاثون طائِر، وهي إحْدى الإبْداعات الأدبيّة التي تَنْتمي لِأدب المَلاحم، وتَرْجع في أَصْلها لأُسْطورةٍ صينيّة قَديمةٍ تَصِل في عُمْقها ودَلالاتها المِيثيولوجيّة لمسْتوى أُسْطورة طائِر الفِينيق السّوريّ، ولَها انْبثاقات كَثيرة في آدابِ الشّعوب الأُخْرى وطُروحٍ أدبيّة وَفِكْريّة مُوازية لِمَا وشّت به مَنْ مَعانٍ عَميقةٍ لَوْحةُ العَطاء الإنْسانيّ، وَأَخذت تَظْهر كَعَمل «مَلْحميّ» رَائعٍ بَعْد أنْ تَدَوالها صُوفيّو المَشْرق منَ الرّوميّ إلى الحلاّج، ثمّ كَتَبها الغَزّالي «رَسائل الطّيْر»، ثمّ أَعَاد إنْتاجها -بأدبِ المَثْنويّ الفَارسيّ- الصُّوفيُّ فَريد الدّين العطّار تَحْت مُسمّى «مَنْطق الطّيْر أَوْ مُؤْتمر الطّيْر»، لِتَفيض بالدّلالةِ اللّغويّة، والشّعْريّة، والفَلْسفة الصّوفيّة التي ارْتَقت بالأَدبِ في شَطْحاتِ روحٍ وفِكْر غَاصَت في أَعْماق النّفْس وتَحوّلاتِها.

تَحْكي الأُسْطورة الأُمّ «مُؤْتمر الطّيْر»، عَنْ اجْتماع الطّيْر للبدْء برِحْلة شاقّةٍ بَحْثاً عنَ الحَقيقة، وعَن مَلكٍ لَها هو «السّيمورغ « أوْ الثّلاثون طَائراً التي تَعْني بَرْلمان الطّيْر.

ومَا الشّبابُ العَربيّ الثّائر نَحْو تَحْقيق إنْسانيته وحرّيته إلاّ صُورةً عنْ هَذه الأُسْطورة، وهَذا النّحْو المُتوثّب. لَكنّه، وبرَغْم كلّ صُعوباتِها، لَمْ يَعْتقد بأَنّها قدْ تَطول في خِضّم مَا سُمّي «بالرّبيع العَربيّ» المُتهَالك، الذي سَيرْسم مَلامِح جَديدة للحَياة قَدْ يَتبوّأ منْ خِلالِها أَكْثر ممّا تَبوّأته الثّورة الفرَنْسيّة منْ إنْتاجٍ لِمَفاهيمَ ودَلالاتٍ بالنّسْبة لِمَنْطقةٍ غُيّبت قُدراتها واغْتُسفت ورُسِم لَها أَنْ تَكون بَيَادق حُروبٍ، ومَنَاطق نُفوذٍ لوْ وُوجهَت بِها الثّورة الفرنْسيّة لما تَمكّنت مِنْ تَحْقيق ما حَقّقت.

وتُمْعن المَلْحمة -الأُسْطورة- في اسْتِحضار المَخْبوء في النّفْس ومُواجَهته والصّعاب التي تُعيقُ ذَلك، وتَكْشف رُوحانيّات النّازعين نَحْو حرّيتهم وحقّهم في تَحْقيق مَا يَصْبون إلَيْه بَعيداً عَمّن أَنْهكهم الضّعفَ وسلّمُوا قِيَادهم لِمُفْردات اليَوْميّ المُتيسّر منْ حَيَواتِهم، وبَعْد إثْرائها بالأَدَب الصُّوفيّ الشّاطح في عُمْق دَلالاته ومُتْعتها فَيُوحي «بأَنّ لِكلٍّ منّا أَجْنحة قَدْ لا يَكْتشفها إلاّ القَليل»، عِنْدما يَسْعى للتّحْليق نَحْو وَطَنه الأَصْل: «السّيمورغ» أوْ المَعْرفة، أوْ الصّفْوة.

وتُظهِر الطّيور في المَلْحمة حجَجاً ومُعيقاتٍ تُعبّر عَمّا يَشُوب النّفْس البَشريّة منْ أَهْواءٍ ومثبّطاتٍ، تَكُون دَوافِع رُكُودَ ورُكُون كالبطّة، والبُومة، والغُراب وغَيْرهم. كَمَا تُظْهر أُخْرى حبّاً وسَعْياً في التّفَاني ونُزوعاً نَحْو الرّحْلة وإتْمامها بكلّ تَصْميم. تَرْوي المَلْحمة مَتَاعب المَجْموعة الصّغيرة منَ الطّيور التي تَنصّت لِهَذه المُهمّة الصّعْبة، وتَذْكر الوُدْيان السّبْعة التي تَمرّ بِها، وكَيْف يُمْتحن الجَميع بِنَوازعَ، ورَغباتٍ، وهِنَاتٍ قدْ تُعيق مَسَارها لَكنّها تُكْمل مَسيرتَها.

وبَعيداً عمّا أَغْرقت به شَطَحات الصّوفيّة الفَريدة في تَحْميل المَعَاني لكلّ وادٍ تَمرّ هَذه الطّيور بوادي الرّغْبة والبَحْث، ممّا يُحيلُ إلى الإرَادة التي مِنْها يَبْدأ الفَرْد بخُطْوته الأُولى في مَسيرة الأَلْف ميل. هَكذا بَدا السّوريّون ثَوْرتهم غَيْر آبهين بلُقْمة الخُبْز أوْ مُغْريات الحَياة، فانْطَلقوا في ثَوْرةٍ كَرامةٍ لا ثَوْرةَ جُوع.

ثمّ وادي الحُبّ، الذي يَجِد فِيه النّازِعون نَحْو هَدفهم حُبّاً يَكَاد يَكون انْتماءاً لا عَاطفةً مُنْفعلة، ممّا يَدْفع لإيمانٍ عَميقٍ بِمَا يَصْبون إلَيْه، وهَكَذا انْطَلق الشّباب السّوريّ لِيَكُون مَارداً مُتواشِجاً مَع أَقْرانه يَجْمعهم هَدفٌ تَحابّوا وتَآخُوا لأَجْله مُتآزرين شَهيداً يَسْند شَهيدا.

ثمّ تَمرّ الطّيورُ بِوادي المَعْرفة، كَمَا عرف السّوريون أَنّهم سَاروا في ثَوْرة عَن العَالم كلّه وضدّ عُتاة العَالَم كلّه، وعرَفوا ما يُصيب الأَنْفس منْ مَرضٍ، فَتَنادوا لِتَنْقية نُفوسَهم وبَعْضهم البَعْض.

ثمّ يَمرّون بوَادي الفقْر والحَاجة، الذي جَعَلهم يَشْعرون أنّ لَيْس لَهُم سِوى الله، وأنّ عَليْهم أنْ يَصْبروا ويُرتّقوا جِرَاحهم بأَيْديهم، وألاّ يُعوّلوا عَلى أَحدٍ.

ثمّ تَمرّ الطّيْر بوَادي الوحْدة والانْعزال، وهَكَذا أَصرّ السّوريّون على الأَرْض وتَحْت القَصْف، وبَيْن حُدود الحِصار والتّجْويع عَلى ألاّ يَكُونوا مَرْتهنين لأَحدٍ مَهْما خَسِروا.

ثمّ وادي الارْتباك، ممّا يَدْفعهم لأَنْ يَتفكّروا في دَوَاعي تَعثّر ثَوْرتهم، لِيَعْرفوا أنّ العَالَم لَيْس مَعَهم وأَنْ يُشذّبوا عَمَلهم ممّا شَابَه منْ حُضور الجميع ليَمْتطي ثَوْرتهم، ويَقْطف ثِمارَها جِزافاً.

كَما تمرّ الطّيور في النّهايةِ بِوادي الإبادة والعطَش، الذي يُمْتحنون فيه حتّى تَنْفذ قُرْبة الصّبْر.

ثمّ تَجْتاز الطّيْر وادي العَطش الذي بِنهايَته يَكوُن الوُصول إلى الأُفق الذي يُصْبح مِرآةً تَعْكس صُورة الحَقيقةِ والوَطَن الأَصْليّ لَهم، ويَرَوْن وهُم في أَوْج تَعطّشهم للحَقيقة والنّهاية، يَرَوْن في الأُفق المِرْآة في قمّة جَبل «قَاف» انْعكاساً لِصُورتهم، وهِي ثَلاثُون طَائراً «سي مُورغ» تَجَاوزوا كلّ المِحَن لِيَكْتشفوا الحَقيقة، وأنّهم هُم المَلك الحَقيقيّ الذي عَليْه أنْ يقودَ نَفْسه.

كَذا هي الغَاية التي انْتَضى لَها الشّعْب السّوريّ الثّائر دَمَه وأَرْواح أَبْنائه بَحْثاً عَن الحَقيقةِ والوَعْد، بأَنّ يُحدّد هُو مَنْ يَحْكم نَفْسه وليَكونَ مَنَارةً للشّعوب تَلْوي ذِراع الصّعاب التي حِيكَت لَه لِتَخْضع تلْك الشّعوب وتُدجّن.

ومَا الاحْتيالَات عَلى الثّورةِ السّوريّة إلاّ لِتَشْويه مِرْآة الأُفُق الذي يَعْكس صُورة الأَبْطال في النّهاية إنْ لَمْ يَسْتطع تَحْطيم الثّلاثين طَائراً.

ومَا الأَعْداء وكُثْرتهم، والمُخذّلون، والمُشكّكون، والمُرْجفون. لَيْسوا إلاّ مُحَاولات تَشْويه مُتعمدّة للصُورة والمِرْآة لأَجْل ألاّ يَكون السّوريّون «سيمورغ الشرق» الذي تَحْتذي بِه شُعوب الشّرْق النّازعة نَحْو حرّيتها وكَرَامتها.

لا شكّ أنّ هُناك طُيوراً وَرد ذكْرها في الأُسْطورة -الملحمة- وأُخْرى لَمْ يَرد ذكْرها بَيْنما وَرَدت صُورة «السّيمورغ» في اللّوْحات الفَارسيّة على شَكْل نِسْر، ممّا يُحيلنا إلى التّساؤُل عنْ البُومة والغُراب والنّعامة في ثَوْرتنا منَ الذين لمْ يَرد لَهم ذِكْر، ومِنَ المُحقّ التّذْكير بأنّ الأُسْطورة قدْ صَوّرت رِحْلة طَيْر كَثير، ولكنّها أَبْقت عَلى مَنْ اسْتمرّ وأَغْفلت مَن سَقطوا.

لا فَرْق بَيْن أُسْطورة السّوريّين و«السّيمورغ» سِوى أَنّ مَنْ اسْتَشْهدوا في الطّريق إلى الحَقيقة والحُلم في ثَوْرتهم لَمْ يَسْقطوا كَتلْك الطّيور التي تَخَاذلت مُنْذ البِدايةِ أوْ خَذَلتْهم في مُنْتصف الطّريق، وأنّ مَنْ خَذَل السّوريّين كَانَ مِنْ خَارج ثَوْرتهم ولا يَسْتحق الذّكْر، وأنّ الذين يَفُوزون بالحَقيقةِ لَيْسوا مَنْ يَقود بَلْ منْ وَقَع شَهيداً عَلى مَذْبح الحَقيقة، والنّور، والحرّية. ومَنْ الْتَزم بِمَا مَاتوا لِأَجْله؛ هُم شَعْب ولَيْسوا أَفْراداً.

مقارنة بين دساتير الرّبيع العربيّ

محمد الجرف - مركز المواطنة المتساوية

ورقة مقدّمة إلى ورشة (الدّستور-المرأة-الدّيمقراطيّة) التي أقامها مركز المواطنة المتساوية في برمّانا-لبنان، بتاريخ ٧-٨ حزيران ٢٠١٤.

تمهيد:

تُحاول هذه الورقة تسليط الضّوء على السّياقات التي صيغت فيها دساتير الرّبيع العربيّ في المغرب وتونس ومصر، فبدأت بتعريف الدّستور على أنه «العقد الاجتماعي الذي يُبرم بين أفراده» وهو «القانون الأساسيّ الذي يُحدّد طبيعة الدّولة، وهو الذي يُقرّر شكل الحكم في الدّولة». وتعرج على النقاشات والجدالات التي سبقت صياغة الدّساتير، فرأينا أنّ الموضوع الأساسيّ الذي طغى على هذه النّقاشات هو شكل الحكم، هل هو رئاسيّ أم برلمانيّ أم مختلط، وتبعاً لتوازنات القوى السّياسيّة وحجمها الرّاهن كان يتم التّركيز على شكلٍ دون آخر، فالبرلمانويون يرون أن الأهم هو تحديد صلاحيات الرّئيس درءً للانحرافات الرّئاسيّة ومنعاً لتكرار الأزمات التي أوصلت الشعوب العربيّة إلى أزماتها، فيما يرى الرّئاسويون أنّ الدّيمقراطية لا يُمكن اختصارها في الشّكل البرلمانيّ الذي من الممكن أن يؤدّي إلى استعصاءات ديمقراطيّة في الدّولة، وعموماً كان الإسلامويون يُفضّلون الشّكل البرلمانيّ لأنهم يعرفون أنهم الأقوى انتخابيّاً، فيما كان اليساريون ميّالون للشّكل الرّئاسيّ بسبب هشاشة الثّقافة السّياسيّة وضعف التّشاركيّة في المجتمعات العربيّة.

في هذه الورقة اعتبرنا أنّ المغرب استطاع أن يتجاوز الأزمة بفضل اختياره لتكتيك «التّغيير ضمن الاستمراريّة» فجاء الدّستور المغربيّ مُعبّراً عن إرادة ملكيّة عُليا إذ حافظ على مكانة الملك وصلاحياته في موازاة توسيع صلاحيات الحكومة. في حين صدرت الوثيقة الدّستوريّة التّونسيّة نتيجة لتّسويات مضنية بين حزب النهضة والأحزاب العلمانيّة بما فيها شريكاه في الحكومة، وهي وإنْ أكّدت على أن الإسلام هو دين الدّولة، وهو دين رئيسها كذلك، إلاّ أنّها شكّلت تطوراً مهماً على صعيد حقوق الإنسان ورفع تمثيليّة المرأة في المجالس السّياسيّة. وفي مصر شكّل الدّستور تراجعاً كبيراً حتى عن دستور ٢٠١٢ الموسوم بالدّستور الإخوانيّ، وجاءت العبارات حول حقوق وحرّيات المرأة عامّة وفضفاضة وبدون تحديد، كما عانى من ثغرات دستوريّة إذ فرّق بين وزارات سياديّة وأخرى غير سياديّة، وترك الكثير من الأمور الهامّة ليحددّها رئيس الدّولة، كما لوحظ فيه تغوّل الجيش على حساب الدّولة استناداً لنظريّة الظّروف الاستثنائيّة ربّما. ولم تأتِ هذه الورقة على تحليل الدّستور السّوريّ الجديد بسبب أنّها لم تعتبره جديداً، بل هو مجرّد دستور مطابق للدّستور الدّائم، دستور ١٩٧٣.

واختتمت الورقة بالقول بأن الدّساتير العربيّة الجديدة لم تستجب إلى روح الثّورات وتطلعات شعوبها، ولم تنصّ هذه الدساتير على ضمانة فعليّة لحقوق الإنسان، كما أنّها لم تخلق الشّروط اللازمة لبناء مجتمع مدنيّ حقيقيّ وشريك، بل كانت مُجرّد تسويات لتنازع القوى السّياسيّة في لحظتها الرّاهنة، دون النّظر لمستقبل الأجيال القادمة.

١.في تعريف الدّستور:

الدّستور هو ذلك العقد الاجتماعيّ الذي يُبرم بين المجتمع وأفراده، والدّولة ومؤسّساتها. حيثُ يُحدّد حقوق المواطنين وحرّياتهم، ويُنظّم علاقاتهم بين بعضهم البعض من جانب، وبينهم وبين الدّولة من جانب آخر، كما يتولّى رسم حدود العلاقة بما يضمن فصل السّلطات وعدم تغوّل سلطة على سلطة. ويُشكّل (الدّستور عملاً مركّباً يُهندس المعادلة الثّلاثية المتمثّلة في السّلطة والقيم والثّروة، كما يُرتّب التّفاعلات السّياسيّة وميزان قوتها على هيئة مُقتضيات تُحدّد قواعد اللعب بين مختلف مستويات النّظام المباشرة وغير المباشرة)«١» وهو (القانون الأساسيّ الذي يُحدّد طبيعة الدّولة، وهو الذي يُقرّر شكل الحكم في هذه الدّولة) «٢»

٢.في سياق التّدوين:

إنّ قيام الرّبيع العربيّ في الدّول السّت «٣» التي عانت أنظمتها من أزمة بنيويّة بسبب محاولتها فرض التّوريث كشكل ملازم للحكم، ممّا أدّى إلى ضعف في مشروعيتها، يُؤكّد على أهميّة البناء المؤسّساتيّ للقانون والذي يُشكّل الدّستور فيه النّاظم والضّابط للآليات التي تُحكم بمقتضاها قواعد اللعبة السّياسيّة، وفي صدارتها علاقة الدّولة بالمجتمع.

في هذه الورقة المُقدّمة إلى ندوتكم، سنحاول تسليط الضّوء على أبرز إيجابيات وسلبيات هذه الدّساتير، ونحن إذ استثنينا الدّستور السّوري الجديد (٢٠١٢) من هذه الدّراسة، فلأنّه جاء مُطابقاً تقريباً للدّستور الدّائم لعام ١٩٧٣، وبالتّالي لايُمكن اعتباره دستوراً ناتجاً ومعبّراً عن حراك الرّبيع السّوري، كما أنّ الأستاذة (رُلا بغدادي) قد قدّمت تحليلاً وافياً له.

لم يكن النّقاش الذي سبق إصدار الدّساتير العربيّة حول أفضليّة النّظم السّياسيّة وأكثرها ديمقراطيّةً: الرّئاسيّة أم البرلمانيّة أم المُختلطة، مُجرّد نقاش أكاديميّ يعكس قناعات المشاركين فيه فقط، بل كان وراء هذا الجدل تقديرات القوى السّياسيّة الفاعلة لحجمها الانتخابيّ الرّاهن، ولحجم خصومها كذلك.

فالفريق الذي كان يُدافع عن شكل النّظام البرلمانيّ يرى في الاختيار البرلمانيّ آليّة مؤسّساتيّة ضامنة لعدم تكرار «الانحرافات» الرّئاسوية، وكذلك لعدم تكرار الانتهاكات الجسيمة في حقوق الإنسان التي كانت تحدث في ظلّ الصّلاحيات الكبيرة المُعطاة لسلطة «الحاكم الفرد» على حساب بقيّة السّلطات. فيما تركّزت حجج «الرّئاسويين» على أنّ النّظام البرلمانيّ يحمل في ثناياه مخاطر الإنزلاق من حالة الدّولة الاستبداديّة الذي نعيشه حاليّاً، إلى حالة الدّولة الفاشلة، وذلك بسبب هشاشة الثّقافة السّياسيّة وقلّة الوعي السّياسيّ وضعف الخبرة التّشاركيّة في المجتمعات العربيّة. لذا لا يجب -في رأيهم- اختصار الدّيمقراطيّة إلى صناديق الاقتراع والانتخابات البرلمانيّة، على أهميّة ذلك، ولعدم الوصول إلى حالة الاستعصاء الدّيمقراطي في العالم العربيّ. ولكنّ النّظام الرّئاسيّ يحمل مضموناً سلبيّاً خطيراً، إذ أنّه «يُدخل إلى السّياسة عنصراً قويّاً يتمثّل في لعبة صفرية المحصّلة ذات قواعد تميل باتجاه يتمثّل في أن ينال الفائز في الانتخابات كلّ شيء، كما أنّ الحملات الرّئاسيّة تُشجّع السّياسة المُعتمدة على الشّخص، وتحجب سياسة الأحزاب المتنافسة والبرامج الحزبيّة»«٤» فيما تُشكّل الأحزاب في الدّيمقراطيّة التّمثيليّة (البرلمانيّة) «رابطة حيويّة بين المُقترعين والحكومة، وهي في المجتمعات المنقسمة جوهريّة وحاسمة في التّعبير عن مصالح الجماعات الطّائفيّة، ويأتي ترجيح نشوب الأحزاب في أنّ كلاً من الرّئيس والسّلطة التّشريعيّة يستطيع ادّعاء الشّرعيّة الدّيمقراطيّة بسبب انتخابهما شعبيّاً، لكن قد يكون انتماء الرّئيس الحزبيّ مختلفاً عن انتماء أغلبيّة السّلطة التّشريعيّة الحزبيّ».«٥»

إذاً، وبسبب الظّروف السّياسيّة التي يُعتقد في أنّها سبب الأزمات التي أدّت إلى انفجار الرّبيع العربيّ، وبسبب توازنات اللحظة الرّاهنة، فقد تحكّم عاملان في صياغة الدّساتير: الأوّل هو معالجة الاختلالات في توازن السّلطات، وخروج الحكومة من تبعيتها للرّئيس، ووضع الرّئيس أمام مسؤولياته السّياسيّة أمام البرلمان. والثّاني هو «أنسنة» تحجيم الصّلاحيات التّنفيذيّة للرّئيس وتدعيم صلاحيات الحكومة المستقلة.

٣. في الدّساتير نفسها:

أ. في الدّستور المغربيّ:

«لم يقطع الدّستور المغربيّ الجديد مع الدّساتير السّابقة، بل اعتمد خيار التّغيير ضمن

الاستمراريّة»«٦» فحافظت الملكيّة على مكانتها المحوريّة في البناء الدّستوريّ، ووُسّع، في الموازاة، دائرة صلاحيات السّلطات الدّستوريّة الثّلاث (البرلمان، الحكومة، القضاء)، وقد ارتكز المشرّعون المغاربة في صياغتهم للدّستور على خطاب التّنصيب الملكيّ في ٩/آذار/ ٢٠١١، والذي حدّد سبع مرتكزات مرجعيّة ناظمة ليس من بينها أي ناظم مُحدّد وواضح باتجاه الجندرة، أو ضمان مشاركة فاعلة وحقيقيّة للمرأة في الشأنين العام والسياسيّ، أو كفالة فعليّة لتمكين النّساء المغربيات من الحصول على حقوقهن في مواطنة كاملة، فحدّدت هذه المرتكزات الملكيّة السبعة محاور الدّستور في: «٧»

١-تكريس الطّابع التّعدديّ للهوية المغربيّة الموحدّة، مُعتبراً الأمازيغيّة في صلب هذا التّعدد.

٢-ترسيخ دولة الحقّ والمؤسّسات، وتوسيع مجالات الحرّيات الفرديّة والجماعيّة وضمان ممارستها.

٣-تأكيد استقلال القضاء، وتوطين سمّو الدّستور، والمساواة أمام القانون.

٤-فصل السّلطات.

٥-تقوية دور الأحزاب السّياسيّة عبر تعميق دمقرطتها، وترشيد تعدّدها وتكاثرها. كما أحاط المعارضة البرلمانيّة بعناية واضحة كي تقوم بدورها في التّشريع والرّقابة والمشاركة في صوغ السّياسات العموميّة وتقييمها، والأمر نفسه ينطبق على المجتمع المدنيّ.

٦-«تخليق الحياة العامّة»وإقامة مبدأ المسؤوليّة وقاعدة المحاسبة على صعيد ممارسة السّلطة.

٧-دسترة هيئة الحكامة الجيّدة، والحرّيات العامّة، وحماية حقوق الإنسان.

وعموماً، جاءت الوثيقة الدّستوريّة واضحة في «دسترتها للكثير من المبادئ والقواعد والمرتكزات، لعلّ أهمها بدأ فصل السّلطات، واعتماد الخيار الدّيمقراطيّ ثابتاً رابعاً للدّستور إلى جانب الدّين الإسلاميّ، والوحدة التّرابيّة، والملكيّة».«٨»

إذاً، لم يتم تنظيم أو دسترة أو صياغة باب أو مادّة خاصّة بحقوق المرأة، بل ورد ذكر تعبير المواطنين والمواطنات عابراً في الفصل (١٥٤) [يتمّ تنظيم المرافق العموميّة على أساس المساواة بين المواطنين والمواطنات في الولوج إليها، والإنصاف في تغطية التّراب الوطنيّ، والاستمراريّة في أداء الخدمات]. وفي شرح مهمات المجلس الوطني لحقوق الإنسان، والتي من ضمنها [النّظر في جميع القضايا المتعلّقة بالدّفاع عن الحرّيات وحمايتها، وبضمان ممارستها الكاملة والنّهوض بها وبصيانة كرامة وحقوق وحرّيات المواطنات والمواطنين، أفراداً وجماعات]. كما تمّ إنشاء (مجلس استشاري للأسرة والطفولة) مُعتبراً أنّ المرأة مشمولة فيه دون تخصيص أو تحديد.

وصحيح أنّ الدّستور المغربيّ الجديد ألغى صفة «مُقدّس» عن الملك الواردة في «الفصل ٣» من دستور ١٩٩٦ النّاصّة على أنّ «شخص الملك مُقدّس لا تُنتهك حُرمته» لكنّه أورد في «الفصل ٥٢» من دستور ٢٠١١ الجديد [للملك أن يُخاطب الأمّة والبرلمان ويتلو خطابه أمام كلا المجلسين، ولا يُمكن أن يكون مضمونه موضوع أي نقاشٍ داخلهما].

في النهاية، لم يفتح الدّستور المغربيّ الجديد الطريق نحو ملكيّة برلمانيّة كصيغة متقدّمة للحكم، ولم يضمن العبور إلى ديمقراطيّة حقيقيّة، كما أنّه يُعاني من الغموض والفراغات في العديد

من بنوده، خصوصاً ما يتعلّق منها بحقوق الإنسان وحقوق المرأة على وجه الخصوص، والمساواة الكاملة للمواطنات مع المواطنين، وحماية النّساء من الاعتداءات والانتهاكات.

ب. في الدّستور التّونسيّ الجديد ٢٠١٤

بعد الانتصار الكبير الذي حقّقته الثّورة التّونسيّة، أعلن رئيس الجمهوريّة المؤقّت فؤاد المبزع في ٣/آذار/٢٠١١ عن انتخاب مجلس تأسيسيّ جديد لوضع دستور جديد لتونس، وهو ما شكّل خطوة متقدّمة عن التّجربتين المغربيّة التي سارت على هدى الإرادة الملكيّة في وضع التّشريع، والمصريّة التي تمّ فيها تعيين أعضاء لجنة صياغة الدّستور من قبل الحكّام العسكريين، وبانتخاب المجلس الوطنيّ التّأسيسيّ انطلقت عمليّة إعادة تأسيس الدّولة، وبناء عقد اجتماعيّ جديد يُنظّم الحكم على أسس جديدة، خصوصاً وأنّ الحكومة الانتقاليّة كانت قد اتخذت قرارات جريئة منها: التّوقيع على البروتوكول التّكميليّ لاتفاقيّة مناهضة التّعذيب، والبروتوكول التّكميليّ الأوّل للعهد الدّولي للحقوق المدنيّة والسّياسيّة، ونظام روما المتعلّق بالمحكمة الجنائيّة الدّوليّة، وكما هو واضح فإنّ الهدف من وراء خطوات الحكومة الانتقاليّة هو إعطاء الدلالة الواضحة بأنّ الثّورة التّونسيّة قامت بالأساس على احترام مبادئ حقوق الإنسان.

في أثناء نقاشات وصياغة الدّستور، ظهر التّباين واضحاً بين النّهضة من جهة، وبقيّة الأحزاب العلمانيّة، بما فيها حليفاها في الحكومة من جهة أخرى، حول ثلاثة محاور أساسيّة:«٩»

يتعلّق **المحور الأوّل** بالأسس التي يقوم عليها نظام الحكم، وقد تركّز موضوع الاختلاف في البداية حول علاقة الدّولة بالدّين الإسلاميّ، وتمكّنت جميع الأطراف من التّوصّل في النّهاية إلى حلّ توافقيّ حول طبيعة الدّولة يقوم على المبدأ المنصوص عنه في دستور ١٩٥٩، والمتمثّل في اعتبار الإسلام دين الدّولة التّونسيّة، والتّخلّي عن التّنصيص على الشّريعة الإسلاميّة كمصدر للتّشريع، وهو ما يُعتبر موقفاً وسطيّاً بين المطلبيّة الإسلاميّة والمطلبيّة العلمانيّة.

وأمّا **المحور الخلافيّ الثّاني** بين حركة النّهضة الإسلاميّة وبقيّة مكوّنات المجلس الوطنيّ التّأسيسيّ فهو يتعلّق بموضوع الحقوق والحرّيات الذي تباين بشأنها الموقف بحكم ميل التّيار المحافظ إلى تقييد بعض الحرّيات، وخاصّة حرّية التّعبير والإبداع بشرط احترام المقدّسات الدّينيّة، وهو ما رفضته الأحزاب والمنظّمات المدافعة على حقوق الإنسان، وتمّ في النهاية التخلّي عن التّقييد.

ويتعلّق **المحور الخلافيّ الثّالث** بطبيعة النّظام السّياسيّ، حيث دافعت حركة النّهضة عن نظام برلمانيّ صرف تكون فيه السّلطة التّنفيذيّة بيد حكومة مسؤولة أمام المجلس النّيابيّ، ويتم تعيين رئيس الجمهوريّة من البرلمان بصلاحيات محدودة جدّاً، ويقتصر دوره على تجسيد وحدة الدّولة. في المقابل تمسّكت أغلب الكتل النّيابيّة الأخرى بنمط النّظام الرّئاسيّ المُعدّل الذي يكون فيه رئيس الدّولة منتخباً من الشّعب مباشرةً، ويتقاسم السّلطات مع حكومة مسؤولة أمام البرلمان.

وتمكّنت مختلف الكتل النّيابيّة المُكوّنة للمجلس التّأسيسيّ من تجاوز أهم العقبات المتعلّقة بطبيعة النّظام السّياسيّ بتخلّي حركة النّهضة عن فكرة النّظام البرلمانيّ المحض، وقبولها مبدئيّاً بالنّظام شبه الرّئاسيّ»

إذاً لقد جاء الدّستور التّونسيّ الجديد كنتاج لتحالف عريض بين الحركة الإسلاميّة من جهة والقوى العلمانيّة من جهة أخرى، وفيما كانت الدّساتير السّابقة تعاني من هيمنة رئيس الجمهورية على السّلطة التنفيذية وسّع الدّستور الجديد مجال السّلطة التّشريعية وخصّ المعارضة بحقوق تمكّنها من ممارسة مهامها، و تمييز الأدوار بين رئيس الدّولة و رئيس الحكومة والتّنصيص على استقلاليّة القضاء و المحكمة الدّستورية.

ورغم أن الدّستور التّونسيّ يعتبر أفضل الدّساتير العربيّة فيما يتعلّق بحقوق المرأة والنّوع الاجتماعي والمساواة الكاملة في المواطنة، فقد اعتبر في الفصل ٢١ أنّ «المواطنون والمواطنات متساوون في الحقوق والواجبات، وهم سواءٌ أمام القانون من غير تمييز»، ولكن الدّستور لم ينصّ على التزام الدّولة بذلك، ففي الفصل ٣٤ ترد عبارة «تعمل الدّولة» وليس «تلتزم الدّولة». الفصل ٣٤ «تعمل الدّولة على ضمان تمثيليّة المرأة في المجالس المُنتخبة» لكنّه عاد ليقول بالتزام الدّولة بحماية الحقوق المكتسبة للمرأة في الفصل ٤٦، وفي نفس الفصل تأكيد على ضمان الدّولة لتكافؤ الفرص بين الرّجل والمرأة وتعمل على دعمها وتطويرها. و«تتّخذ الدولة التّدابير الكفيلة بالقضاء على العنف ضدّ المرأة».

وفي نقلة نوعيّة على مستوى الدّساتير العربيّة، جاء الفصل ٧٤ ليسمح للنساء بالتّرشّح لمنصب رئيس الجمهوريّة، ولكنه عاد (في نقض للمواطنة الكاملة) باشتراط أنْ يكون دينه-ها الإسلام.

إلاّ أنّ هناك مفارقة غريبة ظهرت خارج النصّ الدّستوريّ، إذْ كافأت سعاد عبد الرحيم، المرشّحة الوحيدة في صفوف الإسلاميين، ناخبيها بعد فوزها بالانتخابات بأن أعلنت أن اتفاقية «سيداو» غير ملزمة لتونس!

في دستور مصر ٢٠١٤ :

«إن توقّع انصار الدّولة المدنيّة أن تؤدّي الانتخابات إلى سيطرة الإسلاميين على الجمعيّة التّأسيسيّة التي ستضع مشروع الدّستور قادهم إلى الدّعوة إلى تشكيل الجمعيّة التّأسيسيّة من ممثلين للنقابات والاتحادات و المؤسّسات و الخبراء، لا بالانتخابات، وهو ما يعني في النّهاية إحلال إرادة المجلس الأعلى للقوّات المسّلحة الذي سيعيّن هؤلاء الممثلين. و هو ما سمح للتيار الإسلاميّ بأن يظهر في مظهر المدافع عن الدّيمقراطية، ويجعل أنصار الاتجاهات المدنيّة في صورة السّاعين إلى الوصاية على الإرادة الشّعبيّة والعداء للديمقراطيّة فزاد ذلك من ضعفهم، و قلل من فرص فوزهم بالانتخابات»

إن الدستور هو وسيلة ترمي إلى عقلنة السّلطة السّياسيّة و ضمان حرّية الأفراد، لكنّ الدّستور المصريّ الجديد ٢٠١٤ مثّل تراجعاً على هذا الصّعيد حتّى عن دستور ٢٠١٢ الموسوم بالدّستور الإخوانيّ: فبدءاً من الدّيباجة التي تُعدّ جزءاً لا يتجزأ من الوثيقة الدّستوريَة، بما يعني أنّ كل ما ورد فيها يُعبّر عن إرادة المُشرّع الدّستوريّ.أقول، بدءاً من هذه الدّيباجة نجد أن الدّستور خرج عن كنهه كـ « عقد اجتماعيّ تتوافق عليه الأمّة»، و عن شرطه الأساسيّ بأن « يُعبّر عن الإرادة أو الرّوح العامّة للشّعب» وذلك بإشادته بزعماء مصريين هم مصدر خلاف داخل المجتمع المصري نفسه (كالرئيس السّادات و مصطفى النّحاس) و كلاهما اغتيل على يد جماعة الإخوان المسلمين التي تشكّل فريقاً سياسياً واسعاً في مصر، و إشارته إلى جمال عبد النّاصر بـ «الزعيم الخالد» مما جعل صياغة الدّستور هي صياغة إنشائيّة شعاراتيّة، لا صياغة قانونيّة حقوقيّة، و هذا ليس بغريب إذا عرفنا أن القائم على صياغة الوثيقة الدّستوريّة هو الشّاعر المصريّ سيّد حجاب.

هناك إذاً تراجعاً كبيراً عن دستور ٢٠١٢ حتّى:

تراجع عن الدّيمقراطيّة، و تعزيز هائل لسلطة رئيس الجمهوريّة و المؤسّسة العسكريّة، وهو ما أعطى انطباعاً وكأنه دستور انتقاميّ لم يتضمّن أي نصوص حول العدالة الانتقاليّة. كما أنّه قوّى سلطة الجيش على حساب الأحزاب والمجتمع المدنيّ، إذ أنّ الوضع الخاص للجيش في الدّستور يحول دون تأسيس حكومة مدنيّة حقيقيّة، فالجيش ليس دولة داخل الدّولة فقط بل هو أيضاً الفاعل الأقوى الذي يتولّى مراقبة الأمور.

جاءت الدّيباجة ضامنة في نصّها على تعريف مبادئ الشّريعة الإسلاميّة باعتبارها المصدر الرّئيس للتّشريع حيث أقرّت بأنّ المرجع في تفسيرها هو ما تضمنته مجموع أحكام المحكمة الدّستوريّة العليا في هذا الشّأن.

أتت المادّة (٣٥) لتنصّ على المساواة وعدم التّمييز دون ذكر خاصّ للمرأة كما أنّ الدّستور الجديد صيغ بطريقة فضفاضة وعامّة لا تكفل للمرأة الحماية والحقوق الخاصّة، فهو قد صيغ في ظروف التّجاذبات السّياسيّة والايديولوجيّة ممّا جعل قضيّة المرأة لا تحظَ بأيّة أولويّة.

وفيما نصّت المادّة (٢٠٧) على تشكيل مجلس أعلى للشّرطة يضمّ في عضويته أقدم ضبّاط الشّرطة ورئيس إدارة الفتوى المختص بمجلس الدّولة، إلاّ أنّه لم يضمّ في عضويته أحداً من المعنيين في حقوق الإنسان، سواءً أكانوا يمثّلون هيئات حكوميّة (المجلس القوميّ لحقوق الإنسان)، أم يُمثّلون المجتمع المدنيّ، ترسيخاً لثقافة حقوق الإنسان، لتعزيز ثقافة حقوق الإنسان وترسيخها لدى جهاز الشّرطة. وأتت المادّة (٢٠٤) لتُجيز محاكمة المدنيين أمام القضاء العسكريّ اعتماداً على مهوم المنشآت العسكريّة الفضفاض والواسع.

وإذ التزمت الدّولة بالنصّ بضمان حقوق الفلاحين والعمّال، فإنّها استعاضت عن الالتزام بالكفالة فيما يخصّ حقوق المرأة والمواطنين، وهذا نقصٌ فاضح إذ أنّ الالتزام يُوجب الدّولة بتنظيم الأمر، فيما تقتصر الكفالة على محاولة تهيئة المناخ المناسب ووضع أطر عامّة دون إلزام الدّولة فيه.

كما منح الدّستور الجديد رئيس الجمهوريّة (بعد التّشاور) اختيار وزراء الدّفاع والدّاخليّة والخارجيّة والعدل، ممّا يعني ضمناً ضمناً التّمييز بين وزارات سياديّة وأخرى غير سياديّة، وممّا يعني أنّ الوزارات والهيئات المعنيّة بالتّنمية وبحقوق الإنسان في مرتبة ثانيّة من حيث الأهميّة.

وأخيراً، فقد احتوى الدّستور المصريّ الجديد على عيب دستوريّ واضح، إذ ترك أموراً دستوريّة هامةً بيد رئيس الجمهوريّة لتحديدها، وخصوصاً: طريقة انتخاب البرلمان (الشكل الفرديّ أم النّسبيّ)، وتحديد كوتا العمّال والفلاّحين والمرأة والشّباب والمسيحيين وذوي الاحتياجات الخاصّة. كما لم يُحدّد الدّستور أيهما أسبق الانتخابات الرّئاسيّة أم البرلمانيّة، وترك الأمر لرئيس الجمهوريّة كذلك.

خاتمة:

ويبقى السّؤال الهام: في سياق النّقاشات والجدالات التي دارت حول (مدنيّة الدّولة وشكل السّلطة التّنفيذيّة) من جهة، وحول القضايا الثقافيّة وتعريف المواطنة ومشكلة الأقليّات وحقوق الفئات المهمّشة وفي صدارتها حق المرأة في المساواة الكاملة، من جهة أخرى، وأخيراً حول طبيعة النّظام السّياسيّ وعلاقة الدّين بالدّولة لما بعد الثّورات العربيّة. أقول، في هذا السّياق، هل استجابت دساتير الرّبيع العربيّ التي أُنجزت وطُرحت للاستفتاء في (المغرب وسورية وتونس ومصر) إلى روح الثّورات وتطلعات شعوبها؟ هل نصّت هذه الدساتير على ضمانة فعليّة لحقوق الإنسان؟ هل خلقت الشّروط اللازمة لبناء مجتمع مدنيّ حقيقيّ وشريك؟ ثمّ، هل كانت هذه الدّساتير مُعبّرة عن تخليق مفهوم المواطنة الكاملة، أم أنّها مُجرّد تسويات لتنازع القوى السّياسيّة في لحظتها الرّاهنة، دون النّظر لمستقبل الأجيال القادمة؟

١-المالكي، أحمد: قراءة في الهندسة العامّة للدّستور المغربيّ الجديد ٢٠١١- تبيُّن للدّراسات الفكريّة والثّقافيّة- العدد ٤- ربيع ٢٠١٣.

٢-حويجة، فائق: التّطور التّاريخي للدّستور: دراسة تحليلية مقارنة- بحث علميّ قانونيّ لنيل لقي أستاذ في المحاماة- نقابة المحامين فرع دمشق- بلا تاريخ.

٣-الدّول هي: تونس، مصر، البحرين، اليمن، ليبيا، سورية.

٤-ليبهارت، إريند-ترجمة ثائر ديب: التّخطيط الدّستوريّ في مجتمعات منقسمة- تبيُّن للدّراسات الفكريّة والثّقافيّة- العدد ٤-ربيع ٢٠١٣.

٥- نفسه.

٦- المالكي، أحمد: م.س.ذ.

٧-نفسه.

٨-نفسه.

٩-البوبكري، عمر: ظهور فكرة الدّستور وتطوّرها في تونس-تبيُّن للدّراسات الفكريّة والثّقافيّة- العدد٣- شتاء ٢٠١٣.

١٠-عليوه، محمد طه: مصر على أعتاب الجمهوريّة الثّانيّة- تبيُّن للدّراسات الفكريّة والثّقافيّة- العدد٤- ربيع ٢٠١٣.

١١-حويجة، فائق: دولة القانون في الدّستور السّوريّ: قراءة في الدّستور السّوريّ الدّائم وتجديده المُطابق-تبيُّن للدّراسات الفكريّة والثّقافيّة- العدد٤- ربيع ٢٠١٣.

١٢-نفسه.

مواطن أثناء الاستفتاء على الدستور المصري

السّلاح الأكثر فاعليّة في القرن الواحد والعشرين

مأمون جعبري

(بوعزيزي): بِذْرة الرَّبيع العَربيّ الذي هزَّ وُجْدان أُمَم وكَانَ الشّرارة، لَمْ يَكنْ الوَحيد الذي يَمْلك حَجْم الأَلَم هَذا، بَلْ هو وَاحدٌ منْ مَلايين عَاشتْه قَبْله وانْدَثرت في طَيْ النّسْيان، عَلَينا أَنْ نَقْتنع أَنّ مَنْ صَنَع مَجْداً لِمَأساة الْبوعزيزي لَيْس مَرارةَ قصّته وحَسْب، بَلْ كَانَ هُنَاك دَاعمٌ أَسَاسيّ أَخْرج تِلْك القصّة إلى الضَّوْء بَدَلاً مِنْ أَنْ تَمُوت كَسَابقاتِها، وَهَذا المُضِيء هُو الإعْلام. ومِنْ هُنا، لِنبْدأ في البَحْث عَنْ كَيْفيّة الإضاءَة التي عَاشَتْها الثّوْرة السّورية إعْلاميّاً، والنَتَائج التي حَصدْتها مِنْ هَذا التّسْليط، ولِنبْدأ بالإعْلام المُعْلِن عِدائه للثّوْرة بِشكْل صَريح، وهُوَ إعْلام النّظَام السّوريّ. حَقيقَةُ الأَمْر أَنّ الإعْلام السّوريّ المُدجّن لِأكْثر مِنْ أَرْبعين عَاماً في نَمَطه المُؤسّساتيّ الشّكْلانيّ، لَيْس إلاّ طَفَرات لا تُفْرز ظَاهِرةً للخَطّ العَام، عَاجزٌ أَنْ يُبْدع في حَالَة الخُروج عَنْ المَألوف، وهَذِه الطّفَرات لَمْ تُقَدّم للنّظَام خَدَماتِها في تَغْطية الحَدَث السّوريّ إلاّ مَا نَدَر، ممّا جَعَل الإعْلام السّوريّ الرّسْميّ في بِدايةِ عَام ٢٠١١ يَبْدو مُترنّحاً، خاصّةً وأَنّ الأَمْر مُخْتلفٌ عَنْ تَجْربته السّابقة في تَغْطية أَحْداث حَمَاه الدّاميّة في مَطْلع الثّمَانينات مِنَ القَرْن المَاضي، حينَ كَانَ مُتفرّداً في نَقْل الخَبَر وصِناعَة الحَدَث. فَفي القَرْن الوَاحدِ والعِشْرين أَصْبح مِنَ السّهْل تَجَاوز كُلّ العَقَبات التي تَجْعله مُتفرّداً في نَقْل الحَدَث، وَهَكذا نَذْكر جَميعاً كَيْف بَدَت هَشَاشة الأَخْبار التي يَنْقلها النّظَام عَنْ انْتفاضَة السّوريين في عام ٢٠١١، وَسَريعاً مَا كَانَ يَتمُّ كَشْف التّلْفيق، فَلَم تَصْمد قصّته في حَادثة إِذْلال سُكّان قَرْية (البَيْضا) في بَانْياس بِدايَة التّظاهُرات السّلْميّة لِسَاعات، ومِنْ جِهة ثانيّة البَلَاهة التي تَمّ بها إِلْقاء الخطابَ الأَوّل الشّهير لبشّار الأَسَد في مَجْلس الشّعْب، ومَا رَافقه مِنْ آثَار سَلْبيّة عَلى النّظَام كَانَ دَليلاً آخراً عَلى فَشَل الإعْلام الرّسْميّ في بِدايةِ الانْتفاضة مِنْ لَعب دَوْرٍ إيجابيٍّ لِصَالح النّظَام، وَلَكنّ هَذا الوَضْع لَمْ يَسْتمرّ وَقْتاً طَويلاً، إِذْ سِرْعان مَا بَدَأ النّظَام يُدْرك أَهميّة الإعْلام في الحَدَث السّوريّ، وبَدَأ بالاعْتماد المُمْنهج عَلى خُبَراء إعْلاميين يُتْقنون دَوْر الإعْلام في التّأْثير عَلى مِصْداقيّة الحَدَث، وكَانتْ كُلٌّ مِنْ روسيا وإيران هُمْ الرّافد الأَساسيّ لِسدّ العَجْز لدى النّظَام في هَذا المَوْضوع الخَطير، حَيْث بَدَأت مَرْحلة جَديدة مِنْ السّلُوك الإعْلاميّ الدّاعِم للنّظَام تَعْتمد عَلى محْوريْن أَساسيّيْن: المحْور الأَوّل مُحَاولة إِتْقان صِناعة الخَبَر، إمّا عَنْ طَريق اسْتخدام تَقنيّات ذَات جَوْدة أَعْلى، أَوْ عَنْ طَريقِ قِيام بَعْض الأَطْراف المَحْسوبة عَلى انْتفاضةِ السّوريين بِتَنْفيذ مَا يَخْدم النّظَام وتَبنّيه عَلانيّة، وَمَنْ ثَمّ، يَقُوم النّظَام بِبثّه دُون إِمْكانيّة تَكْذيبه (حَادثة اغْتيال محمّد رَمضان سعيد البوطيّ مثلاً). والمحْور الثّانيّ البَحْث عَنْ المَادّة والحَدَث والجِهة التي تَجْعل مِنَ الجُمْهور الغَرْبيّ يَتَعامَلُ بِحرْصٍ شَديدٍ وريبةٍ مَع الانْتفاضةِ السّورية، ووَجَد ضالّتَهُ في مَفْهوم الفوبيا مِنَ الإِسْلام والمَنْظور الغَرْبيّ المُتجذّر بالنّظْرة إلى مُعْظم الحَرَكات الإِسْلاميّة بِأنّها جزْءٌ أَسَاسيّ مِنِ الإِرْهاب العَالَميّ، الأَمْر الذي تَمّ البدْءُ في مُحَاربته عَمَليّاً بَعْد تَفْجيرات الأَبْراج في أَمْريكا. فَبدأ الإعْلام الرَّسميّ التّابع للنّظَام بِتَجْهيز مَكنةً إعْلاميّةً مُتكَاملةً تَمْتدّ عِبْر القارّات لإِقْناع الرّأْي العَام الغَرْبيّ أَنّ الانْتفاضَة السّوريةَ ذاتُ توجّهٍ إِرْهابيّ تَكْفيريّ. وقَدْ نَجَح إلى حدّ كَبير في هَذا، وكَان يَسْتثمر نَجَاحاته في الإِفْراط باسْتخدام القُوّة مُوظّفاً كَافّة الوَسائلِ المُتَاحة لِقَمْع انْتفاضة السّوريين، ومُطْمئناً إلى رَدّ فِعْل المُجْتمع العَالَمي كَوْنه قَدْ نَجَح في إِقْناعه بِأَنّ حَرْبه هي مَعْ أَخْطر مَا يُهدّدهم.

غرافيك تحية إلى البوعزيزي

لِنَنْتقل إلى الجانبِ الآخرِ، وهُو الجانبُ الدّاعم للانْتفاضَة السّورية إعْلاميّاً:

في بِداية التّظَاهرات اسْتَطاعتْ مَجْموعة منَ النّاشطينَ الإعْلاميين- كَمّا سَمّوا أَنْفسهم، وبِخبْراتٍ بَسيطَة جدّاً وأَدَوات لا تَقلّ بَساطةً عَن الخبْرات- نَقْلَ صُورة جيّدة ومُؤثّرة عَن انْتفاضَة الشّعْب السّوريّ، وآليّة التّعامُل الوَحْشيّ التي يُمارسها النّظَام لِقَمْع هَذه الانْتفاضة. وحَقيقةُ الأَمْر، أَنّ هَؤلاءِ النّاشطين لَمْ يَكُونوا في البِدايةً مُتَبنين مِنْ جِهةٍ إِعْلاميّة خَارجيّة مُحدّدة، بَلْ كَانُوا يَعْتمدون عَلى الوَسَائل الإعْلاميّة لِنَقْل خَبَرهم، واسْتطاعَت هَذه الكَاميراتُ البَسيطةُ مُواجَهة إعْلام النّظَام بِإِمْكانيّاته الهَائلةِ لِمدّة عَام تَقْريباً، وفَجْأة بَدَأ يَحْدث تَغيّر نوْعيّ في الأَداء، وَبَدأت تَظْهر لدى النّاشطين الإعْلاميين أَدَواتٌ أَكْثر تَقنيّةً وتَطوّراً، ولكنّها تَرَافقَتْ مَع مِصْداقيّة أَقلّ بِكثير ممّا كَانَ في نَقْلهم الأَوّل لِبداية الانْتفاضة. وبِوُضوح، امْتَلأت المَحطّات العَالميّة بِمَجْموعة مِنَ الأَخْبار المُفْبركة التي يَبثّها النّاشطون، وَأَخذَ النّظَام يَتصيّدها ويَستعملها لِصَالحه مُظْهراً كَذِب إعْلام الثّوْرة في نَقْله للْخَبر، وفيما أَذْكر، فقَدْ ظَهَر أَحدُ النّشطاءِ

السّياسيين مرّةً على إحْدى القَنَوات لِيَنْقل خَبَراً مَفَاده: أنّ عَشَرات الآلاف مِن المُتظَاهرين خَرَجوا في السّلميّة يَهْتفون بإِسْقاط النّظَام لِيَظهر لاحِقاً، وَبِشكْلٍ سَريع، عَدَم دقّة الخَبر، وأَيْضاً فيما أَذْكر، أَنّني كُنْت في الرّمْل الجنوبيّ في مُحَافظة اللاذقيّة، لِيَظْهر فَجْأة أَحدُ الإِعْلاميين ويَنْقل الخَبَر الآتي: «إنّ الرّمْل الجَنوبيَ يُدّك بالمَدافِع»، وأَصَابنا الذُّهول لِمَدى الكَذب في الخَبَر، الكَذب الذي اسْتُخدم لاحقاً في غَيْر مَصْلحة الشّعْب السّوريّ، فالدّلائلُ عَلى إِجْرام النّظَام أَكْثر مِنْ أَنْ تُحْصى. وَحينَ تمّ تتبّع الخَلَل في هَذا التّحوّل الطّارئ تبيّن أَمْرين مُهمّيْن أوّلهما: أنّ هُناك أَمْوال تُقْبض عَلى نَشْر الخَبر الذي يُثْبت فَظَاعة النّظَام، وإنْ لَمْ يَكن دَقيقاً في حِينه، والثّاني: تمّ إقْصاءُ الإِعْلاميين السّوريين ذَوي الخبرة ، والمُسْتعدّين للمُساهمةِ وتَمّ تَجَاهلهم مِنْ قَنَواتٍ ذاتُ تَأْثيرٍ عَالميّ، وهَذا الإِقْصاء مَردّه: إمّا لِعَدم تَمكّن هَذه القَنَوات منْ إِجْبار هَؤلاء الإِعْلاميين عَلى نَشْر مَا تُريده القَنَاة، أَوْ لأَنّ هَؤُلاء الإِعْلاميين كَانُوا يُؤْرْشفون الأَحْداث لِملْكيتهم الخاصّة، ولَمْ يَقوموا بِبثّها مِمّا أَفْقدها أَهميّتها الزّمنيّة. والمَقْتل الأَكْثر خُطورة في نَقْل حَقيقة الشّعْب السّوريّ إِعْلامياً كَانَ مِنْ قِبل وكالاتٍ عَالميّة ذَات مِهنيّة عَاليّة جداً، وَلا يُمْكن القَوْل أَنّها كَانتْ تَتصرّف بِعفْوية. هَذا المَقْتل تَمثّل في إِظْهار أَنّ انْتفاضة الشّعْب السّوريّ هي انْتفاضةٌ إِسْلاميّة حتّى في بَواعِثها (كلّ خَبَر عَنْ سورية كَانت تَنْقله أَكْبر محطّتيْن تُغطّيان الإِنْتفاضة السّورية، كَانت خَلْفيته في مُعْظم الأَحْيان مَجْموعة مِنَ المُلْتحين حَملة السّلاح الذين يَبدَؤون في قِراءة آياتٍ قُرآنيّة، ويَنْتهون بالتّكْبير. ممّا أَعَاد إلى ذَاكرة المُجْتمع العَالميّ المُقَاتلين الأَفْغان وَهويّتهم القَاعديّة)، وَأَصْبح كلّ مُشَاهد في أَيّ مَكَان يَرى الإِنْتفاضة السّورية عِبارةً عَنْ دَعْوة إلى دَوْلة إِسْلاميّة بِما تَحْمله هَذه الصّيغة مِنْ الْتباس، ولَمْ يَقْتصر تَغْيير الحَقيقة عِنْد هَذا الحدّ، بَلْ تَمّ مُتَابعة الصّحفيينَ السّوريين المُخضْرمين الذين خَرَجوا عَن السّلطة ووَضْعهم في الصّف الأَخير، مُقَارنةً بِمَجْموعات شَبابيّة لا تَمْلك أَبْجديات العَمَل الصّحفيّ، ممّا حَدا بِقسْمٍ كَبيرٍ مِنْهم إلى الاِعْتكاف، وحتّى إلى مُراجَعة مَوْقفه، وهَذا كُلّه يَجْري حتّى هَذه اللّحْظة. والجَميع يَعْرف أَنّ المَبَالغَ التي تُرْصد منْ جِهات أَصْبح مُعْترف بِها عالميّاً كَمُمثّلة للشّعْب السّوريّ لِدَعم القطّاع الإِعْلاميّ هي مَبالغ خَياليّة، وقَادرةٍ على أَنْ تُحقّق غَايَتها في جَعْل الإِعْلام سِلاحاً يَعْمل فِعْله لِصَالح انْتفاضة الشّعْب السّوريّ المُحقّة في أَسَاساتِها (انْتفاضة الكَرامةِ والحرّية)، وَلَكنْ حتّى الآن هَذه القطّاعات الإِعْلاميّة لَمْ تَقُم بأَي فِعْلٍ مَلْموسٍ بِهذا الخُصوص.

وفي النّهايةِ، أَعْتقد أَنّه مِنْ وَاجبَنا، ووَفاءً لِمئاتِ الآلافِ مِنَ الشّهَداء ولِمَلايين المُشّردين، القِيامَ بِمُراجعةٍ نَقْديةٍ شَاملةٍ لآَليّة عَمَل الإِعْلام الذي مِنَ المُمْكن أَنْ يَكونَ في صَالح انْتفاضة شَعْبنا، واسْتعماله كَسِلاح فَعّال لِنصْرة مَطالبَنا المُحقّة، والخُطْوة الأَساسيّة هيَ التّعاملُ مَع مَفْهوم الإِعْلام مِنْ مَنْطقٍ عِلْميّ ومُؤسّساتيٍّ ولَيْس مِنْ مَنْطق المَحْسوبيّات والفِطْرة.

الحرية للدكتور اسماعيل الحامض

الحراكُ المدنيّ في المناطق الكرديّة في سورية/ج١

شمسة شاهين

الحراكُ المدنيّ في المناطق الكرديّة في سورية/ج١
شمسه شاهين

تَلْعب هشاشةُ البُنية السّياسيّة في البُلدان النّاميّة عامّةً، والبيئة الكرديّة خاصّةً، دوراً سلبياً في مُمارسة الدّيمقراطيّة، بحيث تَبْدو أَكْثر فأَكْثر تَجْسيداً للمصالح الخاصّة والجزئيّة، فغياب القانون الحاكم يُنمّي نُزوعاً قويّاً إلى البَحْث عَنْ المُواطنة، والعُموميّة، والمصالح الوطنيّة، والحرّية داخلَ المجتمع المدنيّ، الذي أَصْبح إحدى الوسائل المُوظّفة والمُسْتعملة لِخدْمة المصالح السّياسيّة في الفكر «الحزبيّ الكرديّ» ومَنْ يُسوّقون (بشكلٍ غَيْر مُباشرٍ) لِخطابه.

وبالإجْمال، فإنّ كُرْد سورية مُوّزعو الانْتماء بَيْن تيّارَيْن سياسيَيْن أساسيَيْن يُشّكلان قوّتيْن رئيستَيْن هما «المَجلسُ الوطنيّ الكُرديّ» و«مَجلسُ غربيّ كردستان»، وأيّ فعاليّة مدنيّة يَجب أَنْ تكونَ شديدةَ الحرْصِ في التّعاملِ معهما ضِمْن المُجتمع المدنيّ، فبشكلٍ عام لَيْس مِنْ ضررٍ في أَنْ تكونَ أيّ (كُتلة مُجْتمعٍ مدنيٍّ) مُمثّلةً في الإدارة الذاتيّة أَوْ في المجالسِ المَحليّة، وهذا لا يُعْتبر نشاطاً خارجَ إطارِ عملها، فـ«المُجْتمع المدنيّ» لا يَعْني طلاقَ السّياسة وتجنّبِ الاقْترابِ مِنْها بَلْ قدْ يكون أساسَهُ السّياسة، لكنْ بِشكلها «الرّقابيّ» لا كـ «مُمارسة» فالمُجْتمع المدنيّ يُشكّل الحيّزَ المُسْتقل بَيْنهما. وناشطُ المُجْتمع المدنيّ يقومُ هنا بوظيفتينن فمِنْ جهة يَعْمل لكيْ يَحْمي السّلطة مِنْ الإنْزلاق نَحْو الاسْتبداد، ومِنْ جهةٍ أُخرى يَقفُ إلى جانبِ المُجْتمع ويَقومُ بتَوعيتهِ ومُساعدتهِ في الوقوفِ على قدميْهِ مِنْ خلال تَقْديم دراساتٍ، أَوْ مُذكّراتٍ، أَوْ اسْتخدام وسائلَ الإعلام.

المُجْتمعُ المَدنيُّ في «كوباني» ما يزالُ في طوْرِ التّنْشئة والتّكْوين، ولا زالتْ مسألةُ النّخبة هي السّائدة ، ولَمْ يعمّ الوعي الذي يَجْعل المُجْتمع المدنيّ واقعاً جماعيّاً، ويَبْقى تُراثنا مِنْ أَكْبر العوائقِ التي تَحول دونَ تَعْميم هذا الوعي. إذْ لازالَ الوعيُ الجماعيُّ مَحْكوماً بِسُلطةِ أدبيّات سياسيّةٍ هَيْمنت طِوال قرون. فالوعيُ العامُّ لا زالَ غارقاً في الظّلامِ والتّخلفِ على مُستوى المؤسّسات والأُطر القانونيّة، ممّا يُسهل تَأْويلها وفْق قوالبَ فكريّةٍ حدّدتْها أَشْكالٌ سياسيّةٌ انْدثرت على مُسْتوى التّنْظيم والخطاب ولكنّها حاضرة كسلْطة رمزيّةٍ على مُسْتوى الوِجْدان والفِعْل والمُمارسة واللاوعي. ومِنْ هذه الزّاوية، فإنّ السُّلطة لَنْ تَعْمل إلاّ في سبيلِ الحفاظِ على الخِطاب الذي أَنْتجها، فالخطابُ السّلطويّ يتوّلى مُهمةَ إخْضاعٍ مُزْدوج: إخْضاعُ الذّوات المُتحدّثة إلى خطابات، ومِنْ جهةٍ أُخرى إخْضاعُ الخطابات إلى جماعات يُفْترض أنّها جماعةُ ذواتٍ مُتحدّثة. وهذا ما تَسْعى «الأحْزابُ الكُرديّة» إلى تَعْميمه باعتبارها الوريثَ الشّرعيّ للنّظامِ البائد.

منظمات المجتمع المدني في كوباني:

لعلّ المُتابعَ لطبيعةِ ما يَحْدث مِنْ حراكٍ في كوباني بجوانبه كافةً، سواء أكانَ مدنيّاً أَمْ ثوريّاً، لنْ يتوهَ مُطْلقاً عَنْ تَسْميته بالرّبيع الكرديّ المُزْدهر، والذي بَدأ يتفتّح بجمالٍ في كوباني، رغْم بُروز ما يُعكّر صَفْو ذلك الرّبيع أحْياناً.

أولى بَوادر ذلك الرّبيع نَشطتْ مِنْ خلال ظُهور عددٍ مِنَ التّجمعاتِ المهنيّة مَعْ نهايةِ العام ٢٠١١ كـ «مُحاميّ كوباني»، و«مُهْندسيّ كوباني»، و«مُدرسيّ كوباني»، و«مُعلميّ كوباني»، وكذلك الأطبّاء والصّيادلة...الخ، وكلّها تجمّعاتٌ تأسّست على أُسسٍ وظيفيّةٍ مدنيّةٍ بهدفِ لَمْلمةِ الحراكِ الثّوريّ المهنيّ، وتَأْطيره بأسسٍ نقابيّة. وبهدفِ جَمْع الجهودِ بأكاديميّة، وحَقْنها بجملةِ نشاطاتٍ مَيْدانيّة وفْق رؤىً مُتقاربة، فَتكونُ تِلْك التّجمّعات كالعَيْن الرّقيب تُمارسُ عَمَلها بتمهّلٍ نَحْو بناءِ مجتمعٍ مدنيّ. ومَهْما كانت مفاهيمَهُ غامضةً أَوْ مُبْهمة نسبياً فإنّ ما يتمّ الحديثَ عَنْه الآن في كوباني لهو اللبنةُ الأولى لِتلْك البداية، وهيَ الخُطوات الأولى لمشوارٍ سيطولُ رحاه.

أضفْ إلى تِلْك التّجمّعات المهنيّة، الحراكَ الثّقافيّ والحقوقيّ والذي نَسْتطيع تَمْثيله بالإعلانِ عنْ تَأْسيس أوّل جَمْعيّة ثقافيّة مُسْتقلةٍ في كوباني: «جَمْعيّة سَبا الثّقافية»، والتي تابعتْ نَشاطاتِها بفعاليّة مِنْ خلال إقامة ندواتٍ ثَقافيّةٍ، أَوْ حفلاتِ دَعْمٍ للثّورة والنّازحين، أوْ مِنْ خلالِ تبنّيها لعددٍ مِنَ المواهبِ، وإنْتاج أفْلامٍ قَصيرةٍ تُجسّد الواقعَ والمعاناة. وأَصْدرت جريدة «سبا»النّاطقة باسمها، كما نَجد أوّلَ رابطةٍ نسائيّة باسْم «رابطة هيرو للمرأةِ الكرديّة» كمنظّمةٍ تُدافعُ عَنْ حقوقِ المَرْأة. كما أُعْلنَ عَنْ تَفْعيل فرْعٍ لِلجانِ الرّبيع الكرْديّ في كوباني، الذي أقامَ مُحاضراتٍ وندواتٍ عَنْ الحقوقِ المدنيّة، وحقوقِ الإنْسان، والمجتمع المدنيّ.

اعتصام مدني في مدينة كوباني

مِنْ جهةٍ أُخرى، تَعْمل جمعيّةُ «هيفي» في حقلِ ذوي الاحتياجاتِ الخاصّة في كوباني، حَيْث تَعْمل على رَصْد حالاتِ الإعاقة، ومحاولة تبنّيها وتَقْديم الدّعمِ المَعنويّ لهم مِنْ خلالِ ورشاتِ عملٍ، وبناءُ قاعدةِ بياناتٍ واستبياناتٍ شاملة تكونُ بمثابةِ دليلَ بحثٍ لسهولةِ الوصولِ إلى المُسْتهدفين.

هذا عدا عَنْ «مؤسّسة دم» ومدى دورِها مِنْ خلالِ ورشاتها المدنيّة المُتعدّدة، بدءاً مِنْ الورشات الإعلاميّة، والمدنيّة وصولاً إلى التّطوعيّة وغيرها.

أضفْ إلى ذلك هناك منظّمات عديدة كمؤسّسة بياني، وزَلال، ومُنظّمة هوشين، والسّنْبلة، وكلّها منظّماتٍ تَجْتهد في حقلِ المدنيّة، وتَتَسابق في تَنْظيم نشاطاتٍ ثقافيّة مُتنوّعة.

إضافةً إلى ذلك، فإنّنا اسْتطعنا رَصْد جَمْعيّات، ولجانَ مدنيّةٍ أُخرى تَعْمل لِخدْمة النّازحين إلى كوباني، مِنْ خلال تَقْديم الدّعم الماديّ والمعنويّ لهم، والتي تَعْمل بأمانةٍ ومِصْداقيّة.

الدّوريّات المَطْبوعة:

نَشطت حركةُ الصّحفِ والمجلّات الورقيّة في كوباني لتصلَ إلى عشرِ دوريّاتٍ تَصْدر أُسْبوعيّاً ومِنْها ما يَصْدر شهرياً، نَذْكر مِنْها (جريدةُ سبا، جريدةُ هيرو، جريدةُ التّغيير، جريدةُ فُرات، جريدةُ زَلال، وجريدةُ طريقنا)، وكلّها تَطْبع في كوباني بجهودِ محرّريها.

هذا غَيْضٌ مِنْ فَيْض نِتاج كوباني وثَوْرتها الصّامتة، والتي يُعاب أحْيانا عليْها، فالثّورة عمل، وكما نَسْتطيعُ القتالَ بصوْتنا، وبرصاصِنا، نَسْتطيعُ أيضاً أَنْ نُقاتلَ بقلمِنا وفكرِنا الذي ظلّت السّلطات تُكسّره وتُحطمّه طوالَ سنوات شبابِها.

السرّ المُتدحرج

راهيم حساوي

راهيم حساوي

يَدور كلامٌ خاصّ بَيْن شَخْصين، فيَقول أحدهما للآخر: فليكنْ هذا الكلامُ سرّاً بَيْني وبَيْنك.

في حقيقةِ الأمْر لا أجِدُ أنّ هذه التّسْمية (السرّ) تسميةً صحيحة، فالكلامُ يَفْقد سرّه بمجرّد خُروجِه على لسانِ صاحبِه، سواءً كانَ على مسمعِ شخص أَوْ عدّة أشْخاص. وقدْ نَجد رَبَّ أُسْرة يَقول كلاماً ما لأفرادِ أُسْرته ويَطْلب منْهم أنْ يَبْقى ذلكَ سرّاً. والكلامُ في الحالتيْن السّابقتيْن هو كلامٌ خطير، ومِنَ الأَفْضل كتْمانه كَيْ لا يُسبّب الضّرر ويَفْقد الغايةَ المَرْجوةَ منْه، وفي حقيقةِ الأمْرِ فإنّ ما يُسمّونه سرّاً هو كأيْ كلامٍ يُقال بَيْن اثْنين أوْ أكْثَر رُغْم وجودِ خطورةٍ ما في هذا الكلام أو ذاك.

والسرُّ الحقيقيُّ هو ما يَبْقى في النّفْس ولا يَخْرج مِنْها، ومتى خرجَ مِنَ النّفْس فقدَ جَوْهر سرّيته فلا يُمْكن أَنْ نُسمّيه سرّاً سواء أباحَ بهِ هذا الآخرُ، أمْ لمْ يبحْ.

الإنْسانُ بطبْعِه يَميلُ لِصناعةِ الحَدث بطريقةٍ غَيْر مُباشرة، فَتراه يَرْوي تَعطّشه لِصناعة الحَدث الدّفين دون أنْ يَدْري، ويُغامرَ بأشياءٍ لا يَعْلم خُطورتَها إلّا فيما بَعْد، وهو يَفْعل هذا بذريعةٍ ما تَخْتلف عَنْ الذّريعة التي يظُنّها، وفي عَقله الباطنيّ ثَمّة دافعٍ يَقوده نَحْو صِناعة هذا الحَدث، وعلى إثْر نتائج هذا الحَدث فَقدْ يُصيبَه النّدم، لكنّه في بداية الأَمْر روى غريزته التي دَفعتْه نَحْو صناعةِ حدثٍ ما رغم عدم مَعْرفته لما ستؤولُ إليْه نتائجُه.

ومِنْ هذا المُنْطلق، نَجد أنّ الإنْسانَ يَميل للبَوْح بسرّه للآخر، بحجّة الشّكْوى أوْ البَحْث عَنْ ملاذٍ آمنٍ عَبْر هذا البَوْح، لكنّه قَدْ يَشْعر بالنّدم فيما بَعْد، وهذا النّدمُ هو حَدثٌ جديدٌ بحدِّ ذاته أَحْدثه ببوحِه هذا، وربّما يَزْدادُ النّدم ليَصل الأمرُ به إلى الدّخولِ في مَجْموعة أَحْداثٍ: حدثٌ يَصْنع حَدثاً آخر.

لِذلك أرى أنّ كِتْمان السرّ في النّفس يُخفّف مِنْ عَدد حُدوث الأحْداث في حياةِ صاحبِ السرّ، وتكونُ الحياةُ أقلّ توتّراً وأكْثر أمْناً، وتَزْدادُ الرّابطةُ بَيْن النّاس الذين لا يَعْرفون أَسْرار بَعْضهم البَعْض.

ولَيْس مِن الضّرورة أنْ يكونَ السرّ خطيراً حتّى نَحْتفظَ به، فَخُطورةُ السرّ تَكْمن في لحظة خُروجه، وقَدْ يَتبادرُ لِصاحبه أنّه شَعَر بالارْتياح للوَهلة الأولى لكنّه فيما بَعْد يَتّوتر، ويَقْلق، ويَنْتابه شعورٌ بالنّدم، وهُنا تَتَوالد الأحْداث التي لَمْ يَكنْ لها أَنْ تَحْدثَ لوْلا التّحدّث بهذا السرّ.

ربّما الحَدَث الأَكْبر الذي يَحْدث في حياةِ الإنْسان هو المَوْت الذي لا يُعْرف عَنْه شيئاً، ولكنّه سرٌّ يلازمَه طوالَ حياتِه، وبمجرّد حُدوث المَوْت ترى الآخرين يَبْحثون ويَتُوقون لِمَعْرفة أَسْرار مَوْتاهَم، وهذا خَيْر مُؤشّرٍ على طَبيعةِ حُبّ الإنْسان لِسماعِ ومَعْرفة أَسْرار الآخرين، لَيْس بِدافعِ المَعْرفة الخالِصة بَلْ البَحْث عَنْ الحَدث وتطوّرات الحَدث. وبِهذا الحَدث تَسْتمرّ الحَياة وتَتَوسّع، وهذا التّوسّعُ هو الذي أَرْهق ويُرْهقُ الحياة.

بطبيعةِ الحالْ، لِنَفْترض أنّ هناكَ ثَلاثة رِجالٍ في زَنْزانة، أوْ في مَكْتب عمل، أوْ في بَيْتٍ مُشْترك، ولا تُوجد بَيْنهم أَسْرار، فَسنجدُ أنّ علاقَتهم تَسيرُ في شَكْلٍ مُنْتظمٍ وواضح، وهذا ما يؤكّدُ أنّ تَبادلَ الأَسْرار يُثير الأحْداث، وبذاتِ الوَقْت تَرى كلّ واحدٍ مِنْهم يُحاولُ مَعْرفة سرّ الآخر بِمُخيلته، وهذا ما يُؤكّد أنّ الإنْسانَ بِطبْعه يَبْقى يَبْحثُ عَنْ إثارةِ الحَدث حتّى لَوْ اقْتصرَ الحَدثُ على خيالِه فَقطْ.

ونَحْن نَرى كَيْف أنّ مُعْظم الأساطيرِ قامَتْ على السرّ، ولَوْلا البوْح بِهذا السرّ أوْ ذاك لما كانَتْ في أَصْلها، ونرى هذا الأمْر أيْضاً في بَعْض الأفْلام السّينمائيّة، وفي بَعْض الرّوايات، وفي الجرائمِ التي اعْتَمدت وقامَتْ على مَعْرفة سرٍّ ما تطوّرَ في حَدثه ووَصَل لحدِّ الجريمة، سواءٌ كانتْ جريمةَ قَتْلٍ، أوْ جريمةً مَعْنوية تُسبّب الدّمار والهَلاك لشَخْصٍ ما، أوْ لمجموعة أشْخاص معاً.

يَعيشُ المَرْء حياتَه كامِلةً، ويَموتُ ويَبْقى في صَدْره مُعْظمُ الأَسْرار التي لا يُمْكن البوْحَ بها، ولا يُمْكن أَنْ تكونَ قابلةً للبوْحِ في أَصْلها وذلك بِسبب خُصوصيتها التي لَيْس مِنْ شَأْنها صِناعةُ الحدث الذي يَبْحث عَنْه الآخر؛ لذلك تَراها أَسْراراً ثَقيلةً على عاتقِ المرْء، ولا مَجال لأحدٍ أَنْ يُصْغي لها في حالِ أراد صاحِبَها البَوْح بها، بَيْنما تَمْلك هذه الأَسْرارُ القُدْرة على صِناعة الحَدث وتَطوّره، إذْ يَرْغب الآخرون في سَماعها أوْ البَحْث عَنْها لِملء الزّمنِ بالأَحْداث على المُسْتوى الفَرديّ، أوْ ربّما على مُسْتوى جماعاتٍ أوْ مُجْتمعات أَيْضاً.

في نِهاية الأَمْر، عَلَيْنا أنْ نَعْرف أنّ السرّ الذي يتمّ طَرْحه للآخرين هو كلامٌ قَدْ يكون كلاماً خاصّاً وخَطيراً، ولكنْ لا يُمْكن تَسْميته سرّاً، طالَما أنّ البوْح بِه واردٌ لضرورةٍ ما تَتعلّق بصاحبِ هذا البَوْح، أوْ بالذين باحَ لَهُم بِه، بَيْنما السرّ الحقّ هو ذاك الذي لا يُمْكن البَوْح به، ويَموت بمَوْتِ صاحبِه. ومِنْ سِمات هذه الأَسْرار، تعلّقها بالقضايا الوجوديّة، وبُعْدها عَن كلّ ما هو شَخْصيّ، وارْتباطِها بالقيمِ سواء أكانتْ قِيماً نَبيلةً، أوْ رديئةً.

منْ ذاكرة أبو محمود الطنبرجيّ

(قصّة حقيقيّة)... المخْترع ومصّاصة المتّة

مأمون الجعبريّ

كُنّا في العَام ٢٠٠٤ مَجْموعة مِنَ الشُّبان اليَافعين اِنْطلت عَلَيْنا كِذْبة تَشْجيع الحرّيات مِنْ قِبل الرأس الكبير، وبأنَّه يَبْحث عَن بِدايةِ التّغْيير الدّيمقراطيّ. فَقرّرْنا تَشْكيل نُواة حِزْب مِنْ مَطَالبه إلْغاء قَانونَ الطّوارئ، وإطْلاقَ الحُرّيات السّياسيّة. ولَمْ يَمضِ غَيْر وَقْتٍ قَليل لِنَجد أَنْفسنا في اِسْتضافة مُنْتجع صيدْنايا الشّهير (السِّجن)، وبِأَحْكامٍ وَصَلت إلى السّبْع سَنَوات. وحينَ صَحوْنا منَ المُفاجأة كَانَ الحَنينُ إلى حَفيف الأَشْجار خَارج القُضْبان يَجْعلنا نَأْرق لأيّام، وكلّ شيْء مَهْما كنْت تَظنّه بَسيطاً حينَ كانَ مُتوفّراً بَيْن يَديْك يَتحوّل إلى سجّانٍ جَديد بَيْن القُضْبان، حتّى كَأْس الشّاي الذي مِنَ المُمْكن أَنْ تَرْمقه بِسخريّة في صَبَاحاتك العَاديّة، هُو حُلْم في داخِل السّجْن.

وَفي أَحدِ الأَيّام الغَادِرة بَعْد أَنْ فَجَعنا الحَنين، وكانَتْ مُباريات المونْديال العَالميّ لكرةِ القَدَم قَدْ بَدأتْ، تَجرّأتُ وطَلبْت مِنْ أَحدِ السّجانين مِذْياعاً صَغيراً، وكَانَ يَرْبطني بِه بَعْض الودّ، وبَعْد سِلْسلة مِنَ التّرجي وَافَق على إعارَتي الراديو ليَوْم واحِدٍ فَقطْ. مِنَ الصّعْب أَنْ تَتخيّلوا فَرحَتنا، أَعْتقد أَنّها تَجَاوزت فَرْحة مَنْ وَضَع قَدمه مِنَ البَشر على القَمرِ لأوّل مرّة. تَحلّقْنا حَوْل الرّاديو نَكْتم أَنْفاسنا، وَنَفْتح أَفْواهنا وأَذَاننا وقُلوبَنا كَيْ تَخْتزن ذَاكرتُنا أَقْصى ماتَسْتطيع.

وبَيْنما نَحْن نُصْغي، حَدَث شِجار بَيْن اثْنَين مِنَ المَساجين كانا قَدْ اخْتلفا حَوْل الجلوسِ بالقُرْب مِنَ الرّاديو. تَطوّر النّزاع، أَبْعدتُ كَنْزَنا قَليلاً عَنْ سَاحةِ الصّراع، ووَقَفْت بَيْن المُتخاصِمَيْن لِفضّ الاشْتباك، بَاعَدْنا فيْما بَيْنهم، وحِينَ وَجَد أَحَدهم أَنّه لَنْ يَطَال الآخَر حَدَثتْ الكَارِثة. قَفَز والْتقط أَقْرب ما تَطالَه يَدُه، وقَذَف بِه الخَصْم. مِنَ المُؤكّد أَنّكم كَتَمتم أَنْفاسكم وَأَنْتم تَقْرؤون خَوْفاً مِنَ المَحْظور، ولَكنْ، ويَا مُصيبتي كَانَ المَقْذوف هو الرّاديو الذي تَناثر وتَشَظّى. حِينَها انْتَابني إحْساسٌ بأنّ رُوحي خَرَجت مِنْ حَلْقي، غَصَصْت بالبُكَاء والقَهْر والحَقْد، أَصْبحَ طَعْم حَلْقي مُرّاً، احْمرّت وَجَحَظت عَيْناي، وسَاد الصّمْت المُطْبق وتَبَاعد المُتخاصِمَيْن، وكَانتْ كلّ العُيونُ تَنْظر بِبلاهةٍ في الفَراغ المُحيط، كَانَ لديّ رِغْبة أَنْ أَقْتل السّجين. لِلحظةٍ قَرّرتُ أَنْ أُطْبق على رقْبته لا أَتْركها إلاّ بَعْد أَنْ يَلْفظ أَنْفاسه. ولَكنْ لا أَدْري مَا الذي مَنَعني، لَمْ يَكُن أَحدٌ مِنَ المَساجين، لأنّه لَمْ يَتجرّأ أَحَد على الاِقْتراب مِنّي، وَضعْت رَأْسي بَيْن كفّي لِبعضِ الوَقْت، مَسَحت عَيْني وبَدَأت بِلَمْلمة أَشْلاء الرّاديو، كَأنّ الجَميعَ كَانَ يَنْتظر هَذه اللّحْظة، فَبدؤوا يَجْمعون الحُطام. تَجمّعت قِطعُ الرّاديو، ووُضِعت في عِهْدة أَحَد السّجناء وكنّا نُلقّبه بالمُخْترع. حَاوَلنا جَميعاً أَنْ نُوفّر ما أَمْكن مِنَ الهُدوء للمُخْترع الذي اسْتعانَ بِإصْبعٍ مِنَ الصّمغ كنّا نَمْتلكه، وبَعْد أَكْثر مِنْ ساعَتيْن كَانت الأَشْلاء قَدْ بَدَأت تَأْخذ شَكْل الرّاديو، ولَكنْ ظَهَرت مُعْضلة، فالجزْء المُحرّك للقَنَوات كَانَ قَدْ تَحطّم تَماماً، وهُو جِزْءٌ يُسْتعمل دَوماً ولا جَدْوى مِنْ إلْصاقه، انْتابَنا غَمّ كَبير ويَأْس، و كعادته فاجَأنا المُخْترع، وأَحْضر مِنْ حَقيبةِ أَسْراره قطعة معدنية ثَناها وأَدْخلها في النّتوء، وتَمّ تَحْريك المُؤشّر الذي تَجَاوب مَع الحَرَكة، نَهَضتُ سَريعاً وأَخَذتُ أُقبّل المُخْترع. حَمَلت الرّاديو بِحِرْصٍ شديدٍ وأَنا أُفكّر كَيْف سَأَشْرح ماحَدَث للسّجان، كانَتْ سَاعات، ولكنّها بالنِسْبة لِي أَيّام قَبْل أَنْ يَأْتي السّجان ويُطالِب بالرّاديو، اقْتَرَبْت مِنْه وشَرَحت لَه ماحَدَث، وقُلْت لَه كَيْ يَهْدأ غَضبه: «أنا المَسْؤول، وتَسْتطيع أَنْ تُدَوْلبني (تضعني على الدولاب ليتم جلدي)،هَذا أَكْبر مَا كان مِنَ المُمْكن أَنْ أُقدّمه مِنْ ثَمَن. نَظَر إليّ بِبَعْض العَطْف، ورَفَض أَخْذ الرّاديو وانْصرف، لَمْ تَكَد فَرحتنا تَكْتمل بالخَلاص، وإذا السّجان عائِداً وشَرار النّار يَخْرج مِن عُيونه، صاحَ لي: ولاك (خرى) تَعال إلى هُنا. أَتَيْته سَريعاً، قَال لي: «مَا هَذا؟ وهو يُمْسك الرّاديو بِيده»، قُلْت له: الرّاديو. أَجَابني: «بَعْرف بلّوط، ولَكِن ماهذا؟» وكانَ يُشيرُ إلى القِطْعة المَعدنيّة، شَرحْت لَه وهُو يَكادُ يَنْفجر غَيْظاً لَمْ يَدعني أُكْمل قالَ لي: «هَذه القِطْعة هي مَصّاصة متّة، مِنْ أَيْن أَحْضرْتموها؟»، شَعَرت حِينها بِمُصيبةٍ قَادمة، قُلْتُ له: «مِنْ عِنْد المُخْترع»، وسَريعاً نَدَه للمُخْترع: «تَعال ياكَلب»، ذَهبا معاً، وعَادَ المُخْترع بَعْد حَوالي السّاعة يَجرّ قَدَميْه المُدمتان، كَانَ يَشْتمنا ويَقُول: أَيْن العَدْل؟ هُم كَسروا الرّاديو، وأَنا أَكلْت الدّولاب. سَأَلْته: «مِنْ أَيْن لَك المصّاصّة؟»، اِعْترف أَنّه سَرَقها مِنْ إحْدى الكُؤوس حينَ كَانَ ذَاهباً إلى الحَمّام. اسْتَغربتُ كَثيراً، قُلْت لَه بِغَضب: «ولَكنْ لِماذا ونحْن أَساساً لا نَمْلك عشْبة المَتّة، أَوْ كُؤوساً، أَوْ وَسيلة لِغَلْي الماء؟»، قَال لِي: «كُنْت أَقْصد إغاظَتهم». وفِعْلاً تَسبّب في مُشْكلة فيْما بَيْنهم لأَنّهم اتّهموا بَعْضهم، ولَكنْ الثّمن كانَ دولاباً، واعْتَزل المُخْترع المِهْنة مِنْ بَعْدها.

فَرَجائي مِنْكم: لا تَسْتهينوا بِمصّاصةِ المتّة.

يوميات حصار (١)

غياث عبد العزيز

«المخزون ينفذ.. والطعام سيكفينا لثلاثة أيام لا أكثر»..نطق مساعد التعيينات ذو الشارب الكث والنظرات اللامبالية تلك الكلمات ببساطة شديدة لا يمكن أن يتقبلها جندي محاصرٌ منذ أسبوع في قطعة عسكرية من المفترض أنها تحوي مخزوناً يكفيها لشهرين على الأقل.

المكان حيث كنت موجوداً لا يحتاج مزيداً من الإحباط، إلا أن المساعد أصر على إسماع من بالداخل كلماته وتحطيم آخر خيوط الأمل المتبقية لدينا .

عندما سمعت تلك العبارة كنت مصاباً أتلقى ما يفترض أنه علاج في مستوصفٍ بدائي داخل الفوج، المستوصف كان غرفةً لا تتجاوز مساحتها خمسة أمتارٍ طولاً وعرضاً حُشرَ بها أكثر من خمسة عشرَ جريحاً تلقوا إصاباتهم على مدى أسبوعين من الحصار والاشتباكات التي لا تهدأ.

لم تسبب لي الإصابة ألماً، بقدر ما سببتها لي تلك الكلمات وأسلوب نطقها من قبل شخصٍ خزَن في غرفته ومستودعه ما يكفيه ويكفي رؤسائهُ لشهرٍ من الزمن طعاماً وشراباً بينما يسقط الجنود من التعب والإعياء على محارسهم نتيجة الجوع.

قبل أشهر وصلت مع مجموعة من زملائي برفقة ثلاثة من الضباط إلى هذه القطعة العسكرية بمهمة حراستها وصد أي هجوم محتمل، كانت دباباتنا تعبر الباب الرئيسي مترافقة بأهازيج وصيحات الجنود في الداخل ما جعلنا نشعر ببعض الفخر وبالكثير من القوة.

بيد أن هذه المشاعر سرعان ما تلاشت مع أول عملية سطو قام بها هؤلاء الضباط على منازل خالية من أهلها لا يحرسها سوى غبار الزمن وبعض ذكريات خطها أطفال على دفاتر قديمة ممزقة.

العقيد عاكف رئيس العصابة، كان ضابطاً محنكاً في جميع المجالات عدا المجال العسكري، كان بارعاً في السرقة والسطو والتعذيب والنفاق وبليغاً في الخطابات الوطنية الحماسية التي من المفترض أن ترفع من معنوياتنا وقد أدت وظيفتها بالفعل لفترة من الزمن قبل أن يبدأ مفعولها العكسي بالظهور.

كنت أراقب أول سرقة قام بها ذلك العقيد أمام أعيننا برفقة بعض أعوانه من المتطوعين والمقربين منه، الغنائم كما يسمونها لم تكن سيارة مكدسة بالذخيرة أو صندوقاً مليئاً بالقنابل اليدوية، بل كانت عبارة عن عدة برادات وغسالتين وبضع أسطوانات من الغاز وسريراً صغيراً ودمعة طفل سيبكي يوم يرجع ولا يجد سريره فينام على أرضٍ باردة دنسها أولئك اللصوص بأقدامهم وحجتهم في ذلك أن (بيوت من يدعم أعدائنا وممتلكاتهم هي حلال لنا).

صديقي شربل كان يقف بقربي مشدوهاً مما يرى، عدنا للتو من اشتباكٍ عنيفٍ في إحدى المزارع القريبة، المهمة التي أوكلت لنا من قبل العقيد كانت مداهمة تلك المنطقة التي من المفترض أنها تضم تجمعاً مسلحاً، انطلقت دباباتنا نحو المكان المحدد ودارت اشتباكات عنيفة انتهت بعودتنا بسبب الذخيرة التي أوشكت على النفاذ، كنت أخاطب العقيد عبر اللاسلكي لأعلمه بالوضع وبحاجتنا الماسة للإمداد فيأتيني صوت ملازمٍ متردد لا يملك أن يتخذ أي قرار، ما دفعنا لاتخاذ قرار الإنسحاب لمقرنا، لنفاجئ بالعقيد يمارس هوايته في جمع العملات والمفروشات المنزلية.

أوشك شربل على البكاء لهول المنظر، قبل أسبوعين تقريباً من هذه الحادثة كان الجو بارداً لدرجةٍ لم يتمكن بها شربل من احتمال الصقيع وهو الذي لا يملك من الأغطية سوى غطاءً واحداً متهالكاً، ما دفعه لأن يدخل إلى منزلٍ قريبٍ تركه سكانه ويجلب غطاءً سميكاً أعانه على قضاء ليلته، شاهد العقيد الغطاء في اليوم التالي وناله من الغضب والجنون مالم ينل نيرون ساعة أحرق روما، وانطلق محاضراً بنا عن الأمانة التي نتحملها، وبأننا مؤتمنون على أملاك الناس وأمر صديقي بإعادة الغطاء إلى المنزل الذي أحضره منه.

والآن الفكرة الوحيدة التي فكر بها شربل هي أن الأمانة يجب أن يحافظ عليها أمثالنا فقط أما ذلك الأخطبوط فمباحٌ له كل شيء، غطاءٌ أخذه ليتدفأ به لا ليبيعه أصبح جريمة مستهجنة أما كل تلك السرقات فهي حلال.. ولم لا؟ فهو ضابط كبير ويحق له ما لا يحق لمرؤوسيه، ويحل له ما لا يحل لأحد سواه.

(السطو له تسلسل عسكري)

لم يقف الأمر هنا بل كانت المهام الموكلة لنا مهاماً انتحارية بكل معنى الكلمة، نُزجّ في الصفوف الأمامية ويظل ضباطنا في وكرهم مختبأين بحجة أنه المكان الأمثل لقيادة جميع الوحدات.

كانت الفكرة التي زُرعت في رؤوسنا منذ بداية الأزمة هي استهداف الأقليات من قبل الثوار وعلى اعتبار أنني وشربل كنا من هذه الأقليات فقد كنا نستميت في قتالنا. إلا أن الصورة بدأت تتضح شيئاً فشيئاً عندما أصبحت أغلب المهام من اختصاصنا نحن فقط ويتخلف البقية، أتذكر جيداً قبل إصابتي بيومين عندما استدعاني عاكف وقد تأزم الموقف على الأرض وأخبرني بأنه يتوجب علي في حالة صدور قرار بالانسحاب من القطعة أن أترجل عن دبابتي ليحتل هو مكاني، فاجأني الطلب واعترضت قائلاً بأن في ذلك موتي المحتم تحت نيران القناصة وقذائف الهاون إلا أنه نهرني غاضباً بقوله: «أنا المسؤول وأنا أقرر ما سيحدث أم أنك تريدني أنا العقيد أن أنسحب مع المشاة ؟!»

(الموت أيضاً له تسلسل عسكري)

والجوع أيضاً يخضع لهذا التسلسل، فالمخزون الآن بدأ ينفذ والجنود في مواقعهم جياع. والضباط في مخابئهم يأكلون، والثوار من حولنا يضيقون الخناق علينا يوماً بعد يوم. نسمع عن مؤازرةٍ قادمة منذ أسابيع لكننا لا نسمع هدير محركات قادم أو إطلاق نار أو مدافع.

ما نسمعه فقط صوت قذائف الهاون وصفير طلقات القناصة التي تحصد منا أعداداً كل يوم، وصوت أبي طالب الناطق الرسمي باسم من يحاصرنا يخاطبنا دوماً عبر مكبرات الصوت:

•سلم نفسك يا عسكري

•بعرفك جوعان.. لايمتى رح تتحمل الجوع؟؟

•يا فلان طلاع أنت آمن

•يا فلان انت ميت..

وغالباً ما يلي تلك العبارات صوت قذيفة من إحدى دباباتنا تطلق باتجاه مصدر الصوت فيصمت أبو طالب. نظنه جميعاً قد قتل نتيجة القذيفة لكن صوته يعود من مكان آخر مردداً نفس العبارات وبنبرة أقوى من قبل.

.

.

.(يتبع)

بين زبدة الشعب وعيونه .. بندقية حلقة -١-

د.عبد الفراتي

لا، لَيْست تلْك لا ريتا دَرْويش ولا غِنائيّاته .. بلْ «رِيتّانا» نَحْن ومَأْساتنا الخَاصّة مَع عُيونِنا التي لَمْ تَعْرف يَوْماً شَيْئاً عنْ قَدر العُيونِ العَسليّة ... مَعْ غُمُوض العُنْوان وسُرْياليةٍ لا تَمْلك لَها سِوى الضَّحك السَّاخِر منْ كلّ مَا يُحيطُ بِنا منْ تَراجيديا، لا بُدَّ منَ القَوْل أنّا رَقَصْنا عَليْها ومَا زِلْنا، رَقْص زوربا المُنْتشي ألَماً وتَناقضاً على مَدى مَا يَزيدُ عَلى العُقود الأرْبعة مِن أوْراق زَمننا المُرّ.. ذَلك أنّ بيْن الزّبْدة والبُندقية قصّةٌ اقْتصاديّةٌ قَديمة، لمْ نَكُن فيها سِوى غَاسلي صُحُون لمَائِدةٍ مَا دُعينا إلَيْها يَوْماً ....

بِدَايةً، لا بُدّ منْ سَرْد الحِكَايةِ بِنَكْهتها الاقْتصادية المُجرّدة، فَعِن الزّبْدة «لا المارجرين» تَتحدّث النَّظَرية الاقْتصاديّة في جَدَليّة تَنْمويّةٍ اقْتصاديّة يَخْتار إيقَاعَها سَاسةُ الاقْتصاد العَامّ في كلّ اقْتصاديّات العَالَم، عَن نَظريّة ما يُسَمّى«butter/gun curve» مُنْحنى الزّبْدة والبُندقيّة، وَهُو تَعْبير اصْطلاحيّ عَنْ شَكْلٍ هَنْدسيّ يُمَثّل جَدليّة العَلاقة بَيْن اقْتصاد الحَرْب، واقْتصاد التَّنْمية. وفي سَبيلِ اخْتيار أحَد الطَّريقيْن يَتدرّج المُنْحنى صُعوداً وهُبوطاً، مَزيداً منْ ألْواح الزّبْدة، أوْ مَزيداً منْ رَصَاصات البُنْدقيّة ...

ويُمْكن لتَوْضيح الصُّورة أكْثر، تَمْثيل تلْك النَّظرية بِبَسَاطة كَمَا في الشَّكْل ١: gun

لَسْنا هُنا طَبْعاً في مُحَاضرةٍ جَامعيّةٍ لِشَرْح دَرْس اقْتصاديّ، لَكنْ بإمْكانِنا ببَسَاطة

أنْ نُلاحِظ أنّ التَّدرّج صُعوداً يُنْتج المَزيدَ مِنْ الرَّصَاصات، ويَميلُ المُنْحنى ليُذيبَ butter المَزيدَ والمَزيدَ منْ ألْواح الزّبْدة لِصنَاعة رَصَاصاتٍ جَديدة «بكَلماتٍ أُخْرى، إذَابَة مُنْجزات التَّنْمية وتَحْويل الاقْتصاد التَّنْمويّ إلى اقْتصاد حَرْب»، ويَحْدث العَكْس عِنْدما يُصْبح التَّدرّج أُفُقيّاً فَيتجه الاقْتصاد لِحَرْق المَزيدِ منَ الرَّصَاصات لِصنَاعة المَزيدِ منْ ألْواح الزّبْدة. بكَلماتٍ أُخْرى، تجَمّد الأسْلحة واقْتصاد الحَرْب لصَالح اقْتصاد التَّنْمية». بكلّ بَسَاطة على كلّ شَعْب «اخْتيار» مَاذا عَليْه أنْ يُنْتج، أسْلحةً وحُروباً، أمْ تَنْميةً وازْدهاراً. على أنْ نَنْتبه هُنا أنّ إنْتاج الحَرْب لا يَعْني بالضّرُورة تَصْنيع السِّلاح - فهُو مَا لا يُتَاح في مُعْظم الدُّولِ النَّامية، ونَحْن مِنْها - بَلْ يَنْصرف إلى تَجْيير مَوَارد الاقْتصاد الوَطَنيّ لآلَة الحَرْب أوْ الأمْن على حِسَاب التَّنْمية والإنْتاج الاقْتصاديّ، وهُنا تَقَع الجَدَليّة التي قَدّمْتُ لها أعلاه، فالمَوارد الاقْتصادية في أيّ اقْتصاد هِي مَحْدودة حُكماً والحَاجاتُ لا تَنْتهي، وهُنا يَحْكمُ قَرارُ الإنْفاق أيديولوجيا الحُكْم وطَبِيعَةُ المَرْحلة، فَتَتّجه الدُّوَلُ غَالباً إلى الرَّصَاصاتِ في فَتَراتِ الحُرُوب والكَوَارث، وتَعُودُ فتتّجه إلى ألْواحِ الزّبدة بَعْد انتهاءِ الحَرْب أو الكَارِثة، ويُشْبه ذَلِكَ إلَى حَدٍّ كَبِير تَفَاعُل الجِسْم الإنْساني إزاءَ خَطَرٍ مُحْدقٍ بِهِ، فَهُوَ يَعْمَدُ إلى إجْرَاءاتٍ دِفَاعيةٍ فِطْرية تَدْفَعُ بالأوكسجين إلى الأعْضاءِ الحَيَويةِ كالقَلْبِ والدِمَاغِ والرِئَتين عَلَى حِسَاب بَقيّة الجِسْم رَيْثَما تَمُرُّ أزْمةُ الإخْتناق، وكَذَلك يَفْعل اقْتصادُ الأزْمة فَهُو يُوَجّه مُقَدّرات الاقْتصاد لِخِدْمةِ صُمُود البَلَد أمَام الحَرْب أو الكَارِثة، حتّى تَمُرَّ الأزْمة فَيَعُود لِضَخّ الأوكْسِجين الاقْتصادي لبَقيّة القِطَاعَات ...

أمَّا أنْ يَخْتنِق اقْتصَادٌ ما لأرْبَعةِ عُقُود في أزْمة «شرفٍ تَنَفُّسي» مَعْ ذَاتِه ومَعْ أوكْسِجينه ومَعْ نَفْسِه، فَتِلْك ظَاهِرةٌ اقْتصاديّةٌ قَبْل أنْ يَعْجَزَ عَنْها العِلْمُ الاقْتصادي، عَجزَت عَنْها رَصَاصَات البُنْدقيّة الجَامِدَة وألْوَاح الزبدة الذَائِبَة نَفْسَها في اقْتصادٍ امْتَلَك ويَمْتَلكُ أرْوَع مُكَوّنات الزبدة التَّنْمَوية.....!!!!

وإن كَانَتْ الدَّوْرَات الاقْتصاديّة والتَّقَلُبات الزّمنيّة هِيَ سِمَاتٌ اعْتياديةٌ لمُعْظم اقْتصاديات العَالم،فإن تَبدُّل الأحْوال من تَنْمية مُسْتَدامة إلى خَرابٍ مُزْمنٍ، يُعَبِّر بالضَّرورة عَن فِكْرٍ مُشَوَّه وأيديولوجية مَرِيضة، لا تُوجد في غَالبِ الأحْيان إلَّا في دِكْتاتوريَّات العَالم الثَّالث، إذْ لَيْس عَلَيْها سِوَى الامْتثال لأوَامر صَانِعِي الرَّصَاص لِإذَابة كُلّ مَا يُمْكن أنْ يَكُون الزّبْدة في «أفْران» برَّاقة، أُعِدّت خِصِّيصاً للإذَابة القَوْميّة والمَذْهبيّة والطَّائفيّة وربّما المِزَاجيّة وحَسْب، عَلى الطَريقَة النَيْرونيّة، وهي كَفيلةٌ على اخْتلافِ أنْواعِ الزّبْدة، ومَهْما كانَ حَجْمها بإذَابة «رَأس أكْبر لَوْحٍ» مِنْها بِلَمْح البَصَر، وحَرْق عَشَرات السِّنين التَّنْمويّة في لَحْظة جُنُون بُنْدقيّة !!!

فإذَا انْطَلقنا مِنْ هَذا الفَهْم في تَفْسيرنا للإذَابات المُتَتَالية لألْواح الزّبْدة في مُخْتلف بِقَاع الأرْض الثّالثة -وأعْني عَالَمنا المُتَخلّف- سَيَسْهل عَلَيْنا اسْتيعابَ الجَانِب المُنَاقض منَ المُعَادلة، وهُو الإثْراء المُتَزايد لِصُنّاع الرَّصَاص والبَنَادق «هُناك في الطَّرَف غَيْر المُتَخلّف منْ ذَات العَالَم»، لا سِلاَحاً بَلْ ألْواحاً مُتَراكمةً منَ الزّبْدة العَذْراء، عَلى نَحْو سِرْياليٍّ مُضْحكٍ منَ سُخْريته يَتَمثّل بِانْزياح الأوَاني المُسْتطرقَة عَكْساً، وَلَيْس ذَلك سِوى انْسياب مُخْزٍ لبحَار الزّبْدة الذَّائبة في مَنَاطق اقْتصاديّات الحَرْب، نحْوَ مُسْتوعَبات التَّبْريد الأبديِّ لِمَصَانع الرَّصَاص، التي غَذَت هي المَنْبع وهي المَصَبّ، وفيها الخِصَام وهي بكلّ تَأْكيد الخَصْم والحَكَم.

الآن وقَدْ عَلمْنا زبْدتنا ورَصَاصنا، يُمْكننا البِدْء بالحَديث عَن الاقْتصاد السُّوري بأَلْواحه وبَنَادقه.

بِدايةً لنَبْدأ بالزّبْدة الذّائبة، «إذا أرَدنا أنْ نَعْرف

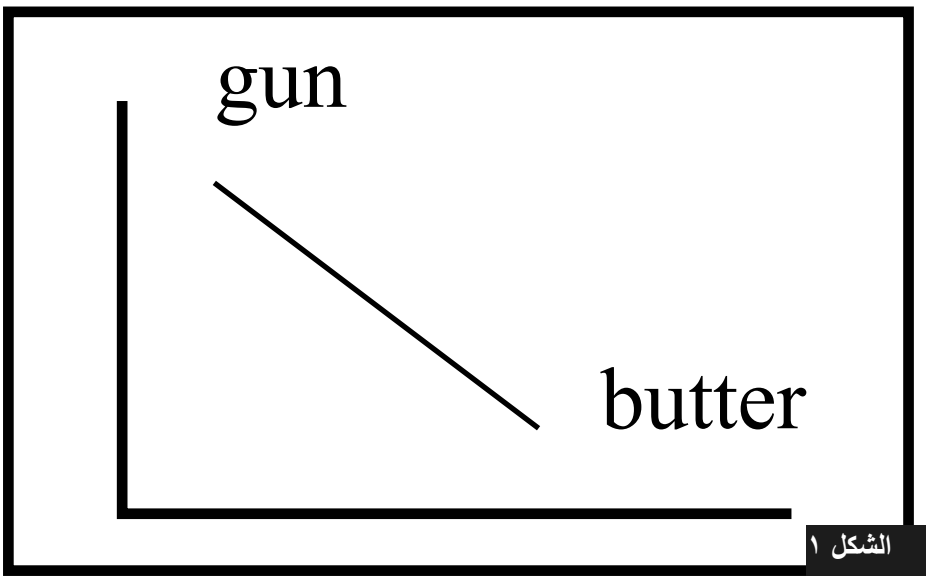

الشكل ١

مَاذا في إيطاليا فَعَلَيْنا أَنْ نَعْرف مَاذا في البَرازيل»، نَعَم وكَذلك الزّبْدة، فلِكَي نَعْرف حَجْم مَأْساتنا الذّائبة، عَلَيْنا أَنْ نَعْرف بِدَايةً مَاهِي مُكَوّنات «لَوْحنا العَاثِر»

قُبَيْل الثَّوْرة.لَطَالَما عُرِف الاِقْتصاد السُّوريّ بِمَجْموعةٍ منْ نُقَاط القُوّة التي مَيَّزته عَنْ كَثيرٍ منَ الاِقْتصاديّات المُشَابهة لَه بُنْيويّاً بِصفته اقْتصاداً نَاميّاً، وقَدْ شَكّلت تِلْك النُّقاط قَاعِدةً مَتينةً ارْتَكز عَلَيْها الاِقْتصاد عَلى مَدى عُقُود، وَوَاجَه بِها مَوْجَات الكَوَارث البِيئيّة والسِّياسيّة والعَسْكريّة، التي تَرَكتْ أَثَرها عَميقاً وَلِعُقود تَاليةٍ، اسْتَغْرقنا كَثيراً لِنَعْلم بِها.

أُولى نُقَاط تِلْك القُوّة تَمَثّلتْ-وحتّى قُبَيْل الثَّوْرة بِقَليل-بِعَجْز لا يَكَاد يُذْكر للمُوَازنة العَامّة قِيَاساً بالاِقْتصاديّات المُمَاثِلة في المَنْطقة -كَلُبْنان الغَريق حتّى أُذنيْه في الدَّيْن مَثَلاً- إذْ أَنّ مُعْظم الدِّراسَات التي قَدَّرت ذَلك العَجْز، وإنْ كَانَت لَها بَعْض المُحَاباة، فإنّها قَدْ اتفَقَت تَقْريباً عَلى نِسْبة ١٠٪ مِنْ إجْماليّ النَّاتج القَوْميّ السُّوريّ في مُعْظم الفَتَرات، وهُو رَقْمٌ لا يُعدّ سَيّئاً في اِقْتصاديّات العَالَم الثَّالث التي تَشْهد مُعدّلات قِيَاسيّة سَواءٌ للدَّيْن العَامّ الدَّاخليّ، أوْ الخَارجيّ قَدْ يَتعدّى في بَعْض الأَحْيان أوْ حتّى يُجَاوز رَقْم المُوَازنة نَفْسها، وَتَجْدر الإِشَارة إلى أَنّ النِّسْبة الأَكْبر مِنْ هَذا الدَّيْن في الاِقْتصاد السُّوريّ، كَانَت تُعْزى إلى مَصَادر دَاخليّة نَتيجةَ اِقْتراض الحُكُومة، أوْ سَنَدات الخَزينة في البَنك المَرْكزيّ، ومَا يَبْقى يَعُود لِدُيونٍ قَديمةٍ غَالبيّتُها سُوفيتيّة وقَدْ تَمّت جَدْولة مُعْظمِها. وبالمُحَصّلة، فإنّ الاِنْخفاضَ النِّسْبيّ لِنِسْبة خِدْمة الدَّيْن العَام إلى إجْمالي النَّاتج القَوْميّ السُّوريّ، كَانَ أَحَد أَهمّ المُرْتكزات التَّنْمويّة المُسْتَدامة للاِقْتصاد السُّوريّ.

ومَنْ ثمّ هُنَالك المَوْقع الجُغْرافيّ والاِسْتراتيجيّ المُميَّز لسُورية، بتَنوّعها الثَّقافيّ والبِيئيّ، وكَثْرة المَواطن السِّياحيّة والأَثَريّة في جَميع مُحَافظاتها بلا اِسْتثناء، ولا أَدلّ عَلى ذَلك منْ أَنّ قِطَاع السِّيَاحة وَحْده بَقِيَ حتّى عَام ٢٠١٠ يَدرّ نَحْو ٨ مِلْيار دُولار سَنويّاً للمُوَازنة السُّوريّة، إِضَافةً لِوُقُوع سُورية عَلى مُفْترق طُرُق عَالميّ، مَا جَعَلها مَمرّاً اسْتراتيجيّاً لِعُبُور النِّفْط وتِجَارة الترانْزيت، وهُو ما دَرّ مَدَاخيل إِضَافيّةٍ للمُوَازنة العَامّة عَمّقتْها الاتفَاقَات الثُّنائيّة الدَّوْليّة، فأَصْبح الترانزيت أَحَد أَهمّ مَداخيل المُوازنة حتّى عام ٢٠١٠، لَكنّ ذَلك المَوْقع قَدْ جَعَل منْ سُورية لاَحِقاً مَلْعباً للتَّصَارع

مصرف سوريا المركزي..دمشق

الإِقْليميّ والدَّوْليّ نَظَراً للمِيزَات الجيواستراتيجيّة التي ذَكَرتها أَعْلاه، وسَنَعرج عَلَيها لَاحقاً.

قَدْ لا يُصدِّق أَحَد أَنّ مُعدَّل التَّضخّم كَانَ أَحَد مُميّزات الاِقْتصاد السُّوريّ في مَرْحلةٍ مَا، فإزَاء الصُّورة الحَاليّة المُفْزعة للتَّضخُّم السَّائد في سُورية، عَلَيْنا التَّذكر المُعدَّلات المُنْخفضة نِسْبياً للتَضخّم خُصُوصاً في عَقْد التِّسْعينات وبِدَاية الأَلْفية قَبْل أَنْ يَتَصاعد في مَرْحلة لَاحقَة، ويَنْفجر في الثَّوْرة السُّوريّة، فَقَد شَكّل انْخِفاض مُعدَّل التَّضخّم بِحُدود ٨٪ عَلى فَتَراتٍ مُخْتلفة مُعَدّلاً مَقْبولاً قِيَاساً بِاقْتصاديّاتٍ مُمَاثلة، وكَانَ سَيَغْدو أَحَد أَهمّ مُرْتَكزات السِّياسة النَّقْديّة لَوْلا «تَضخُّم» جُنُون النّظَام قَبْل تَضخُّم الاِقْتصاد.

وبالحَديثِ عَن السِّياسَة النَّقْديّة يَقُودنا للحَديثِ عَنْ سِعْر الصَّرْف، في الوَاقع يُقُودنا إلى الحَديثَ عَن الزَّمَن الجَميل للّيرة السُّوريّة التي شَهَدت عَلى مَدَى عُقود اِسْتقراراً هَادئاً، مَكّن منْه سِيَاسة التَّثْبيت التي اتّبعها البَنْك المَرْكزي لعُقُود طَويلة، مُسْتنداً إلى اِحْتياطيٍّ نَقْديٍّ تَرَاكم في خَزَائنه تَدْريجيّاً، قَادِماً مِنْ طَفَرات النَّفْط السَّبْعينيّة، وتَدَفُّقات المُسَاعَدات الخَليجيّة التِّسْعينيّة وغَيْرها، حتّى نَاهَز الاِحْتياطيّ النَّقْديّ ١٨ مِلْيار دُولار قُبَيْل اِنْدلاع الثَّوْرة، وشَكّل إلى جَانبِ انْخِفاض التّضخُّم أَحَد أَهمّ عَوَامل الجَذْب الاِسْتثماريّ للاِقْتصاد السُّوريّ مَعْ بِدايةِ الأَلْفيّة التي كُنّا نَظُنّها «جَديدَة».

ويَقُودنا الحَديثُ عنْ الاِسْتثمار بدَوْره إلى الحَديثِ عَنْ مُحفّزاته الأُخْرى، فَلا يُخْفى عَلى أَحَد اتْقانُ اليَدُ العَاملة السُّوريّة لمُخْتلف الصِّنَاعات على مَرّ التَّاريخ، وقَدْ أُضيف إِلَيْها رخْص تَكْلفة هَذه الأَيْدي مَا جَعَل مِنَ الاِسْتثمار في سُورية الأَقلّ تَكْلفة منْ نَظيره في الاِقْتصاديّات المُشَابهة، كَمَا أَنّ توفّر بُنْية تَحْتيّة مَقْبولة مُلائِمةٍ للاِسْتثمار كانَ قَدْ جَعَل من سُورية مَوْئلاً مُلائِماً لمُعْظم الاِسْتثمارات العَالميّة - كَان ذَلك قَبْل أَنْ يُجنّ نَيْرون -.إلى ذَلك، فإنّ سُورية بَلَد زِراعيٌّ بِامْتياز، ولَطَالما حَقّق اِكْتفاءً ذَاتيّاً في أَمْنه الغِذَائيّ، بإِنْتاجه لمُعْظم المَحَاصيل الأَساسيّة كَالقَمْح، والذُرَة، واللُّحُوم، والخِضَار... وغَيْرها، مَا جَنّب الاِقْتصاد الأَزَمات المُتَلاحِقة بِارْتفاع أَسْعار الغِذَاء عَالميّاً، لَنا أَنْ نَتخيّل مَدى قُوّة الاِقْتصاد السُّوريّ مِنْ هَذه النَّاحيّة، وهي مَا أَوْحى اسْتعداده «فِطْريّاً» لأَزَمات «صِيَامٍ قَسْريٍّ» كَانَ لا يَحْلم بِهَا في أَسْوأ كَوَابيسه ...

وقَدْ حَاولَت بَعْض الإِجْراءات المَاليّة قُبَيْل انْدلاع الثَّوْرة تَعْميقَ بَعْض نُقَاط القُوّة في الاِقْتصاد السُّوريّ، خُصُوصاً مِنْها مَا يَخصُّ تَحْديثَ القَوانين المَاليّة والضَّرائب، إلاّ أنّها جَاءَت مَحْدودةً ومُتَأخّرة لِتُعَالج تَفَاقُماً بُنْيويّاً عَميقاً اسْتَمرّ عُقُوداً. كَمَا أنّ الاِقْتصاد السُّوريّ يُعَدّ اِقْتصاداً مَحْدود الاِنْكشاف على العَالَم الخَارجيّ، ويَعُود ذَلك إلى سِياسةِ الحِمَاية الجُمْركيّة وسِيَاسَات تَثْبيت سِعْر الصَّرْف أَسَاساً. ولِذا، فحتّى الأَزْمة المَاليّة العَالميّة لَمْ تَتْرك ذَلك الأَثَر الكَبير على الاِقْتصاد السُّوريّ لهَذَا السَّبب على وَجْه الخُصُوص، كَمَا أنّ عَجْز المُوَازنة في آَخِر سَنتيْن قَبْل الثَّوْرة قَدْ لاءَمَ - صُدْفةً - الاِقْتصاد السُّوريّ جِزْئيّاً للخُرُوج منَ الرُّكُود الذي عَصَف بالعَالَم آَنذاك.

وأَيّاً يَكُن، فإنّ تِلْك كَانَت أَبْرز نُقَاط قُوّة الاِقْتصاد السُّوريّ عَلى مَدى تَاريخهِ المُرّ، أَعْني كَانَت تِلْك أَجْمل أَلْواح الزُّبْدة.

أمّا البُنْدقيّة فإلى حَلَقةٍ تَالية ... يَتْبع

قتل الأطفال بالتّوازي مع خمسة عشر مدنياً مباشرةً دون محاكمات في شمال سورية

تمّت تَرْجمة المَقالة مِنْ مَوْقع مُنظّمة العَفْو الدّوليّة

ترجمة جين آرام

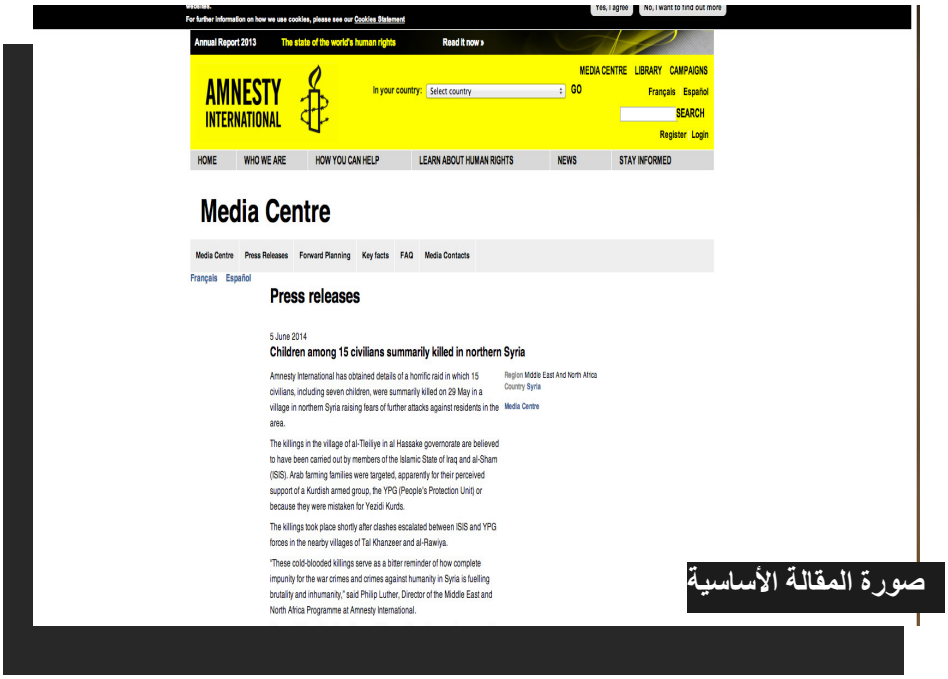

صورة المقالة الأساسية

حَصَلت منَظمةُ العَفْو الدّوليّة على تَفَاصيل المُداهمة المُروعة والتي قُتِل خِلالها ١٥ مدنيّاً، بَيْنهم سَبْعة أَطْفال، دونَ مُحاكمة يَوْم ٢٩ أيّار في قَرْية في الشّمال السّوري، ممّا أَثَار مَخَاوف مِنْ مَزيدٍ مِنَ الهَجَمات ضدّ السّكان في تِلْك المَنْطقة. ويُعْتقد أَنّ عَمليّات القَتْل في قَرْية التّليليّة في مُحَافظة الحَسَكة قَدْ نُفّذت على أيْدي أَفْرادٍ مِنَ «تنظيم االدّولة الإسْلاميّة في العراق والشّام». وقَدْ اسْتُهدفت الأُسَر الزّراعيّة العَربيّة، لِما يُعْتقد عَنْ دَعْمهم للمَجْموعة المُسلّحة الكُرْدية «وحدة حماية الشعبYPG» ، أَوْ بِسبب اعْتقادهِم الخَاطِئ بِأنّهم مِنَ الكرد الأَزيديين.

إنّ عَمليّات القَتْل هَذه وَقَعت بَعْد فَتْرةٍ وجيزةٍ مِنْ تَصاعدُ الاشْتباكات بَيْن مُسلّحي «الدّوْلة الإسْلاميّة في العِراق والشّام» و«قُوّات وَحْدة حِمايةِ الشّعْب» في القُرى القَريبةِ مِنْ قَرْيتي تَلّ خنْزير والرّاوية.

«تُعدّ جَرائِم القَتْل بِدمٍ بَارِدٍ هَذه بِمثَابة تَذْكيرٍ مَريرٍ عَنْ كَيْفيّة الإفْلات التّام مِنْ العِقاب لِجرائِم الحَرْب، والجَرائِم الواقِعة ضدّ الإنْسانيّة في سورية، تُأجّج المَزيدَ مِنَ العنْف والوَحْشيّة»، وذَلك بِحسب ما قاله (فيليب لوثر) مُدير بَرْنامج شَمال أَفْريقيا والشّرْق الأَوْسط في مُنظّمة العَفْو الدّوْليّة: «إذْ تَدْعو مُنظّمة العَفْو الدّوْليّة كلّاً مِنْ الدّوْلة الإسْلاميّة في العِراق والشّام، كَذلك الجَماعات والقُوّات المُسلّحة الأُخْرى المُنْتميّة لِجميعِ أَطْراف النّزاعِ، إلى احْترام قَوانين النّزاعِ المُسلّح، ووَضْع حَدّ فَوْريّ لِعمليّات القَتْل المُباشر بِدونِ مُحاكمات، وللتّعذيبِ والهَجماتِ المُتعمَّدة على المَدنيين.»

يَصِف أَحد شُهودِ العَيان، الذي وَصَل إلى القَرْيةِ بَعْد وَقْت قَصير، مَشاهدَ القَتْل المُروّعة: «عِنْدما دَخلْتُ إلى أَحَد البُيوت، وَجَدتُ جِثث امْرأتَيْن مُلْقاتيْن على الأَرْض، بَيْنهما جثةً لِفتىً في السادسة من العمر على الأغلب. تَابعْتُ طَريقيَ ورَأيتُ رَجلاً مَرميّاً عَلى الأَرْض بِجانبِ سيّارةِ بيكْ آب. بالإضافةِ إلى امْرأةٍ أُخْرى كانَتْ جثّةً مَرْميةً هُناك مَع ثَلاثةِ أَطْفال، كانُوا جَميعاً على ما يَبْدو تَحْت سنِّ العَاشرة. مَشيْتُ مُبْتعداً أَكْثر، فَرأيْت اثْنَين مِن الرِجالِ قَتْلى على الأَرْض، واصلْتُ المَسيرَ لأرَى رَجُلاً آخراً يَرْقد مَيّتاً بِجوارِ جِدار أَحدِ المَنَازل: لَقدْ تَمّ إطْلاقُ النّار في رَأْسه. مَشيتُ أَبْعد لأَرى رِجالاً يَضَعون أَرْبع أَوْ خَمْس جُثثٍ في سيّارة، مِنْ بَيْنها جُثّةٌ لِفتاةٍ ربمّا كانَتْ في السَابعةَ أَوْ الثّامنةِ مِنَ العُمْر».

وقالَ مَصْدر في مَشْفىً في رَأْس العَيْن (وتُدْعى ساري كانيه Serêkanîye باللّغة الكردية) لِمنظّمة العَفْو الدّوْلية أنّ المَشْفى اسْتَقبلَ خَمْس عَشرةَ جُثّة في نَفْس ذَلك اليَوْم، وَمُعْظم الضّحايا كانوا قَدْ قُتِلوا رَمْياً بالرّصاص في الرّأْس. وَجُلِبَت اثْنتانِ مِنَ النّساء النّاجيات إلى المَشْفى، كانَت إصابةُ إحْداهنَّ في الصّدْر والفَخْذ.

تَتضمّن قائمةُ القَتْلى خَمْسة رِجالٍ، ثلاثُ نِساءٍ، وَسَبْعة أَطْفالٍ مِنْ عائِلَتَيْن، وذلك وِفْقاً للمَعْلوماتِ التي تَلقتْها مُنظّمة العَفْو الدّوليّة، وعلى الأغلب، فإنّ الضّحايا يَنْتمون إلى المُجْتمع الزّراعيّ العربيّ مِنْ قَرْية السفيرة في ريف مُحافظةِ حلب. وتَعْمل كِلا العَائِلتيْن في الأَراضي التي يَمْلكها بِشكْلٍ رئيسٍ عائلاتٌ كرديّة تَنْتمي إلى العَقيدةِ اليَزيديّة. وتَعْتبر «الدّولة الإسْلاميّة في العِراق والشّام» الأزيديين كفّاراً، وكَذلك الأَمْر بالنّسْبة لِبَعض الجماعاتِ المُسلّحة الأُخْرى، لِذلك هَربَ مُعْظم الكرد الأزيديين منَ المَنْطقة في عام ٢٠١٣، بَعْد أَنْ سَيْطرت عَلَيْها «الدّوْلة الإسْلاميّة في العِراق والشّام».

«يُعْتقد بِأنّ هَذه الهَجَمات، تَهْدف إلى التّرْويع والتّهْجير القَسْريّ لِأفْراد المُجْتمع في المَنْطقة، وتَخْشى مُنظّمة العَفْو الدّوْليّة أَنْ يَكونَ قَتْل هَؤلاءِ المَدَنيينَ كَعملٍ انْتقاميٍّ لِما يُعْتقد بِأنّهم يَدْعمون «قُوّات الحِمايةِ الشّعبية»، إمّا بِشكْلٍ دَعْم مُباشرٍ، أَوْ غَيْر مُباشر مِنْ خِلال المُلّاك الكرد الأزيديين، أَوْ بِسببِ الاعْتقاد الخَاطئ بِأنّهم مِنَ الكرد الأزيديين كَمَا قالَ فيليب لوثر.

وصَرّحت مَصادِر في المَنْطقة لِمُنظّمة العَفْو الدّوليّة أنّها تَعْتبر، وبِصرْف النّظَر عَنْ الدّافعِ المُحْتمل أَنّ «الدّوْلة الإسْلاميّة في العِراق والشّام» هي المَسْؤولة عَن هَذه العَمليّات، وذَلِك بِسببِ الزّي والسّلوك العام للجُناة، وبِسببِ الرّاية التي كانَ الجُناة يَحْملونها.

ويَبْدو أَنّ الاقْتتال بَيْن الـ«الدولة الإسلامية في العراق والشام و«قوات الحماية الشعبية» قَدْ انْدلَع بِسبب الخِلافات مِنْ أَجْل السّيْطرة على كميّاتٍ كَبيرة مِنَ الحُبوب المُخزّنة في قَرْية تَلّ حَلف، التي تَقَع تَحْت سَيْطرة «قوت الحماية

الشعبية». وفي نَفْس اليَوْم، تمّ إحْراقُ المَحاصيلَ التي تَعُود ملْكيتَها إلى الكرد الأزيديين في قَرْية التّليليّة والمَناطق المُجَاورة لها.

وتَسْتمرّ مُنظّمة العَفْو الدّوْلية بِدَعْوة مَجْلس الأَمْن الدّوليّ في الأُمَم المُتّحدة إلى إحالةِ الوَضْع في سورية إلى المُدّعي العَام للمَحْكمة الجِنائيّة الدّوليّة، بِحَيْث يَتُمّ التّحقيقَ في جرَائم الحَرْب التي تُشْبه هذه الجَريمة، والتي نُفّذت في قَرْية التّليليّة بِشكْلٍ مُسْتقل وحياديّ لِتَحْديد الجُناة وتَقْديمهم للعَدَالة.

تَحثّ المُنظّمة أَيْضاً الحُكومةَ التُّركيةَ على التّحقيقِ مَع الأَفْراد المَوْجودين على أَرَاضيها - مُتضمناً ذلك أَعْضاء «الدولة الإسلامية في العراق والشام»- المُشْتبه بِهم في ارْتكابِ جَرائمَ الحَرْب في قَرْية التّليليّة، أَوْ بِأَمرٍ بها في أَمَاكن أُخْرى مِنْ سورية. إذْ كُلّما كانَ هُناك أَدلّة كافيّة ومَقْبولة، يَجِب تَقْديم الجُناة المُشْتبه بِهم إلى العَدالةِ في مُحاكماتٍ عَادلة.

كَما يَجِب على الحُكومةِ التُّركيّة أَيْضاً، مَنْع دُخول المُقاتلينَ وتَدفّق الأَسْلحة إلى «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وغَيْرها مِنَ الجَماعاتِ المُسلّحة التي تَرْتكب انْتهاكاتٍ خَطيرةٍ للقانونِ الإنْسانيّ الدّوليّ في سورية. وتَدْعو مُنظّمة العَفْو الدّوليّة أَيْضاً دُول الخليجِ للتّوقف عَلَناً عَنْ تَوْفير الدّعم الماليّ أَوْ غَيْره، بِما في ذَلك عَمليّات نَقْل الأَسْلحة إلى الـ «الدولة الإسلامية في العراق والشام» وغَيْرها مِن الجَماعات المُسلّحة التي تَقُوم بِتَنْفيذ جرائمَ حَرْب، أَوْ انْتهاكاتٍ جَسيمةٍ لِحُقوقِ الإنْسان في سورية.

معلومات خلفيّة:

أسماء الضّحايا:

تَلقتْ مُنظّمة العَفْو الدّوليّة أَسْماء وأَعْمار الضّحايا الـ١٥ الذينَ قُتلوا، وذَلك مِنْ قِبل مُنظّمة حُقوق الإنْسان التي تَرْغب في عَدَم الكَشْف عَنْ هَويّة نُشَطائِها العَامِلين على الأَرْض لِحمايَتهم، والضّحايا هُم خَمْسة رِجالٍ وثلاثُ نساءٍ، وسَبْعة أَطْفال.

الرّجالُ الخَمْسة هُم: (أحمد محمود جمعة- العمر ١٩ عاماً، حسان محمد جمعة- العمر ٢٢ عاماً، جاسم ابراهيم محمد- العمر غير معروف، محمود جمعة بن حج لطفو- العمر ٦٠ عاماً، ومحمد ابراهيم الحسان- العمر عاماً٣٥).

أمّا النّساء الثّلاث فهنّ: (عائشة الحسين الحمدو- العمر ٢٥ عاماً، أمينة محمود جمعة- العمر ٢٧ عاماً، وغزلة حسين الحمدو- العمر ٢٠ عاماً).

والأَطْفال السّبْعة هُم: (أسماء محمد حسين- العمر ١١ عاماً، حسين محمود حسين- العمر ٣ سنوات، ابراهيم محمد ابراهيم- العمر ٧ سنوات، خالد محمد ابراهيم- العمر عاماً١١. محمد الحمدو- العمر ٥ سنوات، محمد محمود حسين- العمر سنة واحدة، وسحر محمد ابراهيم- العمر ١٢ عاماً).

الدّيانة اليَزيديّة هِي دِيانة تَوْحيديّة مُرْتبطة بالزّرادشتيّة، ويُعْتبر الذين يَنْتمون إليْها أَقليّة مِن بَيْن الأقليّة العرقيّة الكرديّة في سورية، ويَشْعر المُنْتمون لِهذه الدّيانة بالخَطَر الكَبير مِنْ اسْتهدافهم بِسببِ مُعْتقداتهم الدّينيّة مِن قِبل «الدولة الإسلامية في العراق والشام» ، والجَماعاتِ المُسلّحة الأُخْرى. ولِهذا السّبب، فرَّ مُعْظم اليَزيديون مِنْ قُراهم، وانْتَقلوا للعَيْش في أَماكنَ أُخْرى في سورية، أَوْ لَجؤوا إلى بُلْدان أُخْرى، وذَلك وِفْقاً للمُقابلاتِ مَع الكرد اليَزيديين، والتي أَجْرتها مُنظّمة العَفْو الدّوليّة في الأَشْهر الأَخِيرة.

المرجع:

تمّت تَرْجمة المَقالة مِنْ مَوْقع مُنظّمة العَفْو الدّوليّة

خضراء الله: صمت في نهر من الأحلام

نجاح سفر

كَتَب الشّاعِر المَصْريّ محمّد عيد ابْراهيم هَذا الدّيوانِ بَعْد زِيارةٍ إلى سُورية عَام ٢٠٠٠، وَقَدْ تَأثّر كَثيراً بكَمّ الخُضْرة الذي يَمْلأ سُورية، ولِذَلك أَطْلق عَلَيْها اسْم «خَضْراء الله»، وجَاءَ هَذا الدّيوانُ ثَمَرةً مِن هِبات البَلد الذي آلَ اليَوْم إلى الخَرَاب والفَوْضى وأَعْلى مَعَاني الديكْتاتُورية. وقَدْ أُقيمت نَدْوة نَقْديّة للدّيوانِ في طَبْعته الثّانيّة عَن دَار رَوَافد في القَاهرة، شَارَك فيها كلّ مِن: (النّاقد الدّكتور شاكر عبد الحميد وَزير الثّقافة الأَسْبق، والشّاعِر الدّكتور أمجد ريان، والشّاعِر النّاقِد فتحي عبد الله. كَمَا أَدَار النّدْوة الشّاعِر عادل جلال).

وقَدْ حَاوَل (عيد) أَنْ يَكْتب تَصْنيماً للمَكَان ولِشُخوص المَكَان، بالرّبْط بَيْن المَعيشِ واليَوْميّ والأُسْطوريّ وَالبَلاغيّ مَع الانْغماس في التّاريخ الثّقافيّ للمَكَان، في سَعيٍ منْهُ لصِنْع قَصيدَة نَثرٍ مُفَارقة للسّائد، حَيْث يَنْطوي كَثير منَ القَصَائد عَلى نُتَف مِنْ حِكَايات يَضَعها في سِياقٍ مُخْتلف مِنْ أَنْماط قَصيدةِ النَثْر، حتّى أَنّه يُحذّر القَارِئ قَبْل انْخِراطه في عَالَم الدّيوان مِنْ وُجود شَخْصيّات حَقيقيّة لَكنّها مَعْرفيّة، لا تَرْتبط بِشَخْص أَكْثر ممّا تَرْتبط بِسِمةٍ منْ سِمَات المَكَان.

في البِدّاية تَحدّث الشّاعر النّاقد أمجد ريان عنْ عَالَم الدّيوان، فَقَال: (عيد) لَديْه حَساسيّة مُفْرطة تجَاه اللّغَة العَربيّة، فَهُو مُتأمّلٌ دَقيقٌ لِطَبيعة اللّغة، حَيْث تَتَرَدّد جُملُه الفِعْليّة والاسْميّة بِصُورٍ سَريعةٍ مثْل طَلَقات الرّصَاص، يَتَحدّى بِها سُكونيّة القَصيدة القَديمة. ويُريدُ أَنْ يُشكّل رُوحاً انْفعاليّةً مُتحرّكة، فيها مُونتاج سَرَيع بِما يُمَكّنك أَنْ تَقول عَنْها إنّها نَوْعٌ مِنَ القَطْع المُتّصل أَوْ الاتصال المُتقطّع.

كَمَا تَجد مَعَانيه غَيْر مُكْتملةٍ أَحْياناً، مَثَلاً مُبْتدأ بدون خَبَر، أوْ مَعْطوفٍ بدونِ مَعْطوفٍ عَلَيْه. فهُو يُقدّم مُنَاوراتٍ ومُغَامراتٍ لا تَكلّ، يُريدُ مِنْها تَغْيير بُنْيان اللّغة العَربيّة، فهُو يَكْره التّرْثرة في اللّغة والنّحْو، مِثْلما وَرَد في قَصيدة «حَامي اللّسَان»، حَيْث يُورِد تَساؤُلات مُتكرّرة تُثْري الرُّؤْية الشّعْرية، وتَرْتبط بالقَضَايا الوُجوديّة، ولَديْه دَلالَات مُتَعدّدة ومُتَداخلة في الوَقْت نَفْسه، وقَدْ يَقُوم بالتّقْطيع المُتّصل للإيحَاء بشعْريّته الخَاصّة المُرْتبطة بِتَجْربته.

كَمَا يَعْتمد الشّاعر عَلى المَجَاز اللّغويّ والمَجَاز المَشْهديّ، حَيْث تَتعدّد الدّلالة لِمُواجَهة السُّكونَ التّاريخيّ للقَصيدَة، وهَذه الثّنائيّة الضّدية مُرْتبطة بالْحَدَاثة، وأَدّت إلى الدّمْج بَيْن الخَيْر والشّر في عَلاقةٍ تَفَاعليّةٍ للوُصُولِ إلى مَعَانٍ جَديدَة. أمّا عَن ارْتباطَه بالحَدَاثة فَيَرْتبط بالحِسّ الشّعْبيّ مثْل قَصيدَة «قَناةُ العَاشِق» التي يَبْدؤُها بِعبَارة «كَان يا ما كَان»، ليَقُوم بإظْهار العَلاقة بَيْن التُّراث والحَدَاثة.

لَكنّ الشّاعرَ يُؤَكّد دَائِماً عَلى المَعْنى الحِسيّ كَشَاهد عَلَى الحَيَاة، مثْل قَصيدة «تَعيشُ الرّوميّة». فَهي نَصٌّ حَدَاثيّ، نَصٌّ غَازٍ في كلّ اتجاه، يَغْرف مِنَ التّاريخ والفَلْسفة، يَقْتحم الوَعْي ومَا تَحْت الوَعْي، يَرْفض الأَفْكار المُسبَقة ويَبْدأ مِنْ جَديد، نَصٌّ يُمثّل نَقْلة مُخْتلفة في الفِكْر الجَماليّ والشّعْريّ.

ثمّ تَقدّم الشّاعر فتْحي عبْد الله بِبَحْث في هويّة الدّيوان، فَقَال: «ظَلّ الشُّعَراء مُرْتبطين بِدَرجة أَوْ أُخْرى إلى مَا يُمْكن أَنْ نُسمّيه «عَسْكرة الخَيَال»، حَيْث خَضَع الشُّعَراء لسُلْطة الدَّوْلة في كَثيرٍ منَ الأَحْيان، ولَمْ يَنْجُ مِنْها غَيْر الشّاعر حلْمي سالم، والشّاعر محمّد عيد ابْراهيم، (حلْمي) بخَيَاله الشّعْبيّ و(عيد) بخَيَاله الأَرْسْتقراطيّ، ويُعَدّ (عيد) أَحَد شُعَراء المَوْجة الثّالثَة مِنَ حَدَاثة النص، وقَدْ انْحازَ مُبكّراً لِنَمَط قَصيدَة النَّثْر في أَشَدّ اقْتراحَاتِها صُعوبَةً.

وقَدْ ظَهَر تَقَاطعه مَع الوَاقع المُعَاش في مُعْظم النُّصُوص لَكنْ بطَرِيقة مُتَعاليةٍ أَحْياناً، وفَاحَشةٍ أَحْياناً حين تَرْتبط بالجِنْس مثْل قَصيدة «فَاتن المَجْنونة» التي تَقُوم عَلى الوَقَائعيّة والتّفَاصيل اليَوْميّة. واعْتمَد الشّاعِر هَذا البِنَاء المُحْكم في مُعْظم القَصَائد عَلى أَكْثر مِنْ تَقنيّة، كالتّعْداد أَوْ الحَصْر، فالبِنَاء يَقُوم عَلى التّداعي الحُرّ، إلاّ أَنّ رِغْبة الشّاعر في السّيْطرة عَلى جُمْلته بحَيْث لا تَكُون مُتّصلة الدّلالة أوْ اللّفْظة مَع مَا قَبْلها أَوْ بَعْدها جَعَل هَذا الحَصْر أَوْ التّعْداد كَأَنّه جَاءَ مُنْفصلاً، فالجُمَل بِدُون ضَوَابط أَحْياناً، في تَداعٍ غَيْر مُتَوقّع مثْل «دَوْرة المِرْوحة».

أمّا التّقنيّة الثّانيّة فهي سَيْطرة الجُمْلة الإسْميّة فيما يُشْبه الإطْلاق والتّجْريب وأَبْعد مَا تَكُون عَن الحَدَث، يَسْتعملها بِشَكْلٍ مُفْرط في الدّيوان،

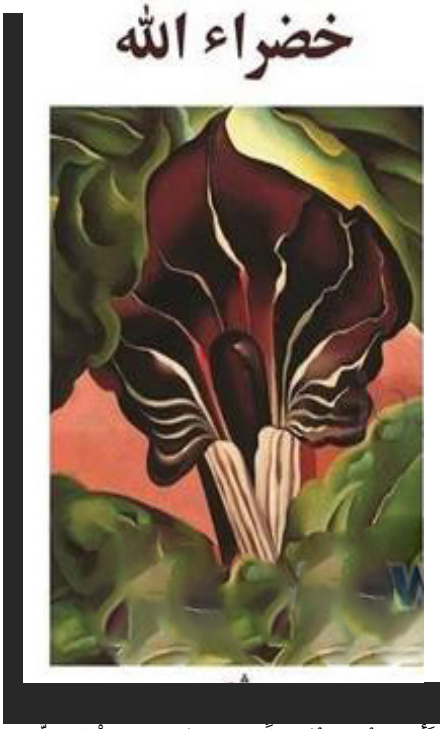

وتَأْتي الجُمَل مُتَتاليةً لا يَرْبطها غيْر رَغْبة الشّاعر في خَلْق مَنَاخٍ لُغويٍّ مُعيَّن لِتَوْليف دَلالة هَذا الطَّقْس، كَمَا في «فَانْتازيا أُمّ البَنَات». وقَدْ أَحْدث هَذا نَوْعاً مِنَ التّراكُم شَوّش عَلى تَطوُّر الدّلالةِ في بَعْض القَصَائد. شِعْريّة (عيد) برُغْم تَتَابعها، وتَمَايزها، وتَرَاكمها، تُمثّل هَامشاً في التّجْربة المَصْريّة، لَيْسَت مُتّصلة بالتّجَارب السّابقة، ولَمْ تَخْلق امْتدَاداً في المَوْجات التّالية.

وكَانَ مِسْك الخِتَام النّاقد د. شاكر عبد الحميد الذي تَحدّث عَنْ المَضْمون النّفْسيّ في قَصَائد هَذا الدّيوان، حَيْث يَسْتخدم الشّاعر اللُّغَة بِطَرائق تَخْرج مِنَ المَألوف إلى غَيْر المَألوف، يَكْسر التّوقّعات، فالمَعْنى مُؤجّلٌ والإشْباع مُرْجأ. تَجَارب في اللُّغة، والأَصْوات، واللّسَانيّات، ومُحَاوَلات مُسْتميتة لاسْتكنَاه أَعْماق اللُّغة واسْتبارها وجَعْلها تَنْطق بِما لا تَنْطق بِه إلاّ للعَارِفين والخَارجينَ عَنْ كلّ ما هُو مَطْروق أَوْ يَسير، كَأَنّه يَتأمّل ذَاتَه منْ خِلال كَلمَاته، أَقْرب إلى مَا يُسمَّى مَا قَبْل اللُّغة: مَنْطقة الهَمْهَمات، والجَمْجَمات، والتّراتيل.

يَتَلاعبُ (عيد) بالأَصْوات، بالصّوامت، والصّوائت، بالحَرَكة مَع الآخَر، بالعَلاقَات المُلْتبسة، بالحُبّ والجِنْس، حَالَات منَ الصّمْت، وتَغْريبٍ للمَعْنى البريخْتي. وتَرْتبط رَمْزية اللّسانِ لَديْه برَمْزية الفَم الذي يَرْتبط بالكَلَام، والكِتَابة، والنُّطْق. اللّسان يَعُود إلى عَالَم الطُّفولة، فهُنَاك قَصَائد أَسْنانيّة، وقَصَائد شِفَاهيّة. قَصَائد تُرَكّز عَلى تِيمة الشِّفاه في عَمَليّة الامْتصاص، والرِّقة، واللّطَافَة، مثْل شَخْصية وِداد، وفَاتن، ونَشيد رَعويّ، وقَصَائد

فيها عُنْف مَع الذَّات بالمَعْنى الإبْداعيّ، فالشَّاعر يُعَاني مَع الصُّوَر والكتَابَة، للوُصُول إلى إبْداع عَالَم مَليءٍ بالتَّفَاصيل والمُفْردات كَأنّها مَوْجودة في نَهْر الأَحْلام، نَهْر أَحْلام المُفْردات. لَكنّ الذّات الإبْداعيّة تَخْرج مِنَ هَذه الحُدُود والقُيُود بالسِّبَاحة في نَهْر المُفْردات، والتَّحْليق في عَالَم الصُّوَر، وفَتْح بَوّابات الذَّاكرة، والقِراءَات واسْتحْضار شُخوصٍ مثْل لوركا ونيتْشه وشولوخوف الخ، في كَثَافةٍ ثَقَافيّةٍ بِما لا يُمْكن إنْكاره في هَذا الدِّيوانْ.

وفي قَصيدَة «حَامي اللّسَان»، نَجِد عَلَاقة اللّسانِ باللُّغَة، والحَرَكة، والمَرْأة، والرَّجل، والجَمَال، والجَسَد، والمَوْت، ولأنّ اللُّغة بِطَبيعَتها أُنْثويّة، بَيْنما الكَلَام ذَكَريّ، تَبْقى المَرْأة عَلى حَالِها، ويَغيبُ الرَّجل، المَرْأة هي الحَيَاة، والرَّجُل هُو المَوْت، والمَرْأة هي الشَّفَتان، والرّجُل هُو اللّسَان وبَيْنهما تُوجَد الأَسْنان، وهُنَاك صِراعٌ بَيْن الشَّفتيْن واللّسَان عَبْر الأَسْنان، ومِنْ خِلالِ هَذه المَنْطقة يَأْتي العَالَم الحسّي كَمَا يَتَذوّقه الشَّاعر وَيُدْركه، فهُنَاك مَفْهوم صُورَةٍ وكَلَمةٍ ومِفْتاحٍ يَدُور حَوْله العَالَم.

وقَدْ يَلْجأُ الشَّاعر إلى المُبَالغة في التَّجْريد، وإلى عِقَاب اللُّغَة وإلى قَتْلها في مُحَاولاته للّعبِ بِها. قَدْ يَظُنّها قَريبَة بَيْنما تَكُون مُوغِلة في البُعْد، تُصْبح مَوْجودة في ذَاتِها وهِي نَوْعٌ مِنَ الانْعكاسيّة التي تَرْتدّ عَلى لُغَته وكَأَنّ العَالَم غَيْر مَوْجود -لَعبٌ باللُّغَة، لَعبٌ بالذَّات- قَدْ يَقْتل اللُّغة وقَدْ يُصْبحان كَيَاناً مُتّصلاً، فيَخْرج مِنَ الكِتَابة إلى عَالَم أَخَر مثْل القَصَائد المُرْتبطة بالمَرْأة والجنْس، وما شَابَه.

ومِنْ أَجْواء الدِّيوان، نَقْتطف هَذا المَقْطع مِنْ قصيدة «نِهايَة الكُرْديّة»:

عدالةٌ رخوةٌ تُحتَضَرُ،وصوتُ سُعالٍ وولاّعةٌ تشتعل.

قلمٌ صغيرٌ في الزحامِ يحُكّ باطن فخذَيها.

حلوى بديد انِ من السماءِ،ومحبّةُ الوطنِ فروضٌ:

«أنا وأنتَ، وجَدنا البقاءَ».

غيرُ مُجدٍ أن تنامَ، وطَقّتنا فورةٌ من كلام «انقلُوها».

في المستشفى، رخامٌ بارد وقطعةُ زبدٍ وتفاحةٌ فوقَ صينيةٍ.

صداعٌ كأنّهُ حبلُ إعدامٍ، وخالاتٌ حولَها كالمَجَرّة.

بعدَ أيامٍ،

تصعدُ السّاعةُ النحسُ. يرتدُّ هيكلُها للوراءِ، بعكسِ الأملِ.

جوكر الحرية لقمان ديركي

عبْد الفتّاح حوّا.. أبو العيس.. الجوكر.. لنْ يمرّوا .. لنْ يمرّوا.. عبْد الفتّاح حوّا.. ضرْبة حرّة مباشرة، وهدف للحرّية، عبْد الفتّاح حوّا..صخْرة الدّفاع، وثعْلب الوسَط، وقلْب الهجوم العلني والخفي، والظّهير، ببساطة يردّدون أنّه يسْتطيع الوقوف بيْن الخشبات كحارس مرمى، وكان ـ أللّه يرحمه ـ من مشجّعي إيطاليا في كأس العالم ١٩٨٢ ، أللّه يصلحه ما كان مع البرازيل، اقتناه فريق الجيش من نادينا الحرّية بالصرماية ولم يعده إلا بداية الثّمانينات، هو وأحمْد قدور صخْرة الدّفاع المتحرّكة أبو اصْطيف، وهو أيْضاً من نوْعيّة الجوكر، قلْب دفاع، لاعبْ محْور، قلْب هجوم، إنّه أبو اصْطيف الذي تتحرك هيْبته أمامه أيْنما كان، وهو من شويطة الحرّات المباشرة، بسْ بغياب أبو العيس، إي إذا أبو العيس موْجود ما بيقرّب أبو اصْطيف عَ الطّابة، معْ أنّو أبو اصْطيف أغْنى منْه، قال بيقولوا عنْده كازية، مشان هيك جمْهور الإتحاد الأهْلاويّة بيقولوا عنْه بيّاع مازوت، فبيردوا عليهن جمْهور الحرّية أنّو عنْده كازية يا جدْبان..مو بيّاع مازوت، وكمان خدم بفريق الجيش معْ الحوّا وراح بعدها اخْترف بنادي بلبْنان، يمْكن الهومنتمن الأرْمني، وهلأ رجع للنّادي اللّي بذره، نادي الحرّية اللّي بذر لاعبين أكْثر ممّا بذر الفلسطينيون الأوْلاد مشان حكّ العوْدة خيّا، ترى نحْنا لساتنا مصدقين ها، حكّنا والا مو حكّنا؟! حقكم والله حقكم، إي وين كنّا يا شباب، كنّا ببيّاع المازوت، قصْدي صاحب الكازية، إي..وكان عبْد الفتّاح حوّا يا سادة يا كرام نجْم المنْتخب الوطني وجوكر نادي الحرّية الذي قال عنه عدْنان بوظو قدّست الكرات سرّه: لنْ يمرّوا..بيّاع خضْرة، بسْ بدكّان مو عَ العَربانية، معْ أنّو كلْ حلب بتعرفه، أصْلاً صورته محْطوطة على جامْ اسْتديو السّلام خلف الفنْدق السّياحي. وشو صورة معلّم، تقول فرانْكو كاسْباري، عالبوز اللّي عامله أخوكم أبو العيس، ساند دقْنه بإيده وهو ينْظر إلى الأفق البعيد على طريقة فرانكو داني هالمرّة، معْ فرْقة شعْر تؤكد انحيازه إلى فرانْكو الدّاني أكتر من الكاسْباري، لكنْ نجوميته لمْ تأْخذه إلى ما لا يشاء، فاكْتفى بتأْمين معيشته عالقْد القدْ، وتحْت شعار مسْتورة والحمْدلله، مرّة ارْتطمت كرته المباشرة بعارضة مرْمى سمير ليْلى الذي طار إليْها بمؤازرة جماهير الإتحاد الحاشدة وبقي طينها معلّماً على العارضة حتّى نهاية الموْسم، لأن ما منْ أحد محاها، وكان جمْهور الحرّية يشيرون إلى علامة الكرة الطّينية على عارضة مرْمى الإتحاد وقْتها ويردّدون: هيْ العَارضة اللّي سلخه ايّاها أبو العيس لليْلى.ويتبع في الحلقة الثانية سرد هذه الرّواية المشوّقة عنْ الكرة المدْعوسة. وفيها رضْوان الشيخ حسن ينال لقب الجوكر في فريق الحرّية وكالعادة يسْحبه فريق الجيش عَ الجيش هههههههههههههه، وجوزيف ليّوس يحوز على لقب الجوكر فيما بعْد بداية الثّمانينات، وكالعادة سحبه النّمل، شحطوه عَ الجيْش، وعلي الشّيخ ديب الجوكر الذي وصلت خطواته إلى أرْض اليونان بيْنما هو الآن في قرْيته على الأرْجح لأنّ بيْته في صلاح الدّين بحلب قَدْ ذهب مع القصْف على الأرْجح. وأحْمد بصلة الذي اخْتفى شأْنه شأْن أحْمد بيبي منْذ أنْ اعْتزلا الكرة..أما جوكر نادي الحرّية جورج مناز فقدْ رمت به الأقْدار وأصوله السّرْيانية إلى السّويد قبْل عشرة أعْوام .. بيْنما لا نعْرف أين بقي حاجي قادر آخر اللّاعبين الجواكر أو الذين يلْعبون في أكْثر منْ مرْكز؟!هلْ هو في حلب..أمْ في منْبج..أمْ غادر مع الشّعراء منْ مترددِ.

(الموجز السينمائي لحياتكِ وحياتي، كما روته الشاشة الكبيرة للعتمة)

نص لـ : مصطفى تاج الدين الموسى

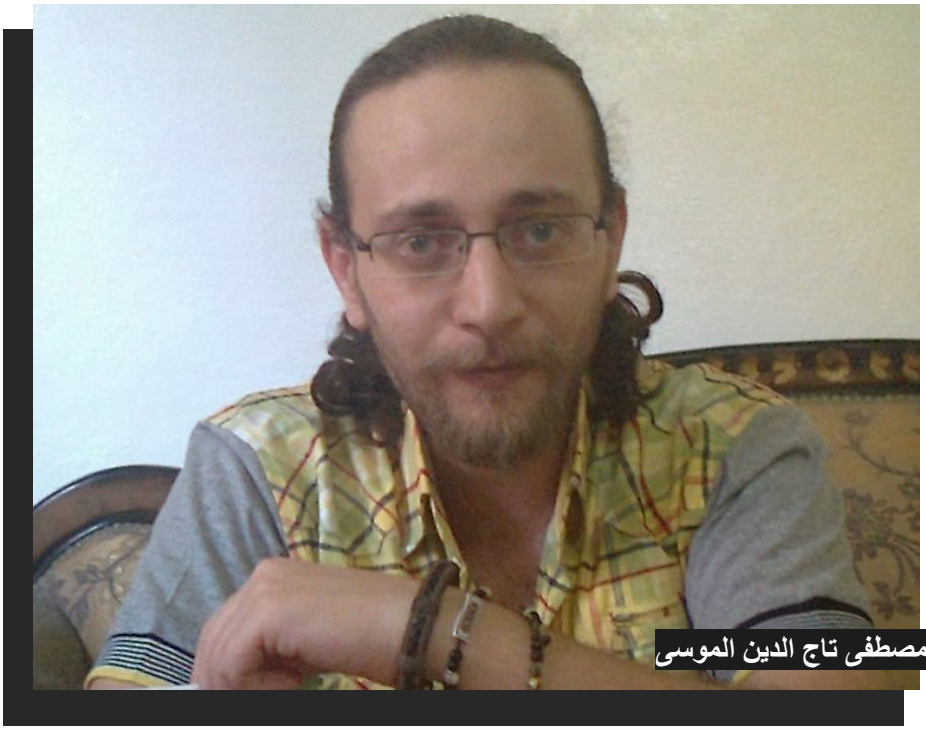
مصطفى تاج الدين الموسى

رغم كل ما حدث بيني وبينك، لا أزال أحبكِ في كل تقمصاتكِ السينمائية، وعند نهاية كل عرضٍ سينمائي، أظلّ في الصالة حتى يخرج الجميع، لأكنسّ بقشّ قلبي ما قد تناثر من صوركِ بين المقاعد.

ذكريني، نسيتُ في أي فيلمٍ تعرفنا على بعضنا.. هذه الحرب الطويلة جعلت الأفلام تدخل في اشتباكات غامضة داخل ما تبقى من ذاكرتي.

تبدو لي الحياة بعد كأسين من عرق الريان وبضع سجائر، مجموعة غير متناهية من الأفلام الكئيبة. حذرتكِ طويلاً من المشاغبين الثلاثة (فيلليني/ هيتشكوك/ بولانسكي) إنهم يريدون ــ بدون لفّ ودوران ــ تقاسم سريرك، والعبث ــ بحجة الفكرة ــ بتفاصيلك الأنثوية المدهشة.

فضحك (برغمان) سيكولوجياً رغم أنفَي الرفيقين (غودار/ وغافراس)، وحده الشيخ (تاركوفسكي) أنقذك بتعويذاته الروحية.

لم أخف عليك عندما حملتك (الموجة الفرنسية الجديدة) لتقذف بك إلى أحضان (الواقعية الإيطالية الجديدة)، فصديقي (تروفو) طمأنني بأنه سيخيط لك تنانير قصيرة، كلما عراكِ قليل الأدب (بازوليني)، الذي يتجاهل دائماً بحق أنوثتك كل (قوانين الدلال) وكأنك فقط (راقصة التعري). يتساءل مقهورون..

أنت التي تغيرتِ، وأنا كما أنا منذ (الأبدية ويوم أُرتِّلكِ خيالاً في (موقف الباص) أو في (كبينة الهاتف)، همستُ لك ذات سكرة: (٢١غرام) أقل بكثير من الوزن الحقيقي لروحك، روحك التي بلغت نشوة الكمال في (البجعة السوداء).

عندما انتحرتِ في (نصف القمر) أنا وسجائري خرجنا في جنازةٍ مهيبة نشيع فيها ذاكرتك الميتة في (صانع النجوم).

سحرني خصرك الطري في (تانغو) فغضب مني (جيفارا) وقد أغوته مفاتن الثورة أكثر من مفاتنك في (البعض يفضلها ساخنة) وتركني أسافر وحيداً إلى جسدك على (تراموای الرغبة) يا (اسم الوردة)، فجسدك أشهى من (طعم الكرز) كما جاء في (الألواح السوداء) وعلى هذا تشهد (المعتقدات الأرجنتينية).

حتى أن السرطان تسلل إلى قلبي قبل أن يتسلل لروحك بمشهدين في (كل شيء عن أمي) ولأجلك بكيتُ كثيراً وأنت تحتضرين وحيدةً في كهفٍ مهجورٍ من الضوء في (المريض الإنكليزي) فصرخت بوجه القدر:

ــ كيف تموت من كان قلبها مرتفعاً أكثر من (مرتفعات وذرنخ)؟..

يحلو لي أن أسميك (لوثيا) ويحلو لك أن تسميني (فرانكشتاين) وتدلعيني بـ (بينوكيو) يا (حبيبتي هيروشيما).

كرهتكِ كثيراً وأنت تسألينني في (مدام بوفاري بغرورك البرجوازي: من أنت؟.

فأجابكِ جدي مارلون براندو بأن باح لك بكل أسئلة وجودي وضياعي في (آخر تانغو في باريس).

هل تعلمين يا (لوليتا) أنني في زنازين الجهات المختصة، اكتشفتُ كم كانت (الحياة حلوة) في زنازين (شاوشينك).. يتساءل مدفونون..

كان لابد لي من أن أكره بيتكِ معكِ، في (منزل الرمال والضباب) وكل بيوتنا في سوريا حلت عليها (القيامة الآن).

لم أسامحك لأنك قتلتني في (المرأة في البيت المجاور)، فثأرتُ منك لأقتلك في (حياة الآخرين) ثم بكيتُ على جثتك متذكراً الـ (٤٠٠ضربة) التي تعرضتُ لها في طفولتي على يد (ماما روما) بكيتُ وروحكِ تلوح لي بوحشة من فوق (جسور مقاطعة ماديسون) وأنا أهذي بقهر (وداعاً بافانا).

لا أشبهكِ، ولا تشبهيني..

أنا حيٌ أشاهد الأموات في (الحاسة السادسة) وأنت ميتة تشاهدين الأحياء في (الآخرون).

أتذكر يوم كنت أغرق بسببك مع ركاب الدرجة الثالثة في (التيتانك) فمددتُ يدي عبّر الشاشة الكبيرة لـ عصام كنج الحلبي حتى ينقذني، فناولني سيجارة بلا مبالاة وهو يقضم بنهمٍ (التفاحة) وتمنى لي غرقاً جميلاً، ثم قال لك:

ــ انسيه.. مصطفى (ذهب مع الريح)..

شكوتكِ لإله السينما، كم كنت برجوازيّة وكم كنت أنا تروتسكيٌّ النزعة، لهذا تهشمت جمجمتي بفأسٍ على الرأس في (فريدا) بعد أن تجاهلت كل طفولتي في (مالينا).

أنا لست شبيحاً كريهاً لأصمت بقذارة وأنت تخونيني مع ابن الجيران في (القارئ) ولست بطة لأحتفظ بحق الرد، لهذا خنتك مع كومة نساء في (كازانوفا).

ولهذا شتمتكِ أيضاً.. وقتها، جلستِ إلى جواري في عتمة الصالة السينمائية، لتخبريني عن تاريخك النضالي الطويل من (ساكو وفنزاتي) حتى (الطبقة العاملة تذهب إلى الجنة) مروراً بـ (المدرعة بوتمكين).

يكفينا شعارات، أنا وأنت نكذب على بعض، فمنذ ١٥ أذار صرخنا معاً (وداعاً لينين) وتركنا كل الـ (حمر) حيث أخذنا (سائق التكسي) لـ (لقاء جوبلاك) فتصادمنا مع شبيحة (كل رجال الملك)

الذين هم (قتلة بالفطرة).
تاريخك النضالي يا عزيزتي كله صار الآن وهماً على وهم، مجرد غبار تكفيه نفخة متواضعة ليختفي.
لهذا عاقبتك بأن قطعتُ إصبعك في (بيانو)، ثم استخرجتُ من جثتك كل (العطر) لأعيش مع (عطر امرأة) وحيداً في (غرفة الابن) داخل (منزل الأرواح) في حارةٍ داكنة من (المدينة الصامتة)، ولأرقص بوحشة كـ (زوربا) في (المخبأ السري) (تحت الأرض).
ثم اكتشفتُ متأخراً وبندم، أنني لست (صائد الغزلان) وأنك أنت كذبةٌ كبيرة كـ (سيمون) أمارس معك (الخطايا السبع) كأي (ناس عاديون)، وأن زمننا هذا هو بامتياز (زمن الحمير المخمورة).
تعبتُ..
تعبتُ، وأنا أطاردك فيلماً فيلماً.. وكأنني مجرد (كلب أندلسي) يقفز من (النافذة الخلفية) تحت (المطر) ليبحث مع (أطفال السماء) عن (راقصة في الظلام) قبل أن يورطني (المواطن كين) بمشاجرة عبثية في (نادي القتال).
تعبتُ..
وأنا بعد كل عرضٍ سينمائي، أكنسّ بصمت مع شخصياتي المقهورة ما قد تناثر من أفراحكِ وأحزانكِ، وما قد تناثر من قلبكِ وجسدكِ عن أرضيات صالات السينما.
لكن.. وحتى هذه السيجارة، لم أعثر عليك أبداً في حياتي كلها.
حياتي..
التي هي فيلمٌ كئيب.. أخرجه الله عن سابق إصرارٍ وترصد، وتدخين..

(تنويه)

١ــ كل ما بين قوسين هي عناوين لأفلام سينمائية عالمية، أو أسماء لمخرجين عالميين، أو مدارس سينمائية عالمية.

٢ــ عصام كنج الحلبي: شاعر سوري.

مقال صحفي

عبود سعيد

حِين تَكُون الكتَابة وَاجبٌ كَتحيّة العَلَم في المَدْرسة، حِين تَكْتبُ وأَنْت تَتخيّل قارئاً واحداً فَقَط أَلا وهُو رَئيسُ التَّحْرير، خاصّةً إذا كُنْت مُتأخّراً في اليَوْم الخَامس والعِشْرين منَ الشَّهْر مَثلاً.
(صار ٢٥ الشهر وما بعتت المقال)...
هُنا يَخْطر في بَالِك مَلْيون رِواية، مَلْيون عُنْوان، آلافُ الأَفْكار، لا أَسْتطيع كِتَابة مَقَالٍ عَنْ أَية وَاحِدةٍ مِنْها، أَفْكارٌ عِبَارة عَنْ أَوْراق مُجَعْلكة مَلْقية في سَلّة المُهْملات الذي هُو رَأْسي.
أَنْظر إلى أَصَابعي التي تَرْتجف فَوْق الكيبورد، وأُفكّر: عَليّ أَنْ أَكْتب لأَحْصل عَلى بَعْض المَال، كُنْت أُفكّر أَنّ المَال لا يَأْتي إلاّ إذا كَانَت يَدَاك تَصْطحان لِسيفةٍ للجَلي عِنْدما تَعْمل في الحَديد مَثَلاً.
سَأَكْتب عنِ الشُّغْل، والشُّغْل يَعْني المَال، عِنْدما أَسْمع كَلمَة «شِغْل» أَتَذكّر الحَدّادَ، الدَّهّان، القَصّاب، الخَيّاط، البَلّاط، مُصلّح التِّلْفزيونات. مِنَ المُمْكن أَنْ تَحْصل عَلى النُّقود حِين تَرْتدي صَدْريةً مُلطّخةً بالدِّمَاء، وتَحْمل سِكّيناً حَادّاً طِوَالَ الوَقْت، أَوْ إذا كُنْت نَجّاراً، وغبَّارَ الخَشَب يَصِلُ إلى أُذُنك الوُسْطى، أَوْ مُصلّح تِلْفزيونات، مُضْطراً لأَنْ تَعيشَ مَع خَمْسين تلفزيوناً مُحطّماً عَلى رُفوف المَحلّ أَوْ الوَرْشة، هَكذا كُنْت أَرَى كَيْف يَجْني الإِنْسان المَال.
مَا كَان لِيَخْطر في بَالي، أنّ شَخْصاً ما يُمْكنه الحُصُول عَلى المَال إذا كَانَ يَعْمل «مُنسِّقاً» مَثلاً، أَوْ يَعْمل في «الديزاين» أَوْ كاتِب، أَوْ ربّما نَاشط، وهَل النَّشَاط «شِغْل»؟
يَقْفز ضَميري صَارِخاً:
شو شغل ما شغل يا زلمة، ضل حدا يكتب عن هي المواضيع، وشو يعني ما بتعرف الديزاين، وين عايش إنت يا زلمة، يعني معقول ما عاد تفهم أنّو المصاري ما عاد تطلع إلاّ يكون الواحد قصّاب أو حدّاد، يعني كل هالتكنولوجيا والتّطور ولسّا يعني مخك موجود عند القصّاب والدّهان، وين بدّك ترجعْنا عالقرون الوسطى، اكتبلك شي مقال حضاري يا زلمة يناسب المرحلة.
أُفكّر كَيْف يَعيشُ النَّاسُ داخِلَ سُورية الآن، عِنْدما تَأْتي الكَهْرباء -الغَائبة دَوْماً- في بَيْته لِمُدّة سَاعتيْن، أَعْتقد أَنّه يُفَضّل أَنْ يُشَاهد حَلَقة مِنَ الزِّير سَالم، أَوْ مُبَاراة اليَوْم في المُونديال عَلى أَنْ يَقْرأ مَقَالي هذا، إذا كَانَ يُسمَّى مَقَالاً فِعْلاً، أُريدُ أَنْ أَكْتب عَنْهم، أُريدُ..
يُقَاطعني ضَميري فَجْأةً:
معليش إنت تركلي النّاس يلّي بالدّاخل، ريّحلي حالك من هالقصّة، إنت خلّيك قاعد بمقالتك وبس، بعدلي عن هدول الجماعة، هدول الجماعة مو محتاجينك ويعرفون شو بدهم يساوون وشو يقرأون وعلى شو يتفرجون، يلّي فيهم مكفيهم، إنت انسالي ياهون وفكّرلي بمقالك، الزلمة ناطر صار ٢٥ الشهر، العمى تروح وتجي عالدّاخل يا زلمة، العمى استحي على حالك، فكرلي بغير شغلة...
سَأَكْتب شَذَرات عَن الزّعْبرة الثَّوْرية:
حِين زِعْبَرت إِحْدى الشَّخْصيّات المُعَارضة في إِحْدى القَنَوات الإِخْباريّة، غَيّرت أُمّي المَحطّة، وجَلَست تُشَاهد أوبرا وينفري.
الفَنّانة التي قَدّمت مَسْرحيّة عَن أَطْفال سُورية، زَعْبرت كَثيراً عَلى الخَشَبة، ووَضَعَت المَنَاكير الأَحْمر على أَظَافر قَدَميْها رَمْزاً للدِّماء.
كَتَب أَحَد النُّشَطاء عَلى صَفْحته في الفيسبوك: أَنَا أُزَعبر، إذاً أَنا مَوْجود. ونَالَ آلاف اللايكات مِنَ المُزَعْبرين أَصْدقائه، وأَصْدقاءَ أَصْدقائه.
بدك تكتبلي عن الزعبرة وإنت صرلك ساعتين تزعبر ولسا ما عرفت تكتب مقال، على أساس يعني حضرتك مو مزعبر؟ ما يمشي الحال، روحلك على غير موضوع، قال زعبرة قال.. قاعد يزعبر ولسّا يقلّي زعبرة..
عَن رَمَضان، وعَن المَشَاريع الخَيْريّة والإِغَاثية لأَهْلنا في المُخيّمات...
عَن المُغْترب السُّوريّ وعَلاقَتِه بِكَلام ابْن خَلْدون في أَنّ المَغْلوب مُولَع أَبَداً بالاقْتداء بالغَالِب في شِعَاره، وزيِّه، ونِحْلَته، وسَائر أَحْواله، وعَوَائده..
هَوَس الجِيل الجَديد بالهَواتِف الذّكيّة والدّرْدَشة عَبْر الواتْس أب، أَوْ مَا شَابه...
الكِلابُ يُربِّيها في أوروبا أَصْحاب الأَزَمات النَّفْسيّة وغَيْرهم، بَيْنما في مُجْتمعنا يَأْتي الكَلْب مَع المَزْرعة، والسَّيارة، وحِساب البَنْك...
سَرِقة الأَغَاني الثَّوْرية مِنْ شَوارِع الثُّوار إلى اسْتدْيوهات مِصْر، وبَيْروت، وغَيْرها مِنَ البُلْدان..
الإِسْلام الجَديد، وتَنَوّرة أُمّي القَصيرة..
يَعْني ما فيك تحلّ عن الثّورة؟ مسّوي حالك كاتب وبدّك تكتب مقالات، يعني وماسكلي الثّورة والمخيّمات وأهلنا في المخيّمات، هلّق يلّي بالمخيّمات صاروا أهلك؟ ولك والله عيب عليك، إنت كاتب، تخيّل ما في ثورة يعني ما بتكتب؟ يعني بس بدّي أفهم إنت بدون الثّورة شو بدو يصير فيك؟
ماشي على كل ابعت المقال وسوّي يلّي بدّك يا، بس يكون بعلمك إنو بس تخلص الثّورة إنت أوّل السّاقطين.

أرواح تحرس حديقة البيت

شعر : عارف حمزة

ما عادَ مُهمّاً

نموتُ في العتمة
نموت من البرد والحسرة
هذا كلّه ما عاد مهمّاً
ما دمتَ أنتَ
أنت الجميلُ والرقيق
ما دمت وحيداً وبهيّاً، هكذا، وأنت في ثياب الميدان
تذهبُ إلى الحريّة
ولا تعود .

أعواد الثقاب

لم أستخدم أعواد الثقاب في الشعر
استخدمتها في التدخين فحسب
وكانت رائحة الكبريت أقرب إلى قلبي من رائحة الغاز
رغم أن « سلفيا بلاث » كانت تحبّ عكس ذلك
وعندما كنتُ أقرأ لها في ليالي «الحسكة» الطويلة
كانت المدفعيّة تشاركني لذّتي
لذلك كنتُ أخرج إلى الشرفة ، ضد نصائح زوجتي والجيران
وأعوي بتلك الأبيات
عن سوء التفاهم مع العالم .

أرواح تحرس حديقة البيت

تقولُ بأنّ حياتهم صارت محطّمة
وبأنّ الأولاد يُريدون «الحلاوة بالجبن»
وبأنّهم لا يستطيعون الذهاب أكثر من حديقة البيت
توقِفهم الأرواح
التي تحرسُ حديقة البيت
وبأن أربعة ملثّمين خطفوا أخاها بعد العيد بيوم واحد
وبأنّ طفله ما عاد يشرب الحليب
وبأنّ زوجته تضحك على الشرفات
وبأنّ الرجال الذين على الحاجز الشمالي قطّعوه
إلى ليراتٍ صغيرة
وبأنّ أمّها تنام قرب الحاجز مثل ساترٍ رقيق
مثل ساتر وسخ ملفوف بقماش نظيف
وتطلب من الرجال الشجعان
أن يبحثوا عنه من أجلها
وتستعطفهم
بدم ابنها
المتخثّر
قرب أحذيتهم ...

ستبقى بقربك

النافذة مفتوحة
لكنّ الألحان لا تخرجُ منها
حتّى لو ضربتِـها
بالكمان الذي تعزفين عليه
ستبقى بقربك .

كم مرّة

تقولين بأنّكِ تُسبّحينَ لله طوال الليل
طوال عتمة الليل
وعندما أتصنّع النوم
أسمعك ترجينَه
كي يحفظ أخاك الذي ذهب إلى الحرب
كم مرّة سأقول لك أنّه مات ؟
كم مرّة ؟

ابتسمي صديقتي للموت

وداد نبي

لرّبما نموت موتاً طائشاً بهذه المدينة التي تغرق بالدمار والموت غاوٍ يحبُّ الجمال
لرّبما يعجب بنا جندي من أحدِ طرفي الحرب وهو يتفحّص الأحياء بين الأموات
فيدهش ُ لابتساماتنا النضرة. ويحن قلبهُ لصورة أحبة بعيدين فلا يشوّهُ وجوهنا الجميلة
ويدفننا دفناً يليق ُ بصديقتين لدودتين للحياة والسلام .
ابتسمي صديقتي
لرّبما تكون ابتسامتنا هذهِ آخر صورة بألبوم الحياة بالبلاد، بلادُ اليباب الكامل
لرّبما تُوضعُ صورتنا هذهِ بعد خمسين عامٍ بمتحفِ الحرب بزمن السلم والحرّيات .
لرّبما يمرُّ الكثير من الزوار أمامنا ..كم سيبتسمون لنا ..ويتعجبون للحزنِ المقيم
كالحمامِ الآذري بباحة عينينا ، لن يدركوا ماذا شاهدنا هُنا ..بقلب حلب
كيف ثملنا أعيننا لكيلا يقتلنا غبار الأنقاض وهو يتساقط على الأيدي الصغيرة
لأطفالٍ كانوا يلعبون بالحديقة الصغيرة حينما قرر الطيارُ إنزال البرميل بتلك الحديقة
ابتسمي صديقتي..
لرّبما مرّ أمام قبرنا الصغير هُنا ببلاد الغربة والمنفى القاتل ، حفيدُ الجندي الذي دمر بيتنا في ذلك الركن الصغير من العالم
لرّبما يدهشُ من الغبار الذي يعلو شواهد قبرينا
لأنّهُ لن يعلم أبداً أنّ جده قد ألحق بنا كلّ أقربائنا وأحبتنا
ولم يعد لنا من أحدٍ ليهتمّ بزيارة القبر ووضع باقة زهرٍ كل شهرٍ أو سنة
ابتسمي صديقتي...
ذات سلامٍ حينما تلاعبُ الشمس جدائل بلادنا ومدننا
بينما هواءُ الحرّية يشاغب البحر بقبلة خاطفة
ستكون روحينا هُناك تحلقُ كالغيمِ
بتلك البلاد ..تتأملُ صدى رنين الحرية وهي تتجولُ بتلك المدن التي تركناها خلفنا .

القناص / IV

ليس لصناعة الفرح بل لقتله

عبّاس علي موسى

نصّ بعنْوان «القنّاص»، وهُو يُعْنى بفَلْسفة الرّصَاصة عَنْ طَريق الأَدَب، والقَتْل بِعَينيْ القنّاص الذي يَقْتلك أَحْياناً، وفي أَحايين أُخْرى يَقْتل عَدوّك، أوْ يصيرُ نافذةً على هَذا العَالم.

هَذا النّصّ عِبَارة عنْ فاتِحةٍ لتَجْريد الطّلَقة مِن الرّصَاص وحَشْوها بالحِبْر. هذا النّصّ جزءٌ مِنْ نُصوصٍ عَديدةٍ تَحْمل العُنْوان ذاته أُريد أنْ أُحيلها إلى القرّاء حَيْث لَمْ يَعُودوا قرّاءً فَقطْ، إنهّم ثَائرون.

I

ما الذي يحملكَ لتكونَ قنّاصاً؟! مرَّ السؤالُ أزيزاً إلى يساري.

وما الذي يحملُ العالم ليكونَ الرصاصُ لغةَ التخاطب فيما بينهم

وتنكأ جرحاً في ذراعي، وما الذي يحملني لأكونَ أي شيء آخر في ظلّ كل هذا الدمار، لم أستطع أن أصير جداراً، الجدار نأى بحمل معنى الحماية.

لم أستطع أن أصيرَ علماً فتخونه الجهات..

لا، ولا أغنيةً منكسرةً للحالمين، حين أمسيتُ قنّاصاً طار عن يميني ألف خفّاش، وما الذي سأفعله بالفراشات التي لا تتقن الإسراء في العتمة.

II

كتعبيرٍ عن الفرح يطلقون رصاصاتهم المسعورة، فتقتل الفرح في عقر روحه، الرصاص ليس لصناعة الفرح بل لقتله، قالها طبيبٌ!

وكأنّ ثمة رصاصات غير مسعورة، أيها الطبيب.

III

الشخوص التي تمرّ أمام عينيّ هي كائناتٌ تمضي إلى حتفها، لكن ما كان ذنبُ تلك القطة في استلقائها ميّتةً أمام قنّاص.

وما الذي يجعلُ أمر قطة وإنسانٍ في كفتي قنّاصٍ متأرجحتين هكذا؟!

فلاش باك/ مشهد عن ذاكرة أحد الأصدقاء؛ لم يكن قنّاصاً ـ ليلي/ في الشارع:

جرذٌ يجري في الشارع المعتم، وسيارةٌ مجنونة تصوّب أضواءها الثملة على الشارع، كان كلّ ما خلّفته السيارة متماوجاً، الغبار، ذرات العتمة متداخلة مع الأضواء الثملة، وهرجنا في الجوار، كان ثمة شيء واحد هادئ، وحركاتٌ نهائية استسلاماً للموت.

ماتَ الجرذ أخيراً، وصوتُ أحدهم بدا خافتاً: «لقد كانت الروح تدبُّ فيه قبل لحظات»

IV

ربما سأصنع عقداً آخر من الرصاص، ربّما أصنع أكثر فأكثر من رصاصاتي هذه، وسأحمل لكلّ من أحبّهم عقداً، «كلّ رصاصة في عقدٍ أصنعه هي فرصة لنجاة أحدهم»

حين ينتهي القتلُ سأفتتح محلاً لصناعة أشكال وعقود وقلائد ومسابح من رصاص.

غروبُ شـمسكِ فوق المدينة

عبد الكريم بدرخان

كان وجهُـكِ شمسَ المدينةِ
يغمرُني بالضياءِ الشفيفِ
ويُرخي على وجنتيَّ خيوطَ الذهبْ
حين شَـعرُكِ ينسابُ فوقي
وتهتزُّ خصلاتُهُ مع نسيمِ الطربْ
ربما كان حلْميَ أكبرَ مما تصوَّرَ عقلي الصغيرُ
وكانتْ نوارسُ قلبيْ تحوّمُ حولكِ
تبحثُ عن شاطئٍ هادئٍ
في سنيِّ التعبْ
في المدينةِ
ظلّين كنّا.. لحلْمٍ يسابقُنا في الشوارعِ
هذي الشوارعُ تعرفُ أنَّ يديْ
تمطرُ الشعرَ إنْ لامسَتْ غيمةً من يديكِ
وهذي الحدائقُ تعرفُـنا
والمقاعدُ في ساحةِ الجامعَهْ
والزقاقُ المخصَّصُ للعاشقينَ الجريئينَ
صوتُ الأذانِ
بخُورُ الكنائسِ
ضحكةُ خيباتِنا الدامعَهْ

كلُّ شِـبرٍ لنا فوقَهُ:
قطرةٌ من جبينِ الحياةِ الشقيِّ
لنا لحظةٌ عبرَتْنا كحلْمٍ قديمٍ
لنا ورْقةٌ سقطتْ من خريفِ الأملْ
ولنا شاعرٌ مزّقتْهُ رموشُكِ
فانداحَ يجمعُ أجزاءَهُ فوق رملِ الطَلَلْ
ثم يصرخُ..
-حين يجفُّ الكلامُ على شفتيهِ- :
(ارجعيْ ليْ..
أيا امرأةً من قُـبَـلْ) !!
* * *
كم تغيّرَ وجهُ المدينةِ بعدكِ
فاخضوضرَ الموتُ
واصفـرَّ عشبُ الحياةْ
وحدَها الريحُ
تبحثُ عن نفسها في الخرابِ
وتعبرُ بين انكسارِ الرموشِ
فتسقطُ نسْـماتُها.. دَمَعَاتْ
الشوارعُ مغسولةٌ بالدماءِ
الحدائقُ مزروعةٌ بجماجمِ أطفالنا
والمآذنُ تهوي مرصَّعةً برصاصِ الطغاةْ
كم تغيّرَ وجهُ المدينةِ حقاً
ففي كلِّ شبرٍ لنا
قطرةٌ من دماءِ الشهيدِ / النبيِّ
لنا لحظةٌ تتبخّرُ دمعاً وحريةً
ولنا برعمٌ يتفتّحُ تحت انهمار الخناجرْ
ولنا شاعرٌ مزّقتْهُ المنافي
يفـتّـشُ عن وطنٍ بعد حضنكِ
يغمضُ عينيهِ حزناً
وفي زورقٍ من دموعٍ يسافرْ
لا تعودي إليهِ..
أعيديْ هواءَ المدينةِ
وارخيْ على وجنتيِّ الشهيدِ الضفائرْ
* * *
.
.
.
حمص – أيلول ٢٠١١

اسماء الشهيد الحسنى

غطفان غنوم

عدسة شاب درعاوي

صوتٌ ترنح في الفضا
ودم تناثر بين صرخات الشهيد
ومضى وحيداً نحو ساحات المدى..
الصوت مذبوحٌ والشهيد مغادرٌ
وحده يبقى الصدى
الآن يمكن أن يقول براحةٍ: أنا الشهيد
أنا الشهيد
أراقب الوردات تنزف من جروفي
لتولد كالرياح
السنابل أمهاتُ المؤمنين
أنبتت ظلي..
ثم عاشت في جراحي
السر أيضاً كان يأوي في الجراح
سكب الترابُ فضائلَهُ عليَّ
ونهلت روحي من إله
أنا الشهيد
صار جرحي خريطة
وندوب جسدي ساحةً
ومشت على خدي المواكب كالدموع..
في احتفالات البكاء
كل معراجٍ على خطوط خريطتي
ينتهي نحو السماء
كل حجٍّ..
ينتهي في مقلتي
كل لبيك..
وقرعٌ لابتسامات الكنائس
يصبُّ في جسدي حياة
صمتي ربيع
والوداع شتاء..
خريطتي ميلُ الحبيبِ إلى الحبيبة
قمحٌ وأغنيةٌ لأمي..
وضفيرةٌ تنمو على كتفٍ غريبة
أنا الشهيد
وقبعات الأنبياء تمزقتْ قربي
ثم توحدت في جبهتي
صلوات كل الأولياء..
توضأ القمر من دمي
وشيعت الجبال
رموشي
لي ألف نعشٍ وألف كوكب
وأمنيةٌ
قبري يسيل على الحقول
كنغمةٍ في أغنية ..
أنا الشهيد
أفطرتُ قرب أمي
وكان عشائي قرب الله
لم تتسع كل المرايا لصورتي
واتسعت عين أمي للبكاء عليّ
لم تتسع لرائحتي الحقول
واتسع قلبي فاحتضن السماء
أفطرت زيتونةً من صبرٍ..
وخبزاً من قهر
وشربت حليبَ الغمام
وسافرت
أنا الشهيد أنا
غسلتُ فمي بقبلةٍ على كف أبي
ومضمضته بدموع والدتي
غرستُ المساميرَ في رُكبي
وعلقتُ الصليبَ على الزمان
وسافرت
أنا الشهيد
مزقت خيط العنكبوت..
وحررت الحمامة الحارسة
و صاحبي في هجرتي
واسيت..
لبستُ شجر التين وتدفأت بالزيتون
وصرخةً مقتولةً أزهرت
أنا الشهيد
وإخوتي أقمار
لم يرمني حسدٌ بقعر البئر
ولم أسكن بجوف الحوت
ولا انشق البحر لعصاي
في الأسحار..
برداً وسلاماً في قلبي
لم تكن النار..
أنا النبي في شهادتي
الأميّ في ولادتي
أنا البريء
أنا النقيّ
لم أحي الموتى بمعجزةٍ..
لكني حيٌّ
حيّ
أنا الشهيد
أنا النبي
لنبوتي طعمٌ آخر

ولي وحيٌ آخر
وإسراءٌ في آهات أمي
وتغريبةٌ في الزغاريد
بدايتي نبتتْ حيث انتهيت
لاشوكَ يتطفل عليها
ولا مشانق
أو أخاديد
أنا الشهيد
ظلّي يكحِّل الموت
وترتفع الروايات تحت حلمي
خرجت منتعلاً بطن الأرض
وسقطتُ واقفاً في العيون
كانت الريح تئنُّ في أذني
والشمس تلتحفُ الجفون
حين قبلت أمي.. أنا الشهيد
وحين قبلني أبي.. أنا الشهيد
في جيبي اختبأ الصبح
وصرخ الديك
ولم ينكرني أصحابي
ولم تنكرني أورامي
ومن أوجاعيَ نبتَ القمح
ونضج الصبح
أنا الشهيد
كفوفي مرايا للغبار على الطريق
عمري عتيق
دمعي عتيق
في سرَّتي طعم الحنين
لحضن والدتي
ورائحةُ السراب
أنا الشهيد على سقوطي واقفاً
وأنا الوحيد
أغلقتُ موعد قبلتي
كي أشيّع ذكرياتي
وكان جلادي يروّض خنجراً
وفتحت عيني كي أودِّع حصتي
من غيمةٍ تغزو السماء
فلم أشاهدها

وكانت الكدماتُ تزهر في الوريد
أنا الشهيد
أنا القويّ
أنا الأبيّ
أنا السعيد
أنا المكلَّل
والمدلَّل
أنا القريب
أنا البعيد
لي بعضُ أسماءِ الإله..
كل البراءة في الوليد
أنا الشهيد
أطير نحو الله
مُسقطا كل النشيد.. أنا الشهيد
من كتفٍ إلى كتفٍ
هاجرت في جنازتي ورفضت أن أبيع
أنا الذي حقي تأجّل..
كي يضيع.
ابيضَّ وجهي عند موتي
وطلّقت مربع الشطرنج
تحت حذاء جلادي
ولا أخاف
ولن أطيع
أنا أبيضٌ
أنا لون روحي أحمر
أنا أخضرُ الأوراق..
ومثمرٌ كبطن حبلى..
أنا المشفَّع والبهيُّ أنا الشفيع

أنا سيد الساحات
أمي ودعتني كي أموت..
فامتلكت أنا الحياة
لم يعد عمرٌ يطوّق أضلعي
وانتصرتُ على الطغاة
_ماذا تركت على الجدار؟
=تركت رسم القلب
والسهم يخرقه

تركت حبيبتي..
وتركت نصف الذكريات
_وماذا تركت على الحصار؟
=تركت خوفي مضرجاً..
بالموت
وتركت لون الماء
يكسو موطني..
وتركت ذكرى للجبان لعله يقتات .
تركت خلفي حبل مشنقةٍ..
للجرائد
والأكاذيب المملةِ
عن تضارب مقتلي بفم الجناة
-وأين تمضي الآن؟
=تنحني تحت أقدامي الرياح
أريد أن أمشي وأسكن في الصباح
وأن تمرَّ فراشةٌ قربي
وأن يمرَّ قربي تائهٌ
ليصحبني معه فأحطُّ رحلي كلما
شاهدت منشوراً على حبل
الغسيل
بعض أخبارٍ ملفقةٍ..
ودمٌ تجمّد من قتيل
ثم أمضي حيث تمضي
دعوةُ الشاكي
ودمعةُ الباكي..
في المصاحِف والأناجيل
أنا الشهيد
أنا القديم
أنا الجديد
أنا الأصيل
لي كل صلبٍ للمسيح مكررٌ
أنا الشهيد
أنا العلامة
فوق جبين جلادي..
وفوق جبينكم وأنا الدليل

الحرية لا بد منها... عمل للفنان منير الشعراني